







في الإنتمـــاء لمصر

فكـــرة وتقـــديـــم
عـــادل حســـنين

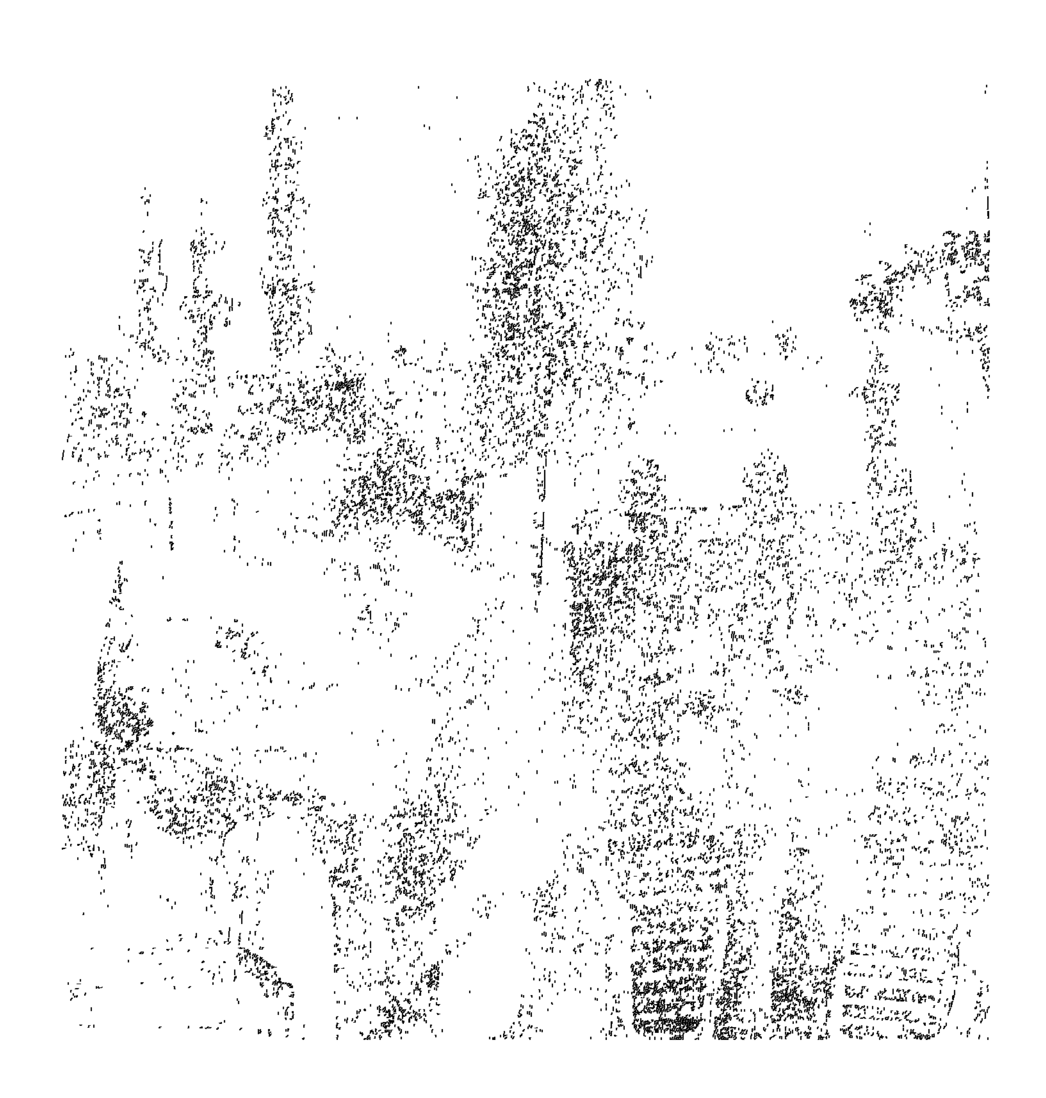
تـــأليـــف
محمود المـــداح

دار أمـــادو للنشـــر

دار أمـــــادو للنشـــــر
١١ ش سيبويه المصرى ، مدينة نصر ، القاهرة
ت : ٤٠٢١٠٣٠ فـــاكــــس : ٢٦٠٠٥٧٧

رقم الايداع : ١٨٨٠٥ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 977-5411-30-0

الطبعة الأولى : يناير ٢٠٠٠م



إتسمت كل من حضارة مصر الفرعونية والمسيحية والإسلامية بالتسامح فسادت حرية العقيدة ، وإنتشر الأمن والأمان ، فكان التآلف والوحدة من أجل مصر ، وليس أدل علي ذلك من هذه الرموز التي مثلت كل هذه الحضارات تقف جنباً إلي جنب شامخة عملاقة مؤكدة هذه القيمة ومبرزة لها .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنتماء للوطن .... الإنتماء لمصر

تشــغل قضية الإنتماء المخلصين من أبناء هذا الوطن ، فليس أخطر من فقـدان الإنســان للإنــتماء لوطنه وإحساسه به ، خاصة لو لم يكن هذا الوطــن ككــل الأوطان .. بل لكونه مصر .. صانعة الحضارة .. مصر الوطن الذي إمتلك كل المقومات التي تدفع الإنسان إلي حبه والإعــتزاز بــه لأقصي درجات الزهو والفخار . فحضارة سبع آلاف سنة لم تجتمع لشعب من شعوب الأرض غير شعب مصر . فإذا أخذنا سنين الحضارة معيــارا لــلقياس فــإن مصر فى مضمار الحضارة لا يباريها أحد ولا يضــاهيها أحد . لكن العبرة ليست بعدد السنين ، فعمر الكواكب والجبال والــبحار ملاييــن السنين . لكن المعيار الأهم أن السبعة آلاف عام من الحضارة كانت مليئة بكل ما يدعم هذه الحضارة من علوم وفنون وآداب ، كــانت ســنينا مليئة بالحروب والإنتصارات ، بكفاح الشعب المصري ضد الغزاة والطامعين ، وبما هو أهم .. الحرص الدائم علي الوطن الذي ينتمي إليه أبناء مصر.

وفى كل الحضارات الأربع التي تعاقبت عبر العصور ، كانت مصر إما هـــي المبدعة إبداعاً جديداً من داخلها مثل حضارتها الفرعونية وإما أنها

أمسـكت بالـزمام حتي أصبحت الحضارة التي تبنتها هي المحور الذي تـدور عليه تلك الحضارة نفسها التي ربما تكون قد جاءتها من بعيد أو من قريب . وخلال تلك الحضارات الأربع كانت مصر دائماً هي محور الـتاريخ ، لـم يقدر أحد على تهميش دورها أو تقليله أو تجاهله ، حتى ليمكـن القـول أن مصـر لم تكن جزءاً هاماً من التاريخ بل كانت هي صـانعة التاريخ بل هي التاريخ ذاته ، ولذلك لم يغفل المؤرخون دورها الهام في أى عصر من العصور .

على أرض مصر إمتدت الحضارة المصرية القديمة حوالي أربعة آلاف سـنة قـبل ميـلاد المسيح عليه السلام ، حضارة خلود وتخليد وصوفية وتديـن . فالخـالق موجود سبحانه والحساب موجود بالميزان ، والقيامة هي الآخرة . وجوهر الدين في الحضارة الفرعونية هي الإيمان بالميلاد والـبعث والحسـاب والخلود بعد ذلك . أما الحياة الد نيا فالعمل عمادها والإنسانية تظللها.

وعندما أضاءت اليونان الفكر الإنساني القديم بمفكريها سقراط وأفلاطون وأرسـطو ، ثم خبت ألسنة الشعلة التي أضاءت هذا الفكر اليونانى القديم إلـتقطت الإسكندرية – التي بناها الإسكندر الأكبر – شعلة الفكر فكانت مـنارة للعالم كله . كان الإسكندر هو القائد الوحيد في التاريخ الذي أراد أن يمحو الفوارق الثقافية بين الشرق والغرب لتندمج في ثقافة واحدة هي الثقافة اليونانية فإكتسحت جيوشه المنطقة كلها من مصر إلي الهند . فلما جاء إلي مصر فاتحا ، عبد الإله آمون وبني مدينة الإسكندرية التى دفن فيها بعد موته خارجها . وسجل التاريخ نشاط الحركة العلمية التى حدثت فى ذلـك الزمان لدرجة مبهرة حيث إلتقطت مدارس الإسكندرية طريق

العلم وصبغته بصبغة دينية مصرية . وخرج علم الهندسة والذي يعد نموذجاً للفكر الرياضي من الإسكندرية علي يد بطليموس.

ثم جاءت الحضارة المسيحية وجاء المسيح بصحبه أمه مريم إلي مصر بعد ولادته بقليل ، وكان أن أصبح محط رحالهما أول كنيسة شهدتها البشرية وهي كنيسة مارى جرجس في مصر القديمة . وهكذا نمت بذور المسيحية الأولي في مصر وإنتشرت المسيحية في مصر قرابة خمسة قرون . ووضعت المسيحية في مصر أسس المسيحية في العالم كله. وكان أول راهب في التاريخ مصرياً من أبناء أسيوط وهو القديس بطرس . وهو الذي عبر البحر فيما بعد وأنشأ كنيسة سان مرقس في روما التي هي مقر البابا الآن . وهكذا إحتضنت مصر المسيحية ومنها إنتشرت إلي أوروبا .

ثم جاء الإسلام في حياة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام . وشهد التاريخ الزحف البربري للتتار علي العالم الإسلامي ودخولهم بغداد وحرقهم كل ما فيها من كتب ، ثم زحفهم علي سوريا حتي إذا ما بلغوا مشارف دمشق ردهم الجيش المصري علي أعقابهم مدحورين . وخلال القرون الثلاثة الأولي للإسلام حفظ المصري اللغة العربية والشعر العربى الذي دونوه قبل أن يطمس .

وجاء التصوف الإسلامي حاملاً معه أروع ما عرفه الأدب العربي من مدائح الرسول مثل " البردة " للإمام البوصيرى والتي سار علي نفس وزنها وقافيتها أمير الشعراء أحمد شوقى ، وكان ذلك بعد ستة قرون كاملة من الزمان . وعرف المصري المسلم بالإعتدال فى دينه وفي عقيدته . ونشأ الفن الإسلامي وشيد الفاطميون الجامع الأزهر ليكون منارة للإسلام وأمسكت مصر عندما أسلمت بزمام

العـــربية بخــــلاف تــــركيا وإيـــران وباكستان وأجزاء من الهند والبلاد الأفريقية . وظلت مصر إلي عهدنا الحاضر كنانة الله في أرضه كما قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ظلت أيضا حصن الإسلام المنيع الذى لا يخترق .

مـــزيج الحضـــارات فى مصر كان رائعـــا.. كانت كل حضارة تجئ لا تمحـــو مـــا قبـــلها بـــل كانت تقوم علي ما قبلها ثم يحدث الإمتزاج بين الحضارتين فتتولد صيغة ثقافية مصرية أصيلة للحياة الحاضرة . وهكذا أصبح التاريخ كله بحضاراته الأربعه واقعاً علي أرض الكنانة .. أرض مصـــر . ولقد تفاعل الإنسان المصري مع كل هذه الحضارات مجتمعه وكان ممسكاً طوال الزمان بزمام المبادرة في أن يكون مبدعاً فإن لم يكن مبدعا فلا أقل من أن يكون من الرواد .

أمـــا الحضـــارة الحديـــثة فقد بدأت عندما طرق نابليون باب مصر عام ١٧٩٨ ميلاديـــة .وبـــنى محمـــد علي باشا الدولة الحديثة فى مصرعلي أســـاس من الثقافة الأوروبية وأراد أن يكون لمصر جيش مصري لأول مـــرة فـــي الـــتاريخ الحديث منذ الفراعنة . وشهد عصره إنشاء مدرسة الطـــب ومدرســـة الهندســـة " المهندس خانة " ومدرسة الصنايع بمنطقة بولاق . ثم أوفد البعثات إلي أوروبا لتأتينا بالحضارة الغربية .

ظلت مصر تقوم بدورها الإبداعي حتي جاء الأتراك في عام ١٥١٣ فلم تشـــارك مصـــر خلالها فى صياغة الحضارة الحديثة مثلما شاركت في الحضـــارات الأربـــع السابقة. فلما جاءتها الثقافة الأوروبية أخذت مصر هـــذه الثقافة كما جاءتها ودون أن تدخل عليها شيئا من إبداعها . وأصبح

السؤال الحائر في حياتنا الآن ما الذي يمنعنا من أن نشارك في حضارة هذا العصر بمنهجها ، بعلومها، بفنونها ، بأجهزتها.

لقد إنتمي المصري إلي وطنه إبان الحضارات الأربع السابقة بأن شارك في بناء هذه الحضارات . وعليه أن يشارك ألآن في صنع الحضارة الحديثة لمصر بأن يحب مصر ، وأن يعمل من أجلها . فإذا كان المصري منا يشعر بالزهو والفخار لأنه مصري ، ويشعر بأنه ينتمي إلي أمة كبيرة ، إلي أمة عاملة فنانة ، إلي أمة مسلمة وضعت ميزان الأخلاق منذ الفراعنة علي جدران المعابد ، فواجب المصري أن يفكر وأن يظل في نفس الوقت مصرياً ومسلماً وعربياً .

ومن هنا تنشأ أهمية الإنتماء لمصر ... الإنتماء للوطن ... والطريق إلي الإنتماء إلي الوطن هو أن نعلم أطفالنا الإنتماء للبيت وللأسرة أولاً . والإنتماء في حد ذاته سلوك وأمل وإنجاز . فهو سلوك متفاعل بين الفرد ونفسه وعمله ومجتمعه ووطنه ، وهو أمل يعود صاحبه النظرة المتفائلة ، وهو إنجاز لأنه يعمل علي الإنتاج والإسهام الفعال في تحقيق الإهداف المرجوة بصورة سليمة . وتتشعب قضية الإنتماء حتي لتشغل المفكرين بالعديد من القضايا :

- مفهوم الإنتماء وتعريفه تعريفاً محدداً واقعياً .
- كيف نبني الإنتماء في الإنسان المصري وخاصة منذ الطفولة ؟.
- ما هو دور الأسرة في غرس الإنتماء في أبنائها ، وكيف يقوم الوالدين بذلك ؟.

- ما هو دور المدرسة بوصفها مؤسسة تربوية عليها أن تغرس روح الإنتماء لدى طلابها وتلاميذها ؟.

- كيـــف يمكن تدعيم الإنتماء حيث يرتكز الإنتماء في مفهومه الرابع علي المعايير الدينية والقيمية التي هي ركائز تدعيم السلوك المنتمي والتي تشكل المواطن الصالح الذي نتطلع إليه ؟.

- كيـــف تدعم الأسرة مشاعر الانتماء لدي أبنائها ؟ وما هي الخطوات العلمية التي يمكن أن تبدأ بها منذ الطفولة المبكرة والسنوات الأولي من عمر الطفل ؟

- مـــا هـــو دور الأم في صياغة الإنتماء لأطفالها ؟ وكيف يمكنها أن تكون صاحبة الدور الأول في غرس الإنتماء في نفوس أبنائها ؟

- كيـــف تـــتدرج مـــراتب الإنتماء مع دخول الطفل إلى المدرسة من الفـــردية في الإنتماء إلي الجماعية في الإنتماء ؟وكيف يمكن تدعيم الإنتماء في المدرسة من خلال الأنشطة المدرسية التربوية ؟

- ما هو دور الرموز والقدوة السياسية والدينية والتعليمية ؟

- ما هو دور الإعلام في ترسيخ قضية الإنتماء عند الفرد ؟.

كـــل هـــذه الأسئلة وغيرها تفتح باب الإجتهاد وتضع قضية الإنتماء في مكانهـــا الصـــحيح والذي هو أشد ما يكون مطلبا اليوم ، حيث أضعفت الـــتيارات المستغربة وتقليد الغرب في التدريب والتعلم ، وكذلك ترسيخ

مفـــاهيم التحضـــر الغـــربي فـــي كل حياتنا وتعاملاتنا اليومية ، وسيادة المفاهيم السلبية مثل الأنامالية والإتكالية ، بل وساهمت فى تقليل الشعور بالإنتماء لدي المواطن الصالح .

وإنـــه لمما يسعدني أن أطرح هذا الموضوع ليناقش في هذا الكتاب بكل أبعـــاده وليكـــون هذا الكتاب بمثابة دعوة مفتوحة لمساهمات دور النشر الزميـــلة والمؤسســـات المتخصصة في تشخيص بعض الظواهر السلبية الـــتي تعـــتري مجتمعنا المصري وتؤثر على خطط التنمية الطموحة فى بـــناء مســـتقبل مشرق لهذا الوطن وأبنائه المصريين ، ثم إقتراح الحلول الملائمة لمعالجتها .

وفقنا الله لما فيه خير مصر والمصريين .

عـــادل حســـنين

مقــدمة المؤلف

تــرجع فكرة هذا الكتاب إلي فترة حين حدثني السيد عادل حسنين رئيس دار أمــادو للنشــر عن رغبته في إصدار سلسلة من الكتب الحديثة التي تــتجه نحو تعزيز القيم الإيجابية والإنتماء بين المصريين خاصة الناشئة منهم والشباب ، بعد أن ظهرت في المجتمع المصري بعض القيم السلبية الــتي تــتعارض مــع القيم والسلوكيات الأصيلة التي توارثها المواطن المصــري عــبر القــرون والأجيــال . وكان قد وضع المخطط العام لإتجاهــات الكتاب الذي أمدني به لأسير علي هديه ، ومن ثم إتخذت هذا المخطــط دليلاً ومنهاجاً في كتابة فصوله ومحتواه ، وأردت بهذا التنويه أن أنســب الفضــل إلي من يستحقه ، وهو الرجل الذي طالما عبر عن إخلاصـــه ووطنيــته وإنتمائه من خلال مؤلفاته التي نشرها وينشرها ، ومقالاته الناقدة التي يكتبها في الصحف و المجلات ، عارضا فيها بعض القضــايا الاجــتماعية والــثقافية والسلوكيات المرفوضة التي يحس بها كمواطن مصري مقترحاً الحلول لها .

وقـــد تناولت في الفصل الأول من هذا الكتاب إسم مصر ومعناه وفضل مصـــر، والقيـــم الأخلاقية والسلوكية التي نشأت علي أرضها منذ فجر الحضـــارة المصـــرية القديمة ، مروراً بالمسيحية السمحاء ، ثم الإسلام الذي كان صفحة مشرقة بالولاء والوفاء ، وأخيراً مصر المعاصرة التي تسير في طريق الإنشاء والتنمية بجانب السلام .

وتحدثـــت عـــن رمـــوز الوطن المتمثلة في : نيل مصر الفياض بالخير العميـــم، والذي إرتبط به المصريون إرتباطاً وثيقاً ، وعلم مصر الخفاق الـــذي تهفو إليه القلوب ، وعرضت لأشكاله وألوانه منذ القدم وحتي الآن كرمز لمصر ووحدتها . ثم النشيد الوطني الذي يثير في النفوس التوهج نحـــو الإنـــتماء والحب والوفاء ، إضافة إلي نماذج من الأناشيد القومية المصـــرية قديماً وحديثاً ، مع تحليل للنشيد الوطني الحالي الذي يتحدث عن مصر العظيمة في الماضي والحاضر والمستقبل .

وعرضت في الفصل الثاني لقبسات من تاريخ مصر وحضارتها القديمة وما تميزت به من شموخ في مختلف العلوم والفنون . إضافة إلي قبسات مـــن حضارة مصر الإسلامية ، وثقافتها ، وكيف حفظت مصر التراث الإســـلامي، والعالم الإسلامي من جحافل التخريب والدمار . وأيضا نبذة عـــن مصر مبارك الحره المستقلة التي يبني حضارتها الآن المصريون

بجهدهـــم ، وتتأهب لدخول القرن الحادي والعشرين ببنية صلبة وقاعدة علمية سليمة .

وتناولت في الفصل الثالث نضال الشعب المصري وبطولاته ضد الغزاة ومقاومـــته لهـــم مـــروراً بالعصور التاريخية المختلفة وهم الغزاة الذين تمكـــنوا من مصر لفترات من الزمن في العصور القديمة ، ثم الفرس ، والـــبطالمة ، والـــرومان ، وإنتصار مصر علي الصليبيين في غزواتهم الكـــبري التي وجهت للإستيلاء عليها في العصور الوسطي . ثم مقاومة الشـــعب المصـــري للحكم العثماني ، والحملة الفرنسية ، و حملة فريزر الانجـــليزية عـــام ١٨٠٧، ومقاومـــته للإحتلال الانجليزي الذي بدأ عام ١٩٨٢ وإنـــتهي نهائيـــاً عـــام ١٩٥٤ ،وتحفل هذه الفترة بأحداث ثورة ١٩١٩ وثـــورة ١٩٥٢ . واستعرضـــت كذلـــك بعـــض صور المقاومة المصـــرية وإنتصـــارات مصـــر وتحرير أرض الوطن من عام ١٩٥٦ وحـــتي عام ١٩٨٢ ومنها تحرير طابا آخر بقعة من التراب المصري بفضل وجهود الرئيس محمد حسني مبارك .

وحرصـــت فـــي هذا الفصل علي تقديم نبذة عن بعض الرموز المصرية التي قاومت وعملت من أجل بناء مصر ومن أجل الخير لها في مختلف المجالات لتكون هذه الرموز أمثلة تؤكد الولاء والإنتماء لمصر حتي في أوقات المحن التي شهدتها مصر في تاريخها الحديث .

والفصـــل الـــرابع خاص بالإنتماء لمصر كوطن تحدثت فية عن مصر الحضارة والقيم والبناء ، والإنتماء وأبعاده بما يشمله من قيم ، ودور كل من الأسرة والأصدقاء وأجهزة الإعلام والمدرسة في تعزيز قيم الانتماء وتنميتها.

وجاءت خاتمة الكتاب في الفصل الخامس كلمات حب وولاء وإنتماء من أجـــل مصـــر ... ولأهـــل مصر ، سلوكاً وقيماً تتواصل من أجل بنائها ورفعتها وصولاً بها إلي المكانة اللائقة بها بين الأمم .

القاهرة : حدائق القبة

١٨ نوفمبر ٢٠٠٠ محمـــود المداح



الفصل الأول

مصر وطني : الإسم والأرض والرموز

نشأت وأنمو علي أرضهـــا	وسحر الشرق في ليـــلها
شربت طهورا من نيلهـــا	وعشت ســـلاما مع أهلها
أزرع وأصنع وأبني لهـــا	صروح الحياة في أرجائهـــا
أدافع عنهـــا وأحمي حماها	لنشـــرالسلام مع جيرانهـــا

مصر وطنى

مصـــر هـــي المدينة المعروفة كما جاء في مختار الصحاح ، والمصر لغويـــا كمـــا جاء في المعجم الوجيز هي المدينة الكبيرة تقام فيها الدور والأسواق والمدارس وغيرها من المرافق العامة .

فمصـــرنا معـــروفة متميزة ، تعرفها دول العالم ، ويعرفها جميع البشر، وهـــي محط الأنظار ، وملتقي من يريدون الأمن والأمان ، والعيش في وئـــام وسلام، معالمها تجذب إليها البشر من مختلف الأجناس ، وآثارها خـــالدة باقيـــة عـــلي مـــر الدهور والأعوام . في سبيلها أبذل كل غال ورخيـــص ،هي الحضارة والتاريخ ،هي الأمل والغاية والمراد ... هي الحياة والمستقر ... هي وطني الذي أعتز به وأفخر .

مصر وطني، فضلها الله علي سائر البلدان، وشهد لها في كتابه الكريم ، وذكـــرها بإسمها ، وخصها دون غيرها ، وكرر ذكرها وأبان فضلها في هذه الآيات من القرآن الكريم : قال تعالي .

- وإذ قلتم يا موسي لن نصبر علي طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من قثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون

الـذي هـو أدنـي بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضـربت عـليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كـانوا يكفـرون بأيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. (البقرة:٦١)

- وأوحيـنا إلـي موسي وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيمو الصلاة وبشر المؤمنين . (يونس :٨٧)
- فـلما دخلوا علي يوسف ءاوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . (يوسف:٩٩)
- ونـادى فـرعون فـي قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . (الزخرف :٥١)

وقد وصف الله سبحانه وتعالي مصر وما كان فيه آل فرعون من النعمة والملك :

" كـم تـركوا من جنات وعيون و زروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين" . (الدخان : ٢٥-٢٧)

فهل يوجد بلد من البلدان تم الثناء عليه أو وصفه بمثل هذا الوصف غير وطـني مصر . وقد ذكرت أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم مصر أيضا فقال : إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند هم خير أجناد الأرض، وهم في رباط إلي يوم القيامة.

وأوصي الرسول عليه الصلاة و السلام بأهلها خيرا لأن لهم ذمة ورحما . أمـا الذمـة فهي من ناحية زواج الرسول من مارية وهي أم إبراهيم الإبـن الوحيـد للرسول الكريم ، ومارية هي التي أهداها المقوقس حاكم مصـر إلي الرسول. أما الرحم فكان من ناحية السيدة هاجر زوجة خليل

الله ســيدنا إبــراهيم عليه السلام فهي الأخري مصرية .وعلي ذلك فإن العرب والمسلمين لهم صلة ونسب بمصر .

مصر ملتقي الصحابة :

جــاء إلـــي مصر في الفتح الاسلامي أكثر من مائة صحابي من صحابة رســول الله صــلي الله عليه وسلم ، وقد وقف علي قبلة المسجد الجامع "مســجد عمرو بن العاص" ثمانون من الصحابة منهم عمرو بن العاص والزبيــر بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو هريرة وأبو ذر الغفاري ، وأقام بعضهم بعد الفتح فترة من الزمن .

وقد ولد بمصر إثنان من أكبر خلفاء المسلمين هما :عمر بن العزيز وهو الخـليفة العادل الملقب بخامس الخلفاء الراشدين ، وجعفر المتوكل علي الله، وزارها كثير من خلفاء المسلمين أولهم معاوية بن أبي سفيان ومنهم مروان بن الحكم وعبد الله بن مروان والمنصور والمأمون .

ومما يثير الإعجاب حقا ما يذكره عمر بن محمد بن يوسف الكندي في كـتابه "فضائل مصر" أنه كانت هناك هجرة بين جزيرة العرب ووادي الــنيل منذ بداية التاريخ ،وكانت هذه الهجرة تتم عن أقصر طريق عبر البحر الأحمر بين يثرب في الجزيرة العربية والقصير في مصر .

وفـــي حقــبة تســبق ظهــور الاسلام بكثير عبرت البحر قبائل عربية وإنتشـــرت في صعيد مصر،كما هاجرت جالية من مصر وإستقرت عند إحــدي الواحـــات ... وكـــانت هذه الجالية هي النواة التي نشأت حولها

المديـــنة المـــنورة ،تلك المدينة التي خرج أهلها يستقبلون الرسول عَليه الصلاة والسلام مهاجرا من مكه وينشدون :

طـــلع البدر علينا	من ثنيـــات الوداع
وجب الشكر علينا	مـــا دعـــا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع

ولهـــذا فإن جذور أهل المدينة الذين إستقبلوا الرسول وصاحبه ترجع إلي أرض مصـــر .فهل هذا سر ما عرف عن أهل المدينة قديما وحديثا من رقة ودماثة مما إتصف به المصريون من قديم الزمن؟

***

القيم علي أرض مصر :

وأرض مصـــر هي أرض الحضارة والتاريخ ،أرض العقيدة و القيم أرضـــها واحـــة خصبة، بمناخها الدافئ ،ونهرها الغزير صارت أرضا زراعية، وموقعها جعلها آمنة لم تصل إليها الغزوات منذ فجر التاريخ ، ولهـــذا عاش المصريون في هدوء وإستقرار،وأسسوا حضارتهم الراقية الـــتي أســـدت إلـــي العـــالم العلم والفن والحكمة. أرضها جعلت الفلاح المصـــري يرتـــبط بالأرض إرتباطا وثيقا، وكانت سببا في وحدة شعب مصر لمواجهة فيضان النيل قديما،وللتغلب علي أخطاره .

علي أرض مصر منذ القدم كان عمق الايمان بأن الآلهة أوجدت الأرض ومـــن عـــليها وأنهـــا هـــي التي تنظم الكون وتسهر علي مسيرة الحياة

وإستمرارها ، وكان أيضا الإيمان بالخلود وبحياة الإنسان الثانية التي لا نهاية لها.

علي أرض مصر قديما شكلت الأسرة النواة الأولي للمجتمع ، وسادتها القيم العريقة، فقد كان المصري القديم محبا لبيته ، يتزوج في مرحلة مبكرة عن طريق عقد مكتوب ، وكان يحرص علي تنشئة إبنه تنشئة صالحة، ويدعوه دائما للعمل وفق المبادئ الأخلاقية السامية، وكان يحذره دائما من عقاب الآخرة . وساد الأسرة أيضا إحترام الأمهات وتبجيل الأم، إضافة إلي حب الأطفال ، وكان هناك إحترام لحكمة الحكماء التي تقول :"أحب زوجتك في إخلاصك لبيتك كما هو واجب عليك ،أطعمها واكسها واسع إلي ما يدخل السرور علي نفسها طالما أنت علي قيد الحياة " .

وكان هناك أيضا إلتزام بوصايا الحكيم التي تقول:"ضاعف لأمك خبزها وإحملها كما حملتك، لقد أثقلتها وما نبذتك ،وظلت تحملك حول عنقها بعد ميلادك ، وظل ثديها ثلاث سنوات في فمك، ولم تأنف من تنظيفك ولم تقل قط : ماذا أصنع بهذا ، وأرسلتك إلي المدرسة تتعلم الكتابة ،ووقفت لك بالخبز والشراب كل يوم تنتظرك. واذكر إذا تزوجت وإنفردت بمنزلك كيف ولدتك أمك ،وكيف ربتك وتعهدتك بكل وسيلة عسي ألا تصيبك بضرر، ولا ترفع يديها إلي الإله بالدعاء عليك ،ولا يسمع الإله منها شكاية.

وعلي أرض مصر قديما كانت المساواة في الحقوق والميراث بين الإبن والإبنة حيث كانت الأنثي تنال من الإرث نصيبا معادلا لنصيب الذكر،وأحتل الإبن الأكبر مكان أبيه في الأسرة فيما يتعلق بالأوقاف

الجــنائزية لكي يشرف بنفسه علي راحة أبية في العالم الآخر نيابة عن أفراد الأسرة جميعا .

وعــلي أرض مصــر قديمــا أخــذت حرمة الجار مكانها بين واجبات المصري القديم الذي لم يكن يزور جاره في غياب صاحبه ، ولا يدخله من غير إستئذان .

وعــلي أرض مصر قديما سجل المصريون قانون الأخلاق بما إحتواه من توجيهات تقول :

" لا تدخل المعبد وأنت آثم ، ولا تذهب إليه وأنت غير طاهر الجسم ، ولا تتهم أحدا فيه زورا ، أو تغتابه هناك ".

" لا تفــش أسرار الطقوس الدينية التي تشترك فيها ، تلك الأسرار الخاصة بالمعبد ".

" لا تســع إلــي الربح ولا تفسدنك الرشوة، ولا تقف ضد الضعفاء محاباة للعظماء ".

" لا تطفف الكيل ولا الميزان ولا تنقصهما ".

" لا تنضم إلي الفاسقين ولا تخالط السفلة ".

" لاتقــدم شيئا محرما،ولا تستخدم العنف ضد أي إنسان في الريف أوفي المدينة ".

" لاترفع صوتك بسبب كلام غيرك ،ولاتنطق بالكذب ".

والفضــيلة سنها القانون الأخلاقي ،وذكر أنها نافعة ، فإن سلكت سلوكا وديــا نحــو ربك وملكك وأترابك ومن هم أقل منك ، نلت "عوضا عن ذلــك"الصــحة والحياة الطويلة والشرف علي الأرض هنا ، وبعد الموت

وعند وزن قلبك يعاملك الرب تبعا لأعمالك ،وزيادة علي ذلك فإن الزائر لقـبرك وقد علم عنك تاريخ حياتك سيقرأ لك بصوت عال "الرقي معطية الحياة" وهو علي يقين من أنه سيكافأ بدوره عن عمل الإحسان من الملك والاله .

ويجب علي الفرعون أن يعظ الناس بالأخلاق وينصحهم بإتباعها ،ويجب علي موظفي الملك الذين إختارهم بعلمه الكامل عن كفاءتهم وصفاتهم أن يحاربوا من أجل الملك وأن يحاربوامن أجل الشعب .
ويجب علي القاضي أن يحمي الضعيف من ظلم الظالم .
كما يجب علي النبيل أن يعطي الخبز للجياع .

وإضـافة إلـي ذلك كانت أروع المثل الرسمية الأخلاقية للموظفين التي تقول :

" راقـب يـدك ، وإكبح جماح قلبك ، وصم شفتيك " . أليست هذه المـثل تصلح لكل زمان ومكان ؟ ولنا أن نتساءل أيضا : أليس هذا القانون الأخلاقي هو الأول من نوعه في تاريخ الحضارات البشرية بإعتـبار أن حضارة وطني مصر هي أولي الحضارات التي سبقت كل حضارات العالم ، وفضلها يتمثل في إسدائها هذه القيم إلي العالم أجمع ؟

وعـلي أرض مصر القديمة كان التلاميذ يدرسون "كتب الحكمة" وكان يعـرفها أيضـا كثير من أبناء الشعب .و كانت الحكمة تقدم في صورة نصـائح مـن الأب إلي الإبن ، فهي نصائح وتعاليم بنيت علي التجربة وإنتقـلت بالـتقاليد ، تـناولت "طريقة الحياة " التي يجب علي المرء أن

يســلكها ليكون سعيدا ، فهي شاملة لجميع الموضوعات من آداب اللياقة إلي إصلاح الروح.

كــتب آدب الحكمـــة الوزير "أموحتب" في حوالي ٢٧٧٠ ق.م ، وأيضا الوزير "بتاح" في عصر الدولة القديمة وتتضمن نصائح أخلاقية تولي كل إهتمامها لإحترام العادات والتقاليد .

كــانت مصــــر القديمة تقول : " أطع الإله الذي في قلبك" فلم يكن الإله الحقيقي هو رع أو أمون أو غيره ، بل كانت هذه أسماء ترمز إلي الإله الحقيقي كان الدعاء المأثور في عهد أمنحتب الثالث هو :

أيها الموجود الذي لا موجد له
أيها الواحد الأوحد الذي يطوي الأبد
أنت الأم البار للآلهة والبشر
والصانع الدءوب الخالد في آثاره التي لا يحيط بها حصر
والراعي ذو القوة والبأس يرعي رعيته
فهل كانت مصر وثنية وهي تترنم بهذا الدعاء؟

***

المسيحية علي أرض مصر :

عــلي أرض مصــــر إعتنق المصريون المسيحية عن إقتناع بعد الديانة المصــــرية القديمة حيث حمل إليها يوحنا مرقص المبشر بالإنجيل رسالة المســيحية ، إعتــنقها عامة الشعب في كل من الريف والحضر بحرارة وإيمـــان، وســـادت المسيحية بروح المحبة والتسامح .وصمد المصريون

أمـــام إضـــهاد الرومان الذين كانوا يقتلون المسيحيين منهم بالسيوف في مدرج الإسكندرية الذي شهد أيضا إلقاءهم لقمة سائغة للأسود والنمور.

وإنتشـــرت الرهبـــنة في الأديرة والصوامع في صحراء مصر،وظهرت المكتـــبات في الأديرة ، والأيقونات واللوحات والمخلفات الفنية ، وبنيت الكنائس، وساد مصر الإيمان الذي كان يضئ كل الأركان .

وقـــد أدي تكويـــن اللغة القبطية إلي نمو الفن القبطي وهو الفن المصري المســـيحي الذي كان يعبر عن الخصائص الدينية لمصر المسيحية . ولم تكـــن الرهبنة في مصر أمراً روحانيا صرفا،بل كانت عاملا في التطور الاجـــتماعي والـــتطور الديـــني ، فأثـــرت تبعا لذلك في مصائر البلاد المصرية بأجمعها .

***

الإســـلام علي أرض مصر :

كان الفتح الإسلامي لمصر عام ٦٤٠م ،وأصبحت مصر بهذا الفتح جزءا مـــن دار الإســـلام ، وأخـــذ الإسلام ينتشر علي أرض مصر حيث شهد الـــناس أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وآمنوا بملائكته وكتبه ورســـله وباليوم الآخر، وأقاموا الفرائض ،وسادت قيم الإسلام متمثلةفي الحرية الدينية حيث لا إكراه في إعتناق الدين ،والتعايش الفكري والمادي مع كل الملل ، والعدل والمساواة والتسامح والسلوك القويم .

وقـــد شـــربت مصر الإسلام ونمت به وقامت بإنمائه ،فالإسلام لم يمح شخصـــية مصر بل أضاف إليها عمقا جديدا وفضلا يوم حملت مسئوليته

في السلم والحرب ، فدافعت عنه في مواقعه الكبري وحمت حضارته من تخريب التتار الذين إندفعوا من أواسط آسيا بقيادة زعيمهم هولاكو حيث إنتصــر جيــش مصر بقيادة "قطز" . وحمت حضارتة أيضا من تخريب الصــليبيين الذيــن شــنوا هجمــاتهم ونظموا حملاتهم علي بلاد الشرق الإسلامية وإنتصر جيش صلاح الدين المصري عليهم في موقعة حطين حيث إستعاد فلسطين وبيت المقدس بالنصر العظيم .

ان صــفحة مصــر الإسلامية مشرفة بالولاء والوفاء ، فلم تعرف مصر التعصــب بل عرفت التسامح ، وسلم تاريخها من المذابح الطائفية، لأن الايمــان يــتدفق فــي عروق المصريين عبر العصور والأجيال ، وهذا الإيمــان هو الذي يعمر مصر بالتدين والتسامح والتعاطف ، ويثبت في مصــر إعــتقادا مصريا راسخا بأن الدين لله والوطن للجميع ، فمصر بوحدتها وبتماسكها وبتجانسها تؤلف وحدة وطنية قلما نجد لها مثيلا .

* * *

مصر المعــاصرة :

مصــرنا فــي عهد الرئيس والقائد محمد حسني مبارك تسير في طريق الإنشاء والسلام وهذا ما يميز عصرنا الحاضر.

وتجلي ذلك تجليا عظيما بعد إنتصار مصر علي إسرائيل في حرب عام ١٩٧٣ بهــذا النصــر الذي كسر أنف إسرائيل والذي أزال من الأذهان المقولة التي كانت تقول بأن جيش إسرائيل هو الجيش الذي لا يقهر.هذا النصــر الذي تم في عهد الرئيس الراحل محمد أنورالسادات . والذي قاد الضــربة الجويــة الأولي التي مهدت لهذا النصر الرئيس محمد حسني

مـــبارك فكان القهر لإسرائيل وكانت الهزيمة لها والتي هرولت بها نحو أمـــريكا لنجدتها ، وكان هذا النصر سببا في تحرير أرض سيناء الغالية وعودتها إلي مصر ، والسير بمصر في طريق السلام .

وعندما إعتدي العراق علي الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠. وإقـــترف جـــريمة بشعة في حقوق العرب ، كانت مصر من أوائل بلاد الدنيـــا إحتجاجا علي ذلك العدوان ، وغضبت مصر لما أصاب الكويت ، وعـــندما دعـــت بلاد الدنيا كلها وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية إلـــي ضـــرورة تحرير الكويت بالسلاح ، كانت مصر من أوائل الدول دخـــولا في المعركة ، وقد أرسلت فرقا من جيشها للحرب هناك لتحرير الكويـــت مـــن عدوان العراق.وحاربت هذه القوات علي أرض الكويت حـــربا مجيـــدة ،وإنتصـــرت نصرا عظيما ولكن بحضارتها وبالقيم التي تأصـــلت فـــي وجدانها لم تسرف في الكلام عن هذا النصر ، بل سحبت قواتهـــا إلي مصر بعد عودة الكويت إلي الإستقلال .ومصر اليوم نراها تقود العالم العربي وتسير في صمت في طريق السلام ،ولها الصدارة في هـــذا المجال ،ولها من المكانة بين دول العالم التي تجعل لها الريادة في مسيرة السلام .

ومصـــرنا اليـــوم نـــري فيها المشروعات العملاقة ، مشروعات الخير والـــنماء للإنســـان المصـــري والتي تهدف إلي توفير الحياة الكريمة له وللأجيـــال القادمـــة، هـــذه المشـــروعات تمـــتد في مختلف المجالات : مشـــروعات زراعيـــة، وصـــناعية، مشـــروعات الإســـكان والتعمير ، ومشـــروعات تطوير البنية الأساسية من مرافق الخدمات والاتصالات ، وتـــرميم الآثار الإسلامية والقبطية والفرعونية ، والمدينة التكنولوجية ، والأقمـــار الصناعية المصرية ، ومشروع توشكي ، ومشروعات سيناء

،ومشروع غرب التفريعة ... وغيرها الكثير ، فهذا علي سبيل الأمثلة لا الحصر .

هــذه المشروعات تتم بناء علي تخطيط ودراسات جدوي ،وتتوافق منها الوســيلة مع الغاية ،ويبدو ظاهرا من خلال تنفيذها الفكر العلمـي والعمل الجمــاعي وإســتخدام التكــنولوجيا المعاصرة التي يتم إستثمارها أفضل إستثمار في هذه المجالات .

ويمكن أن يتلخص تاريخ "مصر" من كل ما سبق في أربع عبارات هي :

خلاصة المصري القديم : حضارة .

وخلاصة المصري المسيحي :تحرر وشهادة .

وخلاصة المصري المسلم : جهاد وخلوص لله .

وخلاصة المصري المعاصر :
أسلوب تفكير، ترتبط وتتوافق فيه الوسيلة والغــاية .

***

من رمــوز وطـــني

١- نيل مصر :

عـــلي أرض مصـــر يجري نهر النيل،أعظم أنهار الدنيا وأطولها، يقدم الخيـــر لكثير من البشر في دول عديدة من قارة أفريقيا من الماء العذب الـــنقي، والطمـــي الذي يغذي التربة ويغني الزرع ،ويقدم كل ما يحتاجة الإنسان الذي يعيش علي ضفافة وفي داخله .

وصفه أمير الشعراء أحمد شوقي وصفا بليغا أبان فيه فضله علي مصر في هذه الأبيات الذي فاضت بها قريحته حيث قال :

النيل العذب هو الكـــوثر	والجنة شاطئه الأخضـــر
ريان الصفحة والمنظـــر	ما أبهي الخلد و ما أنضر
البحر الفياض القـــــدس	الساقي الناس و ماغرسوا
وهو المنوال لما لبســـوا	والمنعم بالقطن الأنـــــور
جعل الإحسان له شرعا	لم يخل الوادي من مرعي
فتري زرعا يتلو زرعا	وهنا يجني وهنـــــا يبذر
جار و يري ليس بجـــار	لأنـــــاة فيـــه ووقـــــار

ينصـــــــب كتلٌ منهار	و يضج فتحســـــــبه يزأر
حبشيّ اللـــون كجيرته	من منبعـــــه وبحيرتـــــه
صبغ الشطين بسمرته	لونا كالمســــك وكالعنبر

لقــد وحــد الــنيل بين تسع دول هي دول حوض النيل علي الرغم من إختلاف تقاليدها وعاداتها ودياناتها،وعلي الرغم أيضا من إختلاف مواقع معيشــتهم عــلي ضفافه بداية من ساكنى الجبال وإنتهاء بساكنى السهول والوديان هذه الدول هي : أثيوبيا و تنزنيا و كينيا و أوغندا والكونغو و راونداوى و بورندي والسودان و مصر. وحد بينها للمصالح المشتركة فــي الإســتفادة مــن مياهــه للشــرب والري والمشروعات الزراعية والصناعية والنقل وغيرها .

والــنيل هو جوهر الحياة علي أرض مصر الطيبة،وهو أساس الحضارة التي نفخر بها جميعا أمام العالم أجمع ، وإرتبطت حياة المصريين بالنيل إرتــباطا وثيقــا ،ولهذا فإن أغلب آثارهم قد بنيت علي ضفاف النيل أو قريبة منه تغني به المصريون قديما فقالوا :

أيهــا النيل الفضل لك أيها النابع من الخفاء الجاري بالحياة
لوطننا مصر ياساقي الرياض ياراويَ الماشية منك الحياة
ومنك الخصب يارب الأسماك ياجالب الأطيار علي الأرض والأشجار
يامخـــرج الشـــعير ومنتج الغلال يامن تواني تعطلت الحياة
وأجدبــت الأرض وأوذي الــناس وهلك الملايين البحر
بجانـــبك ماذا يكون ليخرج اللؤلؤ والمرجان فما تأكل الناس
الــلؤلؤ والمرجان بل تأكل الغلال الناس علي الماشية تعيش

والمواشــى عــلي المــروج والمروج عليك منك الحياة
ومنك الخصب، ومنك الخير
أيها النيل يا باعث الخضرة أيها النيل يا باعث الخضرة .

وتغنوا أيضا علي لسانه بهذه الأنشودة :
أنا النيل .. أنا واهب الحياة لهذه الأرض :مصر
أنا النيل .. أنا الذي أوجدت فيها الري والخصب
أنا النيل .. أنا الذي ملأت صدور أبنائي بالعزة والثروة
أنــا الــنيل .. أنــا الــذي جعلتهم يعتزون بقوميتهم ويعتزون بكرامتهم

مــا أروع الــنيل بمناظرة الخلابة الساحرة ليلا أو نهارا، صيفا أوشتاء ،خــريفا أوربيعــا خاصة في أوقات الشروق والغروب بشطآنه العامرة بالخضــرة وأشــجار الــنخيل الباسقة علي ضفتيه ... حين تصفو نفس الإنسان وتري هذا الجمال الطبيعي الساحر ، فيمد يده شكرا لله الذي أنعم بكل هذا الخير .

قدس المصريون القدماء النيل ، وأحنوا له رءوسهم ، وكانت منزلته في أعلي درجة من الملوك،حافظوا علي مياهه ولم يلوثوه ، وكانوا يقولون: كيف نلوث من يعطينا الحياة ؟هذا الماء الذي نشربه ،ويجري في عروقنا ويختلط في دمائنا،هذا الذي يحفظ الحياة لأجسادنا ومزارعنا وحيواناتنا.

ومن يعتدي علي النيل في معتقدات المصريون القدماء كان يعتبر كافرا، فنقشوا علي جدران المعابد وفي أوراق البردي " ليس مؤمنا ولا صالحا

ولا مقربا من الإله من ألقي في النيل شيئا قذرا " ، فحماية نهر النيل كان عملا واجبا علي كل مصري وقتذاك .

إن نهـــر الــنيل الآن يشــكو مما ألم به من تلوث ، فهل نحن الآن علي مســتوى المســئولية والواجب ، نحافظ علي النهر الخالد من التلوث ولا نـــلقي الفضلات والنفايات والملوثات المختلفة في مجراه ، حتي لاتشوبه الشــوائب ،وتنتشــر فيــه الفيروسات والمبيدات السامة التي تهدد صحة الإنسان والحيوان وتضر ايضا بالنبات أبلغ الأضرار؟.

٢- علم مصر :

عـــلي أرض مصـــر يرفـــرف العلم الذي تهفو إليه القلوب عندما يرتفع بشــموخ ويشدو الجميع مع رؤيته بالنشيد الوطني، فتزداد أواصر المحبة والانتماء بين الجميع وبين تراب مصرنا الغالية .

ونحـــن حيـــن نحـــي العـــلم فإننا نحي في نفس الوقت مصر كلها فردا فردا،ونحي رئيس مصر ومن معه من المسؤولين الذين يعملون من أجل الخيـــر لجميـــع ســـكان مصر، ونحى أيضا في مصر :الحضارة والقوة والثقة .

وحيـــن يقـــف الطلاب أمام العلم كل صباح لتحيته ، فإنهم بذلك يجددون العهد مع الوطن بالدفاع عنه في كل الأوقات .

فالعلم هو الرمز الذي يتوحد تحته الجميع لتعميق الولاء والانتماء والحب لرموز الوطنية حيث يكون هتاف الجميع تحيا مصر... تحيا مصر .

ومصـــر هـــي أول دولـــة فـــي العـــالم إستخدمت العلم رمزا لوحدتها وشـــرفها،ويدل عـــلي ذلـــك الـــنقوش التي وجدت علي المعابد والآثار المصرية .

وقــد تغيــرت أعلام مصر القديمة بتغير موقع عاصمة مصر من مدينة منف أحيانا ومن سيوة أحيانا أخري ، ومن مدن مصر العليا أحيانا ثالثة ، ومن منطقة الشرقية وعلي مشارف الدلتا مرات عديدة.

وتغيرت أعلام مصر القديمة أيضا بتغير الملوك والأسر الحاكمة ،وتغير العصور المختلفة علي مر الزمان، فالحضارة المصرية عمرها يزيد عن ستة آلاف عـــام.

رفــرفت أعلام مصر القديمة منذ أن وحد الملك مينا القطرين ،وإتخذت مصـــر مـــن زهـــرة الـــبردي ثم زهرة اللوتس رمزا لها علي أعلامها وراياتهـــا الـــتي تـــرفعها. كما إتخذ الجيش المصري في أحيان أخري الزهورالمشـــهورة كرمـــز لـــه يرفعه علي علم مصر،ثم إتخذ بعد ذلك صورا تمثل القوة مثل :

الصقر كرمز للقوة والانقضاض وحدة البصر .
أو الحمامة كرمز للحرب من أجل السلام .
أو نصف قرص الشمس كرمز للنور الساطع .

ولا ننســـي أنه مع عهد الرسول صلي الله عليه وسلم إستخدمت الرايات والأعـــلام فـــي السرايا والغزوات - السرية هي الغزوة التي لم يشارك الرسول فيها بنفسه،أما الغزوة فهي التي يشارك فيها - فكانت أول راية

عقدهـــا الرسول هي راية عبيدة بن الحارث في أول سارية من سراياه. كمـــا حمـــل عـــلي بن أبي طالب كرم الله وجهه لواء النبي في غـــزوة الفهري

- اللواء هو العلم الذي يرمز إلي القيادة والسيادة للجيش أوللأمة – وحمل اللواء أيضا سعد بن أبي وقاص في غزوة بواط ، وحمله حمزة بن عبد المطلب في غزوتي الأبواء والعشيرة.

وفـــي بـــدر إتخذ الرسول راية للأنصار وراية للمهاجرين ، وكذلك في غزوة أحد وبقية الغزوات . وتتأكد قيمة التمسك بالعـــلم في غزوة مؤته وهـــي الغـــزوة الـــتي ولي فيها الرسول قيادة الجيش الاسلامي لزيد بن حارثـــة الذي ظل رافعا راية المسلمين ويقاتل حتي إستشهد ، فحملها من بعده عبد الله بن رواحة حتي إستشهد أيضا ، فحملها جعفر بن أبي طالب المـــلقب بجعفر الطيار لأنه حمل الراية بذراعه الأيمن حتي أطاح الكفار بذراعه ، فحملها بذراعه الأيسر الذي قطعة الكفار أيضا ، فأمسك الراية بعضديه حتي لا تسقط إلي أن إستشهد ، فتسلم الراية خالد بن الوليد الذي حافظ عليها خفاقة عالية وخرج من المعركة سليما بجيشه ومنتصرا بعد معركة ضارية .

وفي حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ بعد إقتحام ما يسمي بخط بارليف الـــذي أقامة الاسرائيليون علي إمتداد الضفة الشرقية لقناة السويس بعد حرب ٥ يونيو عام ١٩٦٧ .

كان أول عمل قام الجنود البواسل هو رفع العلم المصري علي هذا الخط تأكيدا لسيادة مصر عليه بعد إقتحامه .

ويرفــرف العلم المصري خفاقا علي الوزارات والمصــالح والمؤسسات والمــدارس والجامعــات وفي ساحات المشروعات رمزا لما تؤديه من خدمات للمواطنين ولمن يعيشون في أمان علي أرض الوطن .

والعــلم له شكل مميز ، ويعبر عن دلالات معينة ،إذا رآه الانسان يعرف فورا ما يرمز إليه ، ويعرف معاني ألوانة وإسم دولته وعمقها الحضاري .

***

أعلام مصر في القرن العـشرين

تغيـر علم مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر حيث إتخذ أشكالا وألوانا منذ عهد محمد علي وحتي الآن أوجز ذلك فيمايلي :

في عهد محمد علي من عام ١٨٣٢ :

كـان عـلم مصـر علي شكل مستطيل أحمر وبه هلال أبيض ويتوسط الهـلال نجمة بيضاء خماسية الأطراف ، وإستمر هذا العلم رمزا لمصر لمدة تقرب من ٤٤ عاما .

في عهد الخديوي إسماعيل من عام ١٨٧٢ :

تغيـر إلي مستطيل أحمر به ثلاثة أهلة بيضاء ، وبكل هلال منها نجمة خماسية بيضاء ،وقد تميز هذا العلم بالدلالة ،لأن النجوم مع الهلال ترمز إلـي عقيدة مصر الإسلامية ودينها السماوي .وإستمر هذا العلم لمدة ١٥ عاما.

ثورة عرابي ١٨٨٢ :

أعيـد العلم المصري القديم الذي كان في عهد محمد علي (الهلال الواحد وبداخلـه الـنجمة)،ولكن الجماهير إشتاقت إلي العلم الثاني الذي أعلنه

الخديـــوي إسماعيل (المستطيل الأحمر وبداخله ثلاث أهلة بيضاء) حيث أعيد في عام ١٩١٤ .

** *

ثورة ١٩١٩ :

بعـــد إنتصــــار إرادة الشــــعب بقيادة سعد زغلول ،وحصول مصر علي ســـيادتها وإستقلالها تغير العلم في ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ تغيرا شاملا لكي يعـــبر عن ثورة الشعب المصري الخضراء ، فتكون العلم من مستطيل أخضـــــر في وسطه تماما هلال أبيض كبير ، وبداخل الهلال ثلاث نجوم بيضــــاء ، وهو يرمز إلي خصوبة مصر الزراعية وإلي ما فيها من خير ونمــــاء ، مـــع عقيدتها الدينية الإسلامية ، وإرتبط المصريون كثيرا بهذا العلم حتي قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ثورة ١٩٥٢ :

ألغت الثورة النظام الملكي ، وجاءت بالإصلاحات الإقتصادية والسياسية والإجـــتماعية ،وحققت مصر الإستقلال الوطني الكامل ،وأصبحت مصر لأول مرة حرة مستقلة الإرادة .

وتغيـــر العـــلم عام ١٩٥٨ ليناسب الواقع الجديد وهو الإستقلال التام ثم الوحـــدة مع سوريا حين تكونت الجمهورية العربية المتحدة . فكان العلم الجديـــد ثلاثة مستطيلات عريضة . العلوي أحمر ،والأوسط أبيض وبه

نجمـــتان ترمزان إلي الشعبين المصري والسوري ووحدتهما ، والأسفل أسود للدلالة علي إنتهاء عصور التخلف والإستعمار .

وبعـــد إنتهاء الوحدة المصرية السورية تبدلت النجمتان بنجمة واحدة ،ثم بـــثلاثة نجـــوم ، ثم بنسر ،وتبدل النسر عام ١٩٧١ بصقر قريش ،وعاد النسر مرة أخري في المربع الأوسط الأبيض .

علم مصر الحالي :

عبارة عن مستطيل يبلغ طوله ضعف عرضه، وينقسم لثلاثة مستطيلات عريضة :

المســتطيل العلوي :لونه أحمر وهو اللون الذي يدل علي أن مصر تعيش أزهـــي عصورها ،فاللون الأحمر هو أقوي الألوان وأكثرها تعبيرا عن القوة والأمل والإشراق والتقدم .

المســتطيل الأوســط :لونـــه أبيض ،وهو لون الفطرة الذي يعبر عن واقع إسلامناوقيمناوعاداتنا ،هو لون الحليب الصافي ، لون الـــنظافة ، لون البساطة لون الطبيعة الصافية النقية . ويوجـــد النســـر داخـــل المستطيل الأبيض ينظر إلي اليمين بلونه الذهبي الهادئ الجميل .

وهنا نتساءل لماذا النسر ونظرته إلي اليمين ؟

لأن النسر هو أقوي الطيور علي ظهر الأرض ،ويوجد النسر المصري فـــي كـــل صحراء مصر الشرقية وصحراء مصر الغربية ، ويحلق في

سـماء الأرض المصرية ،وهو من الفصائل المصرية النادرة . ووجوده علي العلم يعبر عن قوة مصر وحضارتها منذ آلاف السنين ، وإتجاه نظر النسر إلي اليمين يرمز إلي التفاؤل، حيث أن اليمين هو الطريق الصحيح الذي نتخذه دائما في كل حياتنا.

المستطيل الأسفل : أسود اللون ، ليعبر عن أن عصور التخلف والقهر والإستبداد والإستعمار قد ولت ،وبهذا اللون تتذكر الأجيال أيام نضال الأجداد ضد الظلم والظالمين ،كما يذكر الأجيال الحالية بضرورة الدفاع عن أرض مصر وبتكاتف الأيدي للذود عن قيم ومبادئ وعادات الشعب المصري العريق .

هذا هو العلم المصري العظيم ... رمز مصر، وهو العلم الذي رفعه جنودنا البواسل علي أرض سيناء الحبيبة التي حرروها.

هذا هو العلم الذي شهد إنطلاقة مصر الكبري نحو الحضارة والحرية والبناء والتعمير .

هذا هو العلم الذي تدخل معه مصر آفاق القرن الحادي والعشرين قوية عزيزة متقدمة تحت رايته .

٣- النشيد الوطني :

علي نغمات النشيد الوطني يرتبط الجميع بأحلام الوطن وآماله وطموحاته، ويتوهج في النفوس الإنتماء والحب والوفاء ،وتسري في العروق قيم الولاء والتضحية في سبيل الوطن العزيز .

والنشـــيد الوطني يجمع أبناء الوطن علي كلمات واحدة تزيد من تماسك بـــنائه، وهو بلورة لتاريخ الأمة المجيد ،ويعبر عن حاضرها ومستقبلها ويحفز أبناء الوطن علي مزيد من فداء الوطن والتضحية في سبيله.

فكـــلماته هـــي مشـــعل الحماس الذي يجمع كل فئات الأمة حيث تنشر الحماســـة والأمـــل لـــدي أبناء الشعب لتحقيق مافيه من العزة والسيادة للوطن.

أناشيد مصر القديمة :

عـــرفت مصـــر الأناشـــيد القوميـــة منذ فجر حضارتها بداية من توحيد مملكـــتي الشمال والجنوب بقيادة الملك مينا في العصر الفرعوني الأول عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد .
وكانت الأناشيد المصرية سلاحا من أسلحة المصريين القدماء ، توج بها مـــلوك الفراعنة إنتصاراتهم ،فعلي سبيل المثال عندما إنتصر الملك بيبي الأول عـــلي جحافل الأسيويين وطاردهم إلي شمال شرق الشام كان هذا النشيد :

لقد عاد الجيش سالما بعد أن خرب بلاد البدو
وبعـــد أن أدب بلاد ســـكان الرمـــال
وبعد أن أزال قلاعهم ، وقطع أوصـــالهـم
وبعد أن حمل الحديد والنار بين كل سكانهـم
وبعد أن قتل كل جنودهم بعشـــرات الألـــوف
وجـــاء معـــه بجنـــود أســـرى

ويوجـد أيضا علي جدران معبد الكرنك أنشودة وطنية لإنتصارات الملك تحتمس الثالث منها :

عندما يسمع الأعداء نداء الحرب يلجاون للكهوف
وانوفهم حرمت من الهواء ،وقلوبهم ملئت رعبا
سندمرهم ونقطع رؤوسهم
وسندوس بالقدم علي عظمائهم
ولابد أن نطأ الأعداد ونضربهم

كما يوجد العديد من الأناشيد التي تسجل إنتصارات الملك منبتاح ومنها:
الثناء لك يا صقرنا المقدس

الذي حمي البلاد ومد حدودها
الذي قهر البلاد الأجنبية بتاجه .
وضم أرض مصر باقليميها بين ذراعيه
وأمسك أرض الأعداء بقبضته
الذي ذبح رماة السهم بغير ضربة عصا
وأمات الألوف من الغزاة قبل أن تطأ أقدامهم أرضنا
يا من جعل الناس تنام في أمان حتي الفجر
وجعل جنوده يطمئنون وقلبه ساهرا عليهم
يامن أوامره فاقت حدوده
وجعل أعداءه يولون الأدبار

وقـد كـان لهذه الأناشيد الفرعونية أثرها العميق في تقوية النفوس ودفع أبناء الوطن إلي التضحية لحمايته من كل مغير .

الأناشيد المصرية الحديثة :

بـــدأت الأناشـــيد المصرية القومية مع ثورة أحمد عرابي حين أيده جميع المصريون ضد المحتلين ومن ساندهم من الحكام الخونة .
وإســـتمرت الأناشـــيد فـــي ثورة ١٩١٩ التي قادها سعد زغلول،وطوال نضـــال الشـــعب المصـــري حتي الإستقلال . فقد ردد الطلاب في ثورة ١٩١٩ نشيدا يحرص علي البذل والفداء من تأليف الأديب عباس محمود العقاد ويقول النشيد :

قد رفعنـــــا العلم	للعـــــــلا والفـــدا
في عنان الســـماء	حيّ علي أرض الهرم
حيّ علي مهد الهدي	حيّ علي أم البقـــاء
كـــم بنـــت للبنين	مصـــــــر أم الحياة
في عريق الجـدود	أمـــة الخـــالدين
من يهبها الحيـــاة	وهبتـــــــه الخلود

وبمـــجئ ثـــورة ٢٣ يوليـــو ١٩٥٢ كان نشيد القسم الذي ألهب حماس جماهيرمصروقد كتبه محمود عبد الحي .

يقول النشيد :

أقسمت بإسمك يابلادي فإشهدي   أقسمت أن أحمي حماك وأفتدي
ســـــأفي بعهدك بالفؤاد و باليد   وبنورك حبك استضئ وأهتدي
أقســــــــمت بإسمك يابلادي

وبعد إنتصار مصر علي العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦،والذي إشتركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل كان محمود حسن إسماعيل "يد الله" معلنا:

أنا النيل مقبرة للغزاة أنا الشعب ناري تبيد الطغاة
أنا الموت في كل شبر إذا عدوك يامصر لا حت خطاه
يد الله في يدنا أجمعين فصبوا الهلاك علي المعتدين

وكان أيضا نشيد "الله أكبر" لعبد الله شمس الدين نشيدا قوميا لمصر في فترة من فترات الثورة ، يقول النشيد :

الله أكبر فوق كيد المعتدى والله للمظلوم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سأفتدي بلدي ونورا الحق يسطع في يدي
قولوا معي قولوا معي الله فوق كيد المعتدي

ثم جاء نشيد والله زمان ياسلاحي الذي ألفه صلاح جاهين ليكون نشيدا قوميا في فترة من فترات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .وتقول كلمات النشيد :

والله زمان ياسلاحي إشتقت لك في كفاحي
إنطلق وقول أنا صاحي ياحرب والله زمان
والله زمان علي الجنود زاحفة بترعد رعود
حالفة تروح لم تعود إلا بنصر الزمان
هموا وضموا الصفوف شيلوا الحياة علي الكفوف
ياما العدو راح يشوف منكم في نار الميدان
يامجدنا يامجدنا ياللي اتبنيت عندنا

بشـــــقـــانا و كـــــــدنا عمــرك مـــــا تبقـــي هوان
الشعــب بيزحف زي النور الشـــــب جبال الشعب بحــور
بركان غضب بركان بيفور زلزال بيشــق لهــم في القبور

النشيد الوطني لمصر :

كتب هذا النشيد يونس القاضي ،ولحنه سيد درويش تقول كلماته:

بلادي بلادي بلادي لك حبـــــــي وفؤادي
مصـــــر يا أم البلاد أنت غايتي و المــراد
و علي كــــل العباد كم لنيلك من أيـــــادي
مصـــــر يا أم النعيم فزت بالمجـــــد القديم
مقصـــدي دفع الغريم وعلــــي الله إعتمادي
مصر أنت أغلي درة فوق جبين الدهر غرة
يابـــلادي عيش حرة و إسلمي رغم الأعادي
مصــــر أولادك كرام أوفياء يرعوا الزمـــام
سوف نحظي بالمراد بإتحـــــادهم وإتحادي

وعـــندما نـــتأمل أبيـــات هـــذا النشيد نري أنه يثير العواطف والأشجان ويضـــاعف مـــن أحاسيس الانتماء والولاء ،ويقوي من الشعور بالفخر والعزة لمصرنا الغالية .

الـــبيت الأول مـــنه يؤكد علي الإنتماء وعلي حب بلادنا التي عشنا علي أرضــــها ، وترعرعــــنا خلال وديانها وسهولها وفوق ترابها،وشربنا من مائها،وتنفســـنا من هوائها ،ونتمتع بخيرتها، فمن الواجب علينا أن نعطي بلادنا حبنا وقلبنا وجهودنا ونضالنا لترقي بالعلم والعمل بين دول العالم .

والبيت الثاني يتواصل فيه الفناء والعطاء ، فمصرنا هي بلادنا، وهي أم البلاد في الحضارة والعطاء ،فهى أم البلاد بما قدمته للعالم منذ فجر التاريخ من علم وفن وحكمة ، وكان موقعها بين ثلاث قارات:أسيا وأفريقيا وأوروبا سببا في إنتشار عطائها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

وغايه كل مصري هو أن تكون مصر شامخة بإستمرار، متقدمة ومتطورة تسود العلم بالعلم ،وتستعيد مجدها القديم بالأدب وبالأخلاق المصرية الأصيلة.

والبيت الثالث يبرز أيادي العطاء لنيل مصر ، فهو يقدم الخير لشعوب حوض نهر النيل علي أرض أفريقيا ،ويمتد هذا العطاء إلي غيرها من بلاد العالم الأخري ،فالنيل هو مصدر النماء والخير الوفير لمصر ولما جاورها من بلاد وشعوب .

ويشير البيت الرابع إلي أن مصر هي واحة الله في أرضه لجمال موقعها واعتدال مناخها ،وخضرة أرضها بزرعها وثمارها ونخيلها وأشجارها ، ثم كرم شعبها بجده وصبره وعلمه وعمله ،مما أهل مصر لتحظي بالمجد التاريخي المعروف لكل دول العالم .

فقد كانت مصر ولا تزال نعيما حضاريا بعزيمة أبنائها ،وبعطاء علمائها وبحكمة زعمائها وقادتها ،وبصناعتها الحديثة ،وبجامعاتها ومصانعها وآثارها وثروتها ،وثراء أرضها ،وبقوة جيشها وجنودها الذين هم خير أجناد الأرض .فعلي أيديهم إنهزم التتار في معركة عين جالوت ، وإنهزم الصليبيون في الشام وفي المنصورة .وبهذا حمت مصر الأمة الاسلامية كلها بل العالم كله من خطر عظيم .

ويوضـــح الـــبيت الخامس أن قوة الايمان متأصلة في نفوس المصريين، فالمصـــري ينطـــلق مدفوعا بحب مصر إلي الذود عنها ، ودفع المعتدي عليها أيا كان .وأنه علي إستعداد لأن يضحي في سبيل ذلك بحياته وبكل شئ معتمدا في ذلك علي الله سبحانه وتعالي .

والمصـــري بعد أن حرر مؤخرا بقوة الإيمان والسلاح والعزيمة أرض سيناء، راح يحرر القلوب والعقول بمبدأ السلام الذي يعني الأمن والبناء والـــتقدم في ظل الإستقرار بعيدا عن توتر المعارك والحروب .فالإعتماد علي الله بالحرب يكون عند الضرورة ، ويكون بالسلم والايمان الصادق ،لأن الله هو خالقنا.

ويشـــير الـــبيت السادس إلي أن مصر فوق الزمان عبر التاريخ من قديم الـــزمان وحتي الآن ، وهي شرف الحضارات ،وهي فوق الجبين ،وهي تاج العالم وكنزه وملجأ العالم في السلم والحرب .

أمـــا البيت السابع فهو نداء ودعاء وأمل وأمنية ورجاء أن تعيش مصر حـــرة عزيـــزة مسالمة في السلم رغم كيد أعدائها ورغبتهم في إضعافها ورجاء أن تستمر مصر في حريتها وكرامتها ووحدتها رغم كيد الأعداء .

والمقطع الأخير وهو البيتين الثامن والتاسع فهو ذكر صفات جيدة تشمل المجتمع المصري بكل فئاته .وجميعهم لهم صفات واحدة كريمة وأخلاق فاضلة .فشعب مصر كريم معطاء من صفته الوفاء وبإتحاد الأبناء علي أرض مصـــر سوف يتحقق المراد والأمل بإذن الله في تحقيق الحضارة والمجد والتقدم والرخاء .

فالمصـــري يتصـــف بالكـــرم والوفـــاء ويحـــافظ عـــلي العهد ويرعي الجواروالجـــار ويخـــلص للصديق ويتحد مع القريب ويتوحد مع الأهل والإخـــوة ويـــوفى بالإلـــتزام ،ويضحي من أجل السلام العادل ،وتتجسد شخصـــية المصـــري في التعاون من أجل الخير والرفاهية ، ومن أجل سمو الأخلاق الرفيعة والمعاني السامية والقيم الفاضلة .

وهكـــذا نـــرى أن معـــاني النشيد تتحدث حقيقة عن مصر العظيمة في الماضي والحاضر والمستقبل ... عن مصر العطاء والخير والنماء.

***

الفصل الثاني

قبسات من تاريخ مصر وحضارتها

* * *

وقف الخــلق ينظرون جميعا كيف أبني قواعد المجد و حــدي
وبنــاة الأهرام في ســـالف الدهر كفوني الكلام عند التحــدي
أي شئ في الغــرب قد بهــر الناس جمــالا ولم يكـــن عندي
هــل وقفتــم بقمة الـــهــرم الأكبر يوما فرأيتم بعــض جهدي
هــل رأيتم تلك النقوش اللواتي أعجزت طوق صنعــة المتحــدي
هل فهمتم أسرار ما كان عندي من علوم مخبــوءة على بــردي
ذلك فــن التحنيط قــد غــلب الدهر و أبلي البلي وأعجــز ندي
ورصدت النجوم منذ أضــاءت في ســماء الدجي فأحكمت رصدي

مصر تتحدث عن نفسها : لشاعر النيل حافظ إبراهيم

الانسان المصري والبيئة

عـــاش الانسان المصري الأول يجوب الصحراء ويتنقل فيها عندما كان مناخها لطيفا، وجاء الجفاف بمرور الزمن بعد عصر الجليد ،وشمل هذا الجفاف جزءا من قارة أفريقيا وجزءا من قارة أسيا ، فإندفع المصريون إلي نهر النيل وإستقروا في واديه وإرتبطوا به أشد الإرتباط .

وبهـــذا غير المصريون موطنهم من الصحراء والمرتفعات إلي الوادي، وتغيـــرت تبعا لذلك طرق معيشتهم ، وبتغير الموطن من الصحراء إلي الوادي بجانب تغير المعيشة كانت مصر كما عرفها التاريخ .

والبيـــئة التي هبط إليها الرواد الأوائل من المصريين كانت بيئة بدائية لا تصلح سكنا لهم ، ويصعب الإستفادة منها وإستغلالها، وأثرت هذه البيئة تأثيـــرا كـــبيرا فـــي سلوكهم وتطورهم ، فقد غرست فيهم روح التحدي لطـــبيعة الأرض ، فكـــان لـــزاما عليهم أن يغيروا البرك والمستنقعات والأدغـــال (الأشجارالكثيفة العالية) والآجام (الأشجار الكثيفة الملتفة) بجهدهـــم الشـــاق والمستمر ، وبعملهم الجماعي المضني وذلك في شق المصـــارف والـــترع ومواجهة أخطار فيضان النيل أو جفافه ، وضبط مياهه ، وفي تربية الحيوان وزراعة النبات .

وقد أدت المشاكل التي واجهوها إلي توحيد جهودهم وتضامنهم ، وفرض النظام والطاعة علي الجميع ، فكانت مصر من أعرق بلاد الأرض نظاماً وحكماً وإدارة .

فكانت الحكومة ضرورة من ضرورات الحياة الأولي فرضتها ظروف الحياة في وادي النيل حيث كان السكان في حاجة ماسة إليها منذ أن إنبثق فجر الحضارة الزراعية المستقرة علي ضفتي نهر النيل وفي دلتاه منذ آلاف السنين .

ثم كانت الوحدة والنظام وهما صفتان لازمتا المجتمع المصري الذي يقوم علي الزراعة .فالوحدة كانت ضرورة حتمها جريان النيل من الجنوب إلي الشمال مخترقا كل أرض مصر حتي البحر المتوسط مغذيا الأرض بالماء والغرين الذي يجدد خصوبتها ، ومتيحا المواصلات بين مختلف مناطق الوادي والدلتا ، فتيار النهر يدفع السفن في جريانها من الجنوب إلي الشمال، وتدفعها الرياح الشمالية السائدة في صعودها نحو الجنوب .

وقد أخرجت عناصر البيئة في مصر بتعاونها مع جهود البشر من المصريين حضارة عريقة متصلة الحلقات إستطاعت أن تغالب الدهر وأن تبقي مع الزمن ، فالصحراء تحيط بالوادي من كل جانب ، ونهر النيل تجري مياهه بإنتظام وتفيض بالخير في كل عام ، والتربة الزراعية دائمة الخصب، والجو صالح للإنبات والنمو والانتاج ، والثروة الزراعية والحيوانية غنية وافرة ، والإتصال النهري سهل وميسور بين أجزاء الوادي المختلفة، والموقع الجغرافي الفذ جعل مصر متميزة بين بحرين هما البحر الأحمر الذي يتصل ببلاد الشرق والمحيط الهندي ،

والـبحر المتوسط الذي يمتد إلي بلاد الغرب والمحيط الأطلسي ،كما أنها بين قارات أسيا وأفريقيا وأوروبا . سكل هذه العوامل حتمت علي وطننا مصـر "الوحدة الكاملة " وحتمت أيضا النظام الذي كان ضروريا لتوحيد الجهود وتنسيقها وضمان المجهود الجماعي في إقامة الجسور وحراستها طوال موسم الفيضان، وتشييد القري علي مرتفع أوتلّ أو كومة صناعية تواجـه خطـر الفيضان الذي كان يداهم الجميع ويهلك الحرث والنسل، ولـتحقيق الـنفع العام والفائدة المشتركة من مياه نهر النيل . وهكذا كان شـعب مصـر ببيئته شعبا نظاميا منذ البداية ، وكانت إستجابته لدواعي الـنظام والطاعة والعرف والقانون سجية من سجاياه التي فرضتها علية طبيعة البيئة التي عاش عليها بإستقرار وأمان .

ملامح حضارية :

إن السـر فـي بقاء الحضارة المصرية كما يقول الأديب نجيب محفوظ يكمن في أن المصري كان أول من أخرج الحياة إلي الأرض ، لذلك فهو حـريص عـلي هذه الحياة ، ويعرف كيف يحافظ عليها ، إن المصري القديـم هو مكتشف الزراعة ، وهو أول من قدس الخضرة ، ولقد شعر المصري علي مر العصور أن مهممته هو أن ينمي الحياة التي يقدسها . لقـد إحتضـنت مصر كل الحضارات في أمومة واضحة ، فقد جاء إلي مصر الفرس ثم الأغريق ثم الرومان ، ثم العرب وقد كان من نتيجة ذلك أن أصبح وادى النيل كتاباً عالمياً لجميع الحضارات ، فكل حضارة جـاءت تـركت توقيعها في هذا الكتاب ، ففي القاهرة نستطيع أن نشاهد الآثـار المصرية القديمة والإغريقية والرومانية والقبطية والإسلامية إلي جـانب الحضـارة الحديـثة ، وهـذه الآثـار ما هي إلا بصمات لتلك الحضـارات . فقـد جاء الغزاة إلي مصر بالجيوش والأساطيل فغزتهم

مصـــر بالحضارة لأن حضارتها كانت أقدم وأعرق من حضارة كل من غزاها .

ثـــم ان قدرة مصر وصلت إلي حد إستيعاب كل من غزاها حتي أصبح الغــزاة يتشــبهون بهـــا ، ويتخذون من عاداتها بل ومن دياناتها عادات وديانـــات لهـــم ، وقد جعلها ذلك في حقيقة الأمر غير محتله لأن الحاكم الأجنــبي كـــاد يصـــبح في النهاية مصرياً ، وخير الأمثلة علي ذلك والقول أيضا لنجيب محفوظ الإسكندر الأكبر الذي تأثر بمصر لدرجة أنـــه سمي نفسه إبن آمون إله المصريين ، ولبس لباس الفراعنة وأوصي بعـــد موته أن يدفن في أرض مصر . وكليوباترا التي إستغلت مواهبها وذكائهـــا فـــي الدفـــاع عن مصر وإستقلالها وذلك من خلال محاولتها السيطرة علي كل من أوكتافيوس وأنطونيوس قواد الرومان .

ونابليون بونابرت الذي عاد إلي فرنسا بعد حملته علي مصر حاملا معه مـــا يعـــرف باسم "الولع بمصر" فبدأ عهد من الدراسات المصرية غير مســبوق ، وتغلغـــلت مصر من كل الجوانب الحياة في فرنسا حتي في الأثـــاث ، وأيضا محمد علي في التاريخ الحديث وهو العسكرى الألباني الـــذي إســـتقل بمصر وحكمها هو وأبناؤه حتي عام ١٩٥٢ ، وهو الذي أخـــرج المصـــريين من ظلمة التاريخ إلي مسرح الحياة ويعتبر مؤسس مصـــر الحديـــثة . وأيضـــا الجنرال دى سيف de save الذي استوطن مصر وأصبح سليمان باشا الفرنساوى الذي يقود الجيوش المصرية .

كـــانت مصر في مطلع التاريخ مقسمة لعدة أقاليم ، سكن كل إقليم أناس مـــن أصـــول جغـــرافية واحـــدة ، وكان لكل جنس شعاره ودينه وإلهه وطقوســـه ، ثـــم توحدت هذه الأجناس في مملكتين :إحداهما في الشمال

وهــم آســيويون، والأخرون في الجنوب وهم أفارقة ،وكان ملك الشمال يضع فوق رأسه تاجا أحمر ، وملك الجنوب يضع تاج أبيض .

وحوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م أي منذ ٥٢٠٠ سنة تمكن الملك مينا أو نارمر وهــو أحــد ملوك الجنوب من توحيد البلاد ، ومع هذا الملك يبدأ تاريخ مصــر القديمة ، وهذا التاريخ يقسمة المؤرخين إلي أربعة أدوار حكمت خلالهــا ثلاثون أسرة ، وقد تميز كل دور من هذه الأدوار بإزدهار في مجال معين .

فعهــد الدولــة القديمة الذي يمتد لمدة ألف وتسع وثمانون عاما من سنة ٣٢٠٠ ق.م إلــي سنة ٢١١١ ق . م تميز بإزدهار البناء خاصة بناء الأهــرامات فــي عهــد مــلوك الأسرة الرابعة ، وأهرام خوفو وخفرع ومنقرع خير شاهد علي ذلك .

وتميــز عهد الدولة الوسطي الذي يمتد لمدة خمسمائة وخمس وعشرون عامــا من سنة ٢١١١ ق.م _ إلي سنة ١٥٨٦ ق.م بإزدهار التجارة مع الخــارج، وبــناء المعــابد والفنون الدقيقة مثل صناعة الحلي والأبنية ، وظهرت القصة كنوع جديد من أنواع الأدب .

وتميــز عهد الدولة الحديثة الذي يمتد لمدة أربعمائة وست وثمانون عاما مــن ١٥٨٦ ق.م إلــي سنة ١١٠٠ ق. م ، وهو العهد الذي يبدأ مع أحمــس الأول الذي طرد الهكسوس وأسس الأسرة الثانية عشرة بنضوج الحضــارة المصرية ورقيها وإتزانها، فقد بنيت المعابد ، واتخذت المقابر شكلا هندسيا جديدا في وادي الملوك ، وكثرت المسلات التي هي عبارة عن نصب حجري يتألف من كتلة رباعية يتراوح إرتفاعها بين ٢٠،٥٠

متـرا ونسبة قاعدتهـا إلي ارتفاعها هي نسبة ١ : ١٠ ، وترمز عند المصريين القدماء إلي الشمس .

وكـانوا يكسـون قمـتها بصفائح من البرونز أو الذهب ، وأحيانا كانوا يغطـون جسمها كله بالذهب ،وقد نحتت معظم المسلات الملكية الضخمة من جرانيت أسوان الوردي . وفي عهد هذه الدولة حدثت ثورة إخناتون الدينية التي دعا فيها إلي عبادة قرص الشمس الإله الواحد ، وإتجه الفكر في مصر إتجاها جديدا تميز بالميل إلي الطبيعة وحرية التعبير والواقعية في الفن والأدب .

وقـد قـام فراعنة هذه الدولة بأعمال عظيمة خاصة تحتمس الثالث الذي إسـتمر حكمة ٣٣ عاما إمتد من عام ١٤٨٣ ق.م ١٤٥٠ ق.م ، وقد لقـبة المؤرخـون بنابـليون مصر لإنتصارة في معركة "مجدّو" شمال فلسطين ، ولبسط نفوذه حتي نهر الفرات،ولتوسيع ملكة نحو الجنوب .

كان المصريون صناع حضارة الحضارات ، فحضارة مصر القديمة من صـنع عبقريتهم في شتي العلوم والفنون . هي حضارة عريقة من أقدم حضارات الدنيا وأكثرها عمرا .

وينفرد المصريون القدماء بأنهم الشعب الوحيد الذي سجل حضارته فوق جـدران معـابده وصـروحه ومقابره ،فقد كتب ونقش تاريخه وعاداته وحياتـه اليومية وصورها بدقة متناهية . كانت العلوم المصرية القديمة علوما تطبيقية إستفاد منها في حياته وطرق معيشته . مثلا :

- حجر الصوان صنع منه المصري القديم آلات حادة ،وشكل وصنع منه الأواني والزلع والأطباق والتماثيل .

- وصنع من فروع الأشجار روافع .
- وصنع النار ليطهو به الطعام وللدفء ، والنار هي أول وأهم إختراع للانسان لتوليد الحرارة .
- وخزن حبوبة في الزلع والقدور التي صنعها من الفخار .
- وصنع أكوابه من الزجاج ولونها بأملاح المعادن .
- وزرع الأرض ليدبر قوتة ويستغني عن الصيد والقنص وإستخدم النباتات والبذور في الزراعة .
- وأخذ يربي حيواناته وطيوره .

فكان المصري القديم بهذا النمط سيد بيئتة .

العدالة والقانون :

كانت العدالة والقانون من أهم المبادئ التي تسير عليها الحكومة ، وتضمن ذلك مبدأ المساواة في المعاملة تجاه الأفعال المتشابهة ،وتقرير شرعية المستندات بوضع ختم عليها ،وتقديم المستندات بواسطة كاتب حكومي ، وإيداع المستندات في مكتب التسجيل الخاص بالوزير أو بالمعبد ، وحلف الشهود عند الإدلاء بشهادتهم ، وحفظ كل قضية في ملف مستندات خاص بها.

الفلك :

كان للفلك دوره في حياة قدماء المصريين ، وهذا ما أظهرته الخرائط السماوية المصورة التي نقشت فوق أسقف المقابر والمعابد حيث رسمت حركة النجوم ومواقعها ليلا للتعرف علي الوقت .

وإســتطاع الكهــنة الذيــن كانوا يمارسون الفلك من أن يرصدوا خمسة كواكــب سيارة بما فيها كوكب المريخ والنجم الجنوبي ، والنجم الشعري اليمانية والنجم أوزيون .

وإهــتدي المصــريون بــنجم الشــعري اليمانيــة إلــي قــرب فيضان النيل،وإستطاعوا أيضا عن طريقه تحديد سنة التي تعادل ٣٦٥ يوما بينما ســنة الشمس تعادل ٣٦٥,٢٥ يوما . وكان الكهنة يرصدون السماء من أبهــاء المعــابد ،ويســجلون مشاهداتهم الخاصة بحركة النجوم ومواقع الكواكب .

ورصــد المصــريون كسوف الشمس وخسوف القمر ، وعرفوا الشهب .وفــي عهــد تحتمس الثالث سجل الكهنة "المذنب هالي" وهو يتألق في السماء .

وإســتخدم المصريون القدماء إتجاه النجوم في السماء لتحديد مواقع بناء معابدهم، وتم بناء الأهرامات الثلاثة وهي أهرام : خوفو ،خفرع ،منقرع ليكون الأربعة أضلاع لكل هرم بإتجاة الجهات الأربعة الأصلية :الشرق والغرب والشمال والحنوب .

وأهــتم الملك خوفو بالفلك فأقام تلسكوبا بالهرم الأكبر ،وكان عبارة عن أنــبوبة مجوفة مصوبة بدقة نحو السماء ، وكانت فتحتها الخارجية تبرز مــن خارج الهرم تجاه الشمال ،أما الطرف الآخر فكان مدفونا في غرفة عميقــة بالمقــبرة بالداخل لينظر من خلال فتحتة كل من يراقب السماء وينظر إليها .

وكــان الملك خوفو مولعا بالتطلع إلي النجم القطبي ومراقبته ، لأنه كان يعــتقد أن هــذا الــنجم وغيره من النجوم تري من السماء المكان الذي ســيدفن فيه من خلال تلسكوبه عن طريق أضوائها بعد ما يصحو ثانية بعد موته ليعيش حياته الثانية .

وعــرف المصــريون القدمــاء المزولة "ساعة الظل" منذ آلف سنة قبل الميلاد،وكــانت عبارة عن قضيب من الحجر طولة ١٢ بوصة (٣٠سم) وبطــرفه قطعــة عرضــية لتقيس الظل في حالة طلوع الشمس ، وكان طــرف القضيب يشير للغرب في الصباح بعد شروق الشمس من جهة الشرق ،وفي المساء كان يشير للشرق بظلة لأن المزولة كانت علي هيئة حــرف T ، وعــرف قدماء المصريين أيضا الساعة المائية عام ١٤٠٠ ق.م وكــانت عــبارة عن وعاء به فتحه ينقط منها الماء بإنتظام ثابت ،وداخــل الوعــاء علامــات مدرجة ومنقوشة لتشير إلي الوقت .وكان المصري القديم يملأ هذا الوعاء بالماء عند شروق الشمس .

التقويــم :

أحكــم المصــريون القدماء صنع تقويمهم حتي إن بعض خبراء التقاويم قــالوا عــن التقويم المصري :" لا شك أن ذلك التقويم هو التقويم الوحيد الذي تم عمله بذكاء في التاريخ البشري كله " .

قســم الــتقويم المصري السنة إلي ٣٦٥ يوما ،وجعلها ١٢ شهرا ، وكل شــهر ثلاثــون يوما ، وخمسة أيام نسئ (إضافية) تضاف آخر كل عام ،وكــان يضــاف إليها يوما سادسا كل ٤ سنوات ، ثم قسموا الشهر إلي ثلاثة أقسام كل منها عشرة أيام .

وقسـمت السنة إلي ثلاثة فصول ، كل فصل منها أربعة أشهر هي فصل الفيضـان وفصـل الـزراعة وفصـل الحصاد . ونحن ندين إلي قدماء المصـريين بتقسيم اليوم "الليل والنهار" إلي ٢٤ ساعة، ومع ذلك لم تكن ساعاتهم متساوية في الطول ، فاختلف طول كل ساعة من ساعات ضوء النهار الاثني عشرة وساعات الظلام الاثني عشرة أيضا بإختلاف فصول السـنة .ففي الصيف كانت ساعات النهار طويلة ، وساعات الليل قصيرة ، وعكـس هـذا فـي فصل الشتاء ، ورغم هذا كانت الساعات متساوية الطول معروفة في ذلك الوقت .

الفنون المصرية :

كـان لـلفن المصري سماته الخاصة المميزة طرازا معماريا وإطارا زخرفيا وأشكالا تصويرية .

وقـد كان لفكرة الموت والخلود أثرا كبيرا في التصوير الفرعوني حيث كـان الفراعـنة يعتقدون أن الموت عبارة عن إنتقال الشخص من زمن لآخـر فكان الفن المصري قائما علي مبدأ الخلود والسرمدية (الديمومة الـذي لا تـنقطع) ، ومـن خـلال هذا المفهوم العقائدي شيدت المقابر والمعـابد والأهـرامات ، لهذا نجد ان قدماء المصريين أول من سجلوا عقائدهم وحكمتهم وعلومهم علي الجدران وفوق أوراق البردي .فصوروا الفـنون الدينية من خلال مفهومهم عن العالم الآخر بعد الموت ، ويتضح ذلك في التماثيل والرسوم الجدارية والنقوش للحيوانات المقدسة عندهم .

وكان للألوان التي إستعملها المصريون دلالاتها الخاصة عندهم ، فاللون الأسود كان لون القارالذي كان يطلون به المومياوات رمزاً للبعث والحياة،

والـلون الأخضر تعبيرا عن الحيوية والشباب لأن هذا اللون لون النبات والأشـجار ،كمـا كـانوا يلونون الاله آمون باللون الأزرق لون السماء الصافية.

وكان لكل من اللون الأبيض واللون الأحمر دلالة سياسية ولاسيما بعد أن وحد الملك مينا القطرين والملك مينا كان من الجنوب ويلبس تاجا أبيض، وتاج ملك الشمال كان لونه أحمر ، ولهذا كان اللون الأبيض رمزاً للقوة والنصر ، واللون الأحمر رمز لسوء السمعة .

وأتقـن المصـريون فـن مـزج الألوان من الألوان الأساسية كالأسود والأصفر والأبيض والأحمر ليحصلوا علي درجات الألوان المطلوبة .

إن الفن المصري القديم كان فناً ملكياً يدل علي سلطان الملك وقوة الدولة ، فقـد خلف الملوك العظام والأقوياء أبنية وآثار ضخمة وتماثيل شاهقة تعبر عن قوتهم الحقيقية ، وتعكس للناظرين هيبه وعظمة ملكهم .
لقـد أدهشـت المعابد المصرية خبراء الفن العالمين بأبهائها وتصميماتها وروعة بنائها لاسيما وأنها كانت تظهر بأبعاد مذهلة كما في معبد الكرنك ، وبهو الأعمدة والبوابات الكبرى والأفنية الكبيرة حتي التماثيل .

الزراعة

إرتـبطت الـزراعة في مصر بموسم الفيضان ،وزرع المصري القديم أنواعـا متعددة من الحبوب والنباتات . وكانت زراعة الكتان شائعة في مصـر لأنـه كان ينسج ويتم عصر بذوره لإستخراج زيوته التي كانت تسـتعمل فـي الطـب ، وتجـدل ألياقه لعمل الحبال. أما القمح فكان

الفلاحون يحصدونه في موسم حصاده علي أنغام الموسيقي وأطلقوا علي موسم حصاده "عيد حصاد القمح". وكانت النباتات الطبية تنمو في مصر ، وقد عرف الكهنة فوائدها العلاجية ولهذا رسموها فوق جدران المعابد وكان من بينها السنط والصفصاف والداتورة والخشخاش (الأفيون) والحور والدوم والعرعر والحنظل وغيرها من النباتات .

ويعتبر أهالي " مرمدة " بالفيوم أول من قاموا بالزراعة في التاريخ الانساني كله منذ سبعة آلاف سنة قبل الميلاد فزرعوا الأرض ، وقام من بعدهم أهالي "البداري" بإستصلاح الأراضي بعد أن قاموا بتجفيف البرك والمستنقعات ثم زرعوها . ولهذا نجد ان قدماء المصريين قد تحولوا منذ فجر التاريخ من مجتمع استهلاكي للمحاصيل البرية إلي مجتمع زراعي إنتاجي ينتج قوتة بنفسة دون الاعتماد علي ما كانت تغله الطبيعة .

ونظرا لإرتباط الزراعة بفيضان النيل فقد عرف المصريون طرق قياس النيل ومدة الفيضان التي كانت مائة يوم في الصيف ،وتحكموا بطرقهم الخاصة في الفيضان منذ آلاف السنين . وقد أقام الملك سنوسرت الثالث (١٨٧٨-١٨٤٣ ق.م) وهو أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة سدا أمام بحر مويس بطول ٢٧ ميلا لتخزين مياه الفيضان ببحيرة قارون بالفيوم، وكان خزانا ضخما يمد ٢٥٠٠٠ فدان بالمياه ، وكانت هذه المساحة الضخمة قد إستصلحت للزراعة .

الطب والصيدلة والكيمياء :

تعتبر علوم الطب والصيدلة والكيمياء إحدي معجزات قدماء المصريين الكبري، فقد إبتكروا طرقا علاجية خاصة بهم ، ومارس الكهنة بالمعابد

الطب بفن ومهارة من خلال التعاويذ والأدعية الدينية التي كانوا يرتلونها قبل فحص مرضاهم أو أثناء تحضير أدويتهم لحماية أجسامهم من الأرواح الشريرة أثناء فترة العلاج والنقاهة .

وما كتبة المصريون علي البرديات يبين طرق علاج أطباء الفراعنة لمرضاهم والعمليات الجراحية التي كانوا يقومون بها .

وبرع المصريون في علاج أمراض العيون ،وبرعوا كذلك في التشريح والجراحة وإستخدام الآلات الجراحية .

ومارس الأطباء العلاج بالإيحاء النفسي للمرضي عن طريق كتابة كلمات سحرية يدونونها بالمداد الأحمر المصنوع من ماء الورد والزعفران حيث يشربه المريض بعد وضعه في ماء بعد عودته إلي بيته .

وتطورت علوم الصيدلة تطورا كبيرا ، وإستطاع الصيادلة تحضير الأدوية من النباتات وعمل توليفة أعشاب طبية .

وتم جلب بعض الأعشاب من الشام وبلاد ما بين النهرين أو من بلاد بونت (الصومال والحبشة) ،فقد كان الصيادلة المصريون ملمين بالعقاقير العالمية فجلبوها للعلاج وإستنبطوا منها طرقا جديدة للتداوي كالمنقوعات والخلاصات والمحاليل والمراهم واللبخات والحبوب .

وإستخدم المصريون المضادات الحيوية بوضع الخبز العفن فوق الجروح فتندمل وتشفي ، وإستأصلوا الأورام السرطانية ، وعالجوا كسور العظام

بدقة بالغة ، حيث كانوا يستخدمون الجبائر والأربطة الكتانية في علاجها .

الكتابة والتعـلـيـم :

لقـي التعليم ومحو الأمية إهتمام قدماء المصريين ، فكانت الكتاتيب التي كـانت تسـمي "بيـوت النظام " منتشرة في كل أنحاء مصر . وعنيت المدارس الفرعونية بالتربية والتعليم وإلتزمت به كأساس منهجي ، فكان المعلمون يعظون طلابهم ويرشدوهم إلي الطريق القويم .

وإنقسم التعليم إلي قسمين علمي وأدبي ،ومراحله إبتدائي وثانوي وعال ، ولمجانيـة التعـليم كانت كل المدارس مفتوحة لجميع أبناء الشعب ماعدا المدرسة العليا (خنو) التي كانت قاصرة علي أبناء الطبقة العليا والنابهين مـن أبـناء الشعب ، وأنفق الأغنياء علي هذه المدارس لكونها بالمجان لأنهم كانوا علي يقين بأهمية التعليم .

وإرتقي التعليم في مصر الفرعونية لدرجة كانت المعارف الفرعونية لها شـهرتها فـي العالم القديم ، فقد كانت البعثات تفد إليها من بابل وآشور وبلاد الإغريق قبل أن تعرف جامعة الاسكندرية التي بناها البطالمة علي غرار جامعة طيبة بعدة قرون .

وكـانت المدارس العامة والمدارس الأكاديمية ملحقة بالمعابد حيث كان الكهـنة يدرسون بها شتي العلوم والمعارف الفرعونية كالطب والصيدلة والهندسـة والفلسـفة والتاريخ الفرعوني وعهود ملوك الفراعنة وعقيدة آمـون ، وكان بكل معبد مكتبة عامة مزودة بأمهات الكتب والمراجع . وقد إنتشرت الثقافة المصرية القديمة وعلوم الفراعنة من مصر إلي بابل

وسور وأشور واليونان عن طريق الطلاب الوافدين الذين أقاموا وتعلموا فـــي مصر ومنهم ديوسقوريدس وجالينوس وأبو قراط . وكانت جزيرة كــريت أول محطـــة ثقافية وصلت إليها هذه العلوم من مصر عندما نقل الـــتجار الإغـــريق الكتب الفرعونية منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد ،ولقـــد سمحت السلطات الفرعونية لهؤلاء التجار بجانب الطلاب بالسكن في مدينة "توقراطيس" بغرب الدلتا وهي قرب الاسكندرية الأن .

وإنتقـــلت العلوم المصرية لروما بعد أن غزا الرومان بلاد الأغريق عام ١٦٠ ق.م ومنها إنتشرت في كل ولايات روما بأوروبا .

وكـــانت المهمـــة الأساســـية من التعليم تخريج الكتبة والموظفين للجهاز الإداري بالممـــلكة ليعمـــلوا بدواوين الحكومة ، وتسجيل موارد الدولة ، وإمســـاك دفاتـــر حســـاباتها ، وكـــتابة كشوف العمال الذين يعملون في المنشآت العامة ،كما كانوا يتولون مخازن الحبوب والخراج .

وكان للدولة داراً للمحفوظات لحفظ ملفات المملكة ، وكان بكل معبد داراً لـــلمحفوظات لحفظ أوراق البردي التي كانت تضم كشوف المصروفات مـــن أخشـــاب وأدوات ، كمـــا كـــان يحفظ بها ملفات القضايا وشكاوي المواطنين وكشوف تحصيل الضرائب .

الجندية والجيش :

كـــانت الجندية والإنخراط فيها من الأسباب التي جعلت المصري القديم يحـــب وطنه ويعتز به ودفعه نحو النظام والتعاون والتكاتف والتماسك . وإدارة الجيـــش كانت من أهم الإدارات الحكومية ، ويتفرع منها مصلحة .

"بيــت الأســلحة" ومصلحة " مخازن الغلال الحربية " ، ومصلحة " بناء السفن للأسطول ".

ومــن الــثابت أن مصــر تفاخر كل الأمم بأنها كانت الأولي التي نفذت أســاليب الحرب والخطط التي يتبعها قواد الجيوش في العصر الحديث . فــنحن أول مــن قســم الجيش إلي فيالق ويقود كل فيلق قائد أطلق علية رئيــس الجــند (إمى-رامشــع) وكل فيلق يتكون من عدة فرق (عابرو) يشــرف عــلي كــل منها رئيس (حزب) وكان هؤلاء القواد والرؤساء العســكريون يتفرغون لأعمالهم العسكرية الفنية حيث لم يكونوا متصلين بأي عمل مدني .

ونحن أول من كون قلبا وجناحين للجيش ، وأول من فاجأ العدو بحركة الــتفاف حوله ، وأول من أنشأ فرقا ضخمة تحوي الآلاف من العربات الحربية تجرها الخيول وتهجم كلها دفعة واحدة وتوقع الذعر بين صفوف الأعداء وتضطرة إلي التشتت والهرب وتحتم عليه الهزيمة .

ومــنذ عصــور الدولة المصرية القديمة كان التعليم العسكري يقوم علي الــنظام التام والتناسق في الملبس وأنواع الأسلحة ، وكان الجندى يؤخذ وهو صغير السن إلي الثكنات حيث يدرب علي الرماية بالقوس والنشاب وإســتعمال بــلطة الحــرب والدبــوس الضخم المصنوع من الظران ، والحــربة والدرع ، وكان الشباب يتمرنون علي الألعاب الرياضية التي تجعــل أجسامهم ممشوقة، كما كانوا يتدربون علي الكر والفر والقفز في ســاحة القــتال ، وكــانت المصارعة من أهم الفنون التي يتلقونها أثناء تنشــئتهم العسكرية . وعند إنتهاء الجند من تدريباتهم المختلفة ومن تفهم أصــول الحــرب والنزال كانوا يندمجون في الفرق المحلية ، ويمنحون

إمـــتيازاتهم ، ويبقون في أراضيهم يزرعونها حتي ساعة القتال ،وعندئذ كـــانوا يطلـــبون للانخـــراط في سلك الجيش . وكان للأسطول البحري أهميـــة فائقة منذ أقدم العصور ، وكان يتألف من أنواع مختلفة الأحجام مـــن السـفن كـــان بعضها مخصصا للبحر ، والبعض الآخر مخصصا للنهر.

الإتصال الروحي :

إن الإتصـــــال الروحي بين مصر القديمة ومصر الحديثة هو إتصال قوي وكبير فعلي الرغم من أننا نتكلم لغة غير اللغة التي كانوا يتكلمون بها ، وندين بدين غير الذي كانوا يتعلقون بأهدابه ... فالبيئة التي كانت توحي لهـــم سبل العيش وتملي عليهم طرق الحياة هي بيئتنا ، فالإتصال النفسي الوثيـــق الذي يربطنا بمصر القديمة هو دائم ومستمر مادام نيل مصر ، ومـــا دامـــت سماء مصر ، وما دامت الطبيعة باقية في الوادي ، ومادام الشعب المصري يقيم فيه .

***

قبســـات من حضارة مصر الاسلامية

تكوين ثقافة مصر الاسلامية :

كـــان للفتح الاسلامي لمصر عام ٦٤٠ أثره في إنتشار الاسلام تدريجيا بيـــن المصــــريين وفـــي إنتشــــار اللغة العربية التي صارت لغة لجميع المصــــريين مـــن مسلمين ومسيحيين .وتكونت ثقافة إسلامية حيث كانت وفـــود العـــرب علي تلك البلاد بداية لبزوغ عملية جديدة في بناء الأمة المصـــرية ،وكـــان لإرتـــباط مصــــر بـــدار الإسلام أن فتحت الأبواب للمســـتوطنين مـــن الـــبلاد الاسلامية الأخري خاصة المغرب وفلسطين وســـوريا والمماليك إضافة إلي أجناس من الشراكسة والصقالبة وآخرين من البلاد الأفريقية . واستوعبت مصر كل هذه العناصر الوافدة ، فانتمي الذيـــن قدموا منهم إلي الريف إلي طبقة الفلاحين ، أما الذين قدموا منهم إلـــي المدن للتعليم فقد التحقوا بأروقة الأزهر المخصصة لأهل مذهبه أو بـــني قومهـــم من جاء ليتعلم ، أما من جاء للتجارة فإنه إستقر في سوق الأمـــة الـــتي ينـــتمي إليهـــا ، ثم حدث الإختلاط بين المسلمين الوافدين والمســـلمين مـــن أهل مصر ، كما إختلط المســـيحيون الذين جاءوا من الشـــام بالأقـــباط فـــي مصـــر وغيـــرها ، إلا أن القلة من تجار الجملة الأوربيـــون لـــم يختـــلطوا بأهل مصر وكان غالبيتهم من الرعايا اليهود والمســـيحيين . وأدي نشـــاط الـــتجار العرب وسفنهم التي جابت العالم

الإســـلامي والبـــلدان فيما وراء البحار بلغتهم العربية إلي المشاركة في حركة الثقافة الاسلامية .

وتميـــزت ثقافة مصر الإسلامية بذاتية خاصة فهي لم تتجه نحو الإنعزال أو الإنطواء علي النفس ، بل إتجهت نحو الملاءمة بين العناصر الثقافية الـــتي وفـــدت إليها وبين بيئة مصر الخاصة ، وكان للعناصر المسيحية المصـــرية أثـــر كـــبير فـــي إجراء تلك الملاءمة سواء منهم من إحتفظ بمســـيحيته أو تحـــول إلي الإسلام ، فقد علموا الوافدين علي البلاد كيف تـــتلاءم معيشـــتهم مع ظروف مصر من حيث أساليب الزراعة وطرقها ومســـح الأرض ، ونظـــام حيازتها ، وكيفية ريها ، وما يستتبع ذلك من نظـــم إداريـــة ، وكذلـــك كيفية الصناعات التي تقوم علي المواد الأولية المتاحة .

وإســـتجابت الثقافة لأثر البيئة الجغرافية ، وكان تطور مصر الإسلامي يســـير عـــلي نســـق خاص بها إلا أنه في الوقت نفسه كان سريع التأثر بمبادئ الإسلام الأساسية .فكانت أصالة ثقافة مصر الاسلامية ترجع إلي تماســـكها الشـــامل وإرتـــباطها المحكم ، ونمت علوم اللغة والدين وفن العمـــارة ، وتميـــزت الثقافة الإسلامية المصرية ببقائها علي مر الزمن وبطـــول دوامها أطول مما دامت في البلاد الإسلامية الأخري ، كما أنها لـــم تتلق ضربات قاصمة ولم تصبها النكبات كالتي حلت في بلاد أخرى مـــثل مـــا حل بالمغرب علي يد القبائل البدوية ، أو بما لقيه الإسلام في أسبانيا من إبادة وإفناء ، أو ما حل بالشام والعراق وما يجاوره من تدمير وخراب علي أيدى المغول .

***

وثقافــة مصر الاسلامية ثقافة حضارية ، وقد شهدت القاهرة علي وجه الخصــوص إزدهــار تلك الثقافة إزدهاراً كاملاً ، وتبوأت القاهرة مكانة ممــتازة بيــن مراكز الحضارة الاسلامية وذلك في ميادين الفنون ونشر العــلم ومرفهات الحياة ، وقامت مدينة القاهرة الإسلامية بنصيبها الأوفي فــي بــناء مصر السياسي وذلك بفضل هيئاتها المدنية ومعاهدها الدينية ودورها الذي لا يمكن تجاهله في الأحداث .

***

مصر حفظت التراث الاسلامي :

مــنذ قيــــام الدولة الطولونية في مصر التي أسسها أحمد بن طولون عــــام ٨٦٨هــــ بــدأت مصر تمتد شرقا في ظلال الإسلام ، ومدت حدودهــا فــي معظم تاريخها خلال العصور الوسطي إلي الفرات ، ولم تكــن هذه الامتدادات سياسية فقط بل كانت ثقافية أيضا ،لأن مصر كانت قــد تحولــت إلــي قاعدة الثقافية العربية والعلم الاسلامي ، فكانت تنشر عــلمها في كل ناحية وصلت إليها . وأزالت الحدود السياسية بينها وبين الشام والحجاز واليمن فأصبح رجال العلم من أهل تلك البلاد يفدون إلي مصر ليتعلموا أو ليعلموا ، وتحولت مصر إلي ملجأ للعالم الاسلامي كله عند تزايد الأخطار علي بلاد الشرق الإسلامي حيث وصل اليها أصحاب الكتب بكتبهم .

لهــذا نجــد أن مــا يزيد علي ثلث المخطوطات العربية يوجد في مصر وحدهــا، والــباقي موزع علي بقية بلاد العالم شرقا وغربا ،وقد حصل المصريون علي هذه الذخائر الإسلامية بدافع الإحساس العميق بأنهم قوام

علي الثقافة الإسلامية كلها ، وبان الحفاظ علي تلك الكنوز انما هو جزء من رسالة بلدهم الخالدة .

إن المخطوطـــات العربية التي توجد اليوم في مكتبات أوروبا وأمريكا قد اشـــتريت من خارج مصر ، فلم يبع المصريون شيئا من تراث المسلمين بمال لتجار المخطوطات ، لأن المصري يشعر في قرارة نفسه أنة أمين علي هذا التراث الإسلامي .

وقـــد جاء إلي مصر مائة وأربعون من وصحابة الرسول صلي الله عليه وســـلم وأخـــذ عن هؤلاء الصحابة وعن من سمع منهم رواة الحديث ، فجـــاء إلي مصر البخاري ، ومسلم وغيرهما لإستيفاء الأحاديث النبوية وتحقيقها وإثباتها .

وعـــلي ورق البردي المصري سجلت بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ومـــا زالـــت أوراق البردي هذه بما حملت من كلمات كريمة في بعض المتاحف الأوروبية .

وفـــي مصـــر تم كتابة الكثير عن الفقة الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، والتصوف الإسلامي ، مما يعتبر إضافة كبيرة نبتت من العقلية المصرية .

مصر تبنى أول أسطول إسلامي :

لقـــد بنت مصر أول أسطول بحري للإسلام وللمسلمين ، وكان ذلك في العقـــود الأولـــي من التاريخ الهجرى فكانت مصر تصنع السفن الحربية

لأسطول الدولة الأموية وكان الجزء الأكبر من هذه السفن يصنع في "دور الصناعة " أو ترسانات عند جزيرة الروضة ثم تسير في النيل إلـــي الـــبحر وبهذه السفن المصرية وبملاحيها من المصريين كسب المســلمون موقعة "ذات الصواري" سنة ٣٤ هـــ ، وهي موقعة حاسمة انـــتزعت السيادة علي الجزء الشرقي من البحر المتوسط من البيزنطيين وسلمتها للمسلمين عدة قرون .

والملاحـــون المصريون هم الذين أنشأوا ميناء تونس وذلك حينما أرسل حاكم تونس إلي الخليفة عبد الملك بن مروان أن يساعده في إنشاء ميناء جديـــد للمسلمين بعد تهدم ميناء قرطاجة فاتجة الخليفة إلي مصر فأرسلت ألف بحار مصري بعائلاتهم فأنشأوا ميناء تونس ، وبهذا سيطر المسلمون علي الجزء الأوسط من البحر المتوسط .

مصر تحفظ العالم الإسلامي من التتار:

بعـــد أن ضـــعفت الـــدول الإسلامية وتفككت وإنتشر الوباء وإشتد بؤس الـــناس خـــلال النصف الأول من القرن السادس الهجري ، قامت مصر بصـــحوتها،وأخذت المصـــريين حماســـة دينية قومية لا حدود لها وذلك عندما أغار التتار علي ديار المسلمين واحتلوا بغداد وانطلقوا كالإعصار إلـــي الشام وعاشوا في البلاد قتلا وتخريبا ، "وجرت الدماء في الأزقة" مـــن مـــدن الشـــام كما يقول المؤرخون ، وعندئذ هبت مصر وأرسلت جيشـــها يقاتل التتار ، وأنزلت بهم الهزيمة في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـــ واستولت علي اسلحتهم وذخائرهم ، وحفظت العالم الإسلامي من جحافل التخريب والدمار.

مصر مبارك :

هـــي مصر الحرة المستقلة التي تسير سيادتها وفق إرادتها ، هي مصر قـلب العالم العربي وواسطة العالم الإسلامي ، وحجر الزاوية في العالم الأفـريقي، وأصــبحت اليوم من بلادل العالم الرئيسية ، وملتقي زعماء العــالم ، ومقــرا للمؤتمرات العالمية ولها دور بارز في قضايا الإسلام وقضايا العالم الاقتصادية والاجتماعية .

مصــر تبني حضارتها الآن بالعمل الجماعي لأن العمل الفردي لا يبني الحضارات وتستثمر في هذا البناء العلم والتكنولوجيا المعاصرة وتواكب بذلك العصر الذي نعيش فيه وتطوراته .

وللرئيس محمد حسني مبارك إهتمام خاص بنهضة مصر التكنولوجية ، خاصــة تكــنولوجيا المعلومات وإنشاء القاعدة العلمية السليمة لتستطيع مصــر الدخــول مع بدايات القرن الحادي والعشرين إلي مصاف الدول الكبري المتقدمة .

ومصــر تبــني حضارتها بما يميز شعب مصر من الوحدة الوطنية التي هـــي أســاس قــوة مصر اليوم فلا يوجد في مصرنا أقليات خارجة عن المجتمع ، ومسلمو مصر وأقباطها هم مصريون مخلصون يحاربون في سبيل مصر ، ويعملون في بنائها باخلاص عظيم .

ثــم إن إمتزاج سيادة الرئيس بمواطنيه المصريين يسير بهم في الطريق الســليم نحــو البــناء والنهضــة الشــاملة التي نأملها في عهده المتميز بالديموقراطية والعمل الدءووب لصالح مصر والمصريين .

الفصل الثالث

لا أنسي حبك يامصر

- أحفظ تاريخ نضالك ضد الطغـــــاة
- وأعرف ما جري لترابك طوال السنين الماضية
- وأحفظ تاريخ رجـــالك ونســـائك الذين ناضلوا
- وأعتز بزعمـــاء الوطن وبوطـــنية الذين بنوه

صور من المقاومة والدفاع عن مصر

كانت مصر منذ القدم بحكم موقعها المتميز مطمعا للغزاة الذين وصلوا إليها من الشرق أحيانا ومن الغرب والشمال أحيانا أخري ، ولكن صفحات التاريخ سجلت لمصر مواقفها الخالدة ضد هؤلاء الغزاة ، فكانت تهب عن بكرة أبيها للدفاع عن الوطن العزيز ،وكان شعار المصري علي مر العصور هو أن السلام لمن يحب السلام وأن الحرب لمن يريد الحرب،وكان المصري إذا شن الحرب شنها حربا ضروسا لا يعرف فيها شفقة ولا رحمة .

"أوني" ينتصر علي رعاة البدو الساميين عام ٢٤٥٠ ق . م :

كانت أولي الغزوات التي تعرضت لها مصر قديما عام ٢٤٥٠ ق.م في عصر الأسرة السادسة حيث هجمت قبائل البدو الرعاة من الساميين الذين جاءوا من فلسطين علي دلتا مصر عازمين علي الإستقرار فيها بقوة السلاح، إلا أن مصر هبت كلها رجلا واحداً تدافع عن أرضها ،وتسابق الجميع في حمل السلاح مسهمين في هذا العمل الجليل حيث تم طردهم إلي ما وراء حدود مصر . وقد سجل "أوني" القائد الأعلي للجيش المصري قصة الدفاع المجيدة علي جدران مقبرته ، إضافة إلي

تســجيل أنشــودة النصر التي كان المصريون يتغنون بها عند ترحيبهم برجال الجيش المظفر بعد عودتة منتصرا :

هذا الجيش عاد إلي وطنه سالما بعد أن فرق بلاد سـكان الرمال
هذا الجيش عاد إلي وطنه سالما بعد أن دمر حصـون الأعـداء
هذا الجيش عاد إلي وطنه سالما بعد أن اقتلع تينـه وكـرومه
هذا الجيش عاد إلي وطنه سالما بعد أن القـي النار بين جنوده
هذا الجيش عاد إلي وطنه سالما بعد أن أحضر آلافـا من الأسري

وطـارد " أونـي " هـؤلاء البدو خمس مرات في فلسطين ، وفي المرة الخامسـة تعـاون الأسـطول المصري مع الجيش البري . وكانت هذه الحمـلة هي الحملة الأولي في تاريخ مصر إن لم تكن في تاريخ البشرية التي اشترك فيها الجيش والأسطول معا في الأعمال الحربية .

أحمس يطرد الهكسوس من مصر :
١٨٥٠-١٠٨٥ ق. م. :

بعـد ان عـاث الهكسـوس فـي مصر فسادا ، وعصفوا بكل مظاهر الحضـارة المصـرية ، وبعـد أن عاملوا المصريين بقسوة لا مثيل لها ،وذلـك عقب غزوتهم المريرة لمصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد حيـث إحتـلوا الدلتا ومصر الوسطي حتي ملوي (ملوي جنوب محافظة المنيا) واتخذوا "أواريس" في الدلتا عاصمة لهم ــ لم يسكت المصريون ولم يستكينوا للذل والهوان ــ فظهر أبطال التحرير من طيبة المصرية . هـؤلاء الأبطال الذين نجحوا في بث الشجاعة بين المصريين ونشر عوامل الثورة ضد المستعمر المستبد.

كـــان أول هـــؤلاء الأبطـــال هو "سقنن رع" حاكم طيبة فقد جمع رجاله وجيشـــه وحارب ، لكنه لقي حتفه في ميدان الجهاد بعيدا عن طيبة ، هذا الرجل سجله التاريخ كعلم من أعلام الوطنية ،فهو أول من نفخ في البوق معلنا الثورة ضد الهكسوس .

أمـــا الـــبطل الثاني الذي حمل لواء الجهاد متمماً رسالة أبية فهو الشاب الشـــجاع الموفـــور الكرامة المعتز بنفسه "كاموزه" الذي إختار جيشاً من خيـــرة أبـــناء الصعيد وضم إليه رجال بعض قبائل النوبة الموالين له ، وخـــرج بهـــذا الجيش من طيبة لملاقاة الأعداء ، وكان يمون جيشه من القري والمدن التي علي شواطئ النيل ، قهر العدو عند شمال الأشمومين ، وإســـتمر في زحفه شمالاً مطهراً كل بقعة ومخرباً حصون الهكسوس ومشيعا الرعب في نفوسهم. وكان يخرج من نصر إلي نصر ،واستولي علـــي بضـــع مئات من السفن كانت محملة بالنفائس مثل الذهب والفضة واللازورد والزيوت والشحم والعسل والبخور وأنواع شتي من الأخشاب الثمينة وكلها كانت متجة إلي "أورايس".

قضـــي هـــذا البطل علي نفوذ العدو في مصر الوسطي بعد أن طهر كل بقعة من الأرض تطهيرا كاملا ، حيث رجع إلي طيبة وخرج الناس من كل بلد يستقبلونه إستقبال الفاتحين ... وهو وإن لم ينل إنتصاراً كاملاً إلا أنـــه مهـــد الطـــريق لخـــلفه أحمس (أحموزه) الذي تم علي يديه طرد الهكسوس من مصر.

أحمـــس هـــو البطل الثالث وهو الأخ الأصغر لكاموزه ، عرف أحمس جســـامة المهمة الملقاة علي عاتقه ،فسلك مسلكا جديدا حيث إتبع سياسة التعبـــئة العامة، وتجنيد كل الرجال ، وصبغ حكمة بالصبغة العسكرية ،

وســـاعده علي ذلك روح المصريين الجديدة الذين تذوقوا طعم الحروب ولمسوا لذة القتال، وتعلموا طرق الكفاح والنزال ،وتمرنوا علي إستعمال الســـلاح الحـــربي الجديـــد الـــذي جلبه الهكسوس معهم إلي مصر وهو الحصـــان والعربة ، إضافة إلي مهارتهم في إستعمال الأقواس الضخمة الثقيـــلة ذات المـــرمي البعيد ، وإنخراط الطبقة الوسطي من المصريين وأثـــرياء القـــوم في جيش أحمس الكبير الذي إندفع به نحو الشمال وكـــان هـــذا الجيش يزداد ويتضخم كلما إمتدد به الزحف نحو العدو وتســـاقطت أمامـــه القـــلاع والحصون واحدا بعد الآخر حتي وصل إلي "أواريـــس" معقل الهكسوس حيث ولوا الأدبار هاربين إلي فلسطين عندما ظهر أحمس بطلائع جيشه الأولي .

لقد كان نصر أحمس نصرا كبيرا فتح أمامه آفاقا واسعة ، فلم يقنع بطرد الهكسوس من البلاد فحسب ، بل طاردهم إلي ربوع آسيا الغربية ، وتقدم هو وجنوده وانتهي به الأمر إلي أن وضع حجر الأساس في إمبراطورية مصـــر الظافـــرة الـــتي إمتدت في عصور خلفائه إلي أعالي الفرات في الشمال وإلي الشلال الرابع علي النيل في الجنوب .

مرنبتاح ينتصر علي قبائل شعـــوب البحر المتوسط :

شـــهدت منطقة حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميـــلاد موجه عارمة من هجرة شعوب متبربرة قدموا من أواسط أسيا، وحطوا رحالهم في شمال بلاد البلقان وبلاد اليونان وجزر بحر الأرخبيل وشـــواطئ أسيا الصغري ، ووصل بعضهم إلي سوريا ، وإتجه بعضهم بســـفنة نحو الغرب ونزلوا علي سواحل أفريقيا الشمالية ، فكانت أفواجا مـــتحركة تنتقل علي عربات ثقيلة تجرها الخيول ، وبعضها كان يجول

الـــبحر فوق سفنه . فهي لاتعرف وطنا تستقر فيه ، وكانوا قساة القلوب تواقيـــن إلـــي سفك الدماء، وإتجهت أنظار الجميع نحو مصر طمعا في الإســـتقرار فيهـــا حيث الخير والرخاء والحياة السهلة ،فهاجمت جموع حاشدة منهم الحدود الشرقية لمصر وأخذت تتوغل في البلاد .

وفـــي نفس الوقت هاجمت جموع أخري منهم الدلتا من الغرب بتحالف المهاجـــرين مـــن جزر الأرخبيل مع قبائل الليبين المتوحشة "المشواس والتمحو" .

وشـــعر المصريون بالخطر الداهم المفاجئ ،وتصدي لهم فرعون مصر "مرنبـــتاح" وقاتلهم بجيشه الضخم قتالاً مريراً ، وطاردهم بعنف وشدة ، حيـــث إنتصر عليهم في الجبهة الشرقية ، وزحف إلي سوريا وفلسطين لينزل العقاب بكل من سمح لهؤلاء المغيرين بالتقدم نحو مصر ، ولم يكد مرنبتاح ينتهي من معركة الشرق حتي سارع إلي غربي الدلتا والتحم مع أعـــداء مصـــر المغيرين من الغرب حيث كانت مجزرة بشرية بلغ فيها القتال غاية الشدة والعنف في معركة إستمرت ما يقرب من ست ساعات حسب ما ورد عنها في النصوص المصرية ، وقد بلغ عدد القتلي الليبين ٦٢٠٠ ومـــن رجـــال جزائـــر الـــبحر ٢٣٧٠ ، وبلغ عدد الأسري من الفـــريقين ٩٣٧٦ بيـــن رجل وامرأة من بينهم نساء القائد الليبي وأولاده وأخواته.

وكـــان النصـــر ساحقا ، وكانت فرحة الشعب بالغة الحدود ، وترك لنا مرنبـــتاح لوحة كبيرة سجل عليها انتصاراته التي أتمها في ميدان الشرق وميدان الغرب .

الأمير "تخاو" يتزعم حركة التحرير السرية وبسمتيك يطرد الآشورين من مصر :

في عام ٧٤٠ ق م ظهرت دولة آشور في المناطق الشمالية من بلاد النهرين وكانت دولة ذات أطماع إستعمارية حيث بسطت نفوذها شمالا وجنوبا وأحرزت إنتصارات في كل مكان تحل به ، وفكرت في غزو مصر .

وقد ظهرت مقاومة المصريين لملك آشور "سرجون الثاني" في عام ٧٢٢ ق.م عند مدينة رفح في حدود مصر الشمالية ،حيث ألحق المصريون بجيشه خسائر فادحة مما إضطره إلي أن يرجع عن دخول مصر .

وأنزل جيش مصر بقيادة فرعون مصر "طهارقا" هزيمة أخري ساحقة في عام ٦٧٤ ق.م بجيش آشور الذي يقوده ملكهم "آشور أخى الدين" وكانت المعركة حامية حيث إستعدلها المصريون تمام الإستعداد، وكانت المواجهة في أراضى الدلتا الشرقية ورجع ملك آشور مدحورا ، ونجت مصر من خطر الغزو ، إلا أن ملك آشور عاود الكرة لغزو مصر فجأة في عام ٦٧٠ ق.م واستطاع أن يبسط نفوذه علي الدلتا حيث تقهقر ملك مصر "طهارقا" إلي مصر الوسطي تاركا الدلتا بخيراتها للمستعمر الجديد ، وتعسف الأشوريون مع المصريين وأساءوا معاملتهم وقسوا عليهم وبطشوا بكل القيم، ولم تفلح مقاومة "طهارقا" الذي إستجاب لنداء المصريين لطرد المستعمر فوقعت مصر تحت حكم الآشوريين بعد أن دخل ملكها طيبة دخول المنتصر، ورجوع طهارقا إلي عاصمة الجنوب " نباتا " .

عــزم المصــريون عــلي أن تكون مصر جحيما لا يطاق بالنسبة إلي المســتعمر المســتبد، ورفعوا راية العصيان بزعامة الأمير "نخاو" الذي جمــع شمل الناس وهاجم المستعمر في حركات سريعة سرية إلا أنه تم القبض عليه وأرسل إلي نينوى عاصمة آشور .

وقاد روح الجهاد بعد "طهارقا" الشاب المصري المتحمس "تانوت آمون" الــذي جمــع جيشا وقابل العدو الجبار ودخل منف منتصرا بعد تشتيت شــمل العــدو ، إلا أن هــذا النصــر لم يتم حيث عاد إليها الآشوريون واســتولوا عــليها وخــربوا معابدها وتراج "تانوت آمون" إلي نباتا في الجــنوب وبخــروجه مــن مصر إنتهي حكم الأسرة الخامسة والعشرين النوبية .

إلا أن بسمتيك ابن نخاو تمكن من إعداد جيش قوي من الدلتا ومن أهالي الصعيد وكسح بهذا الجيش الحاميات القوية التي كانت تعسكر في الدلتا، وطرد الآشوريين نهائيا من مصر ونصبه المصريون ملكا عليهم .وكان بســمتيك فــي واقــع الأمــر هو منقذ مصر الحقيقي من إستعباد الدولة الآشورية.

كفاح الشعب المصري ضد الفرس

الثورات القومية الثلاث المصرية ضد الفرس :

إســتعمر الفــرس مصــر سنة ٥٢٥ ق.م عندما غزا "قمبيز بن قورش" مصــر ودخــلها بمعاونة "فانيس" الإغريقي الخائن الذي كشف له أحوال مصــر وإمكاناتهــا الدفاعيــة ، ولكن المصريين الأمجاد أذاقوا الفرس

الويــلات ، ولــم يجــد الفرس مصر لقمة سائغة أو فريسة سهلة ، قاوم المصريون عدوهم الجبار مقاومة الأبطال الأحرار ، وأبوا عليه أن يطأ أرضهم الطيبة إلا مخضبة بدمائهم الذكية .

بدأ أبناء مصر كفاحهم الشعبي ضد إمبراطورية فارس ، ولم يركنوا إلي الهــدوء فــي ظل الحكم الإستعماري البغيض ، فقد كانت قلوبهم تنبض بفخارهـــا للوطن ، وصدورهم تضطرم بنيران الحقد والكراهية للأجنبي المستعمر ، فإذا بهم يهبون في وجهه ثائرين ، وإذا بثوراتهم تتكرر حتي أحــالوا الوادي كله إلي شعلة ملتهبة من الكفاح الشعبي المسلح . فكانت الثورة القومية الأولي ضد الحكم الفارسي في عام ٤٨٦ ق.م حيث أفني المصريون قوات الإحتلال المنبثة في أجزاء الوادي عن أخرها ونجحوا في تحرير أنفسهم وبلادهم .

ولكن الفرس عادوا إلي إحتلال مصر بجيش قوي وأسطول كبير في عام ٤٨٤ ق.م بعــد مقاومـــة عــنيفة مــن أبناء مصر ، حيث نكل الفرس بالمصريين أبشع تنكيل ومارسوا كل أساليب القسوة والعنف للقضاء علي قوميــتهم وإماتة روح المقاومة فيهم ، ولكن ذلك كان حافزا للمصريين علي بذل كل ما في وسعهم لإسترداد إستقلالهم المسلوب .

فكانت الثورة القومية الثانية، بزعامة الأمير المصري "إيناروس" متعاونا مــع زعيــم أخر يدعي "أميرتاوس" ووقف الشعب المصري بجميع فئاته وطــبقاته خلف زعيميه اللذان جندا القوي العسكرية وجهزا جيشا دفاعيا إلــتحم مـــع الجيش الفارسي الكبير الذي جهزه ملك الفرس حيث دارت معركة كبيرة عند "بلوزيوم" علي حدود مصر الشرقية ،واستبسلت قوات مصــر إستبسالا رائعا أمام القوات الفارسية الكاسحة ، وأنزل أبناء النيل

بجيــوش الفرس هزيمة منكرة تمخضت عن مصرع الغالبية العظمي من قواتــه ، وفرار من بقي حيا من الميدان ، فقد كان المصريون الأحرار ضربة قاصمة للإستعمار الفارسي .

لــم يســكت الفرس بل عادوا إلي محاربة مصر بجمع حشود هائلة من جــنود إمــبراطورتهم وإعداد أسطول ضخم قوامة ثلاثمائة سفينة حربية هائلة ، واستطاعت القوة الغاشمة أن تدخل مصر بعد أن قاست الأهوال وتكبدت أفدح الخسائر .

ولم يتسرب اليأس إلي نفوس المصريين المكافحين فكانت الثورة القومية الثالثة حيث تزعم حرب التحرير الجديدة مصري ثائر يدعي "أميرتاوس الــثاني" الــذي جمع جيشا كبيرا من أبناء الوطن والمرتزقة الأغريق ، وهــاجم حاميات الملك الفارسى المنتشرة في أنحاء البلاد فقضي عليها ، ثــم نادي بنفسه ملكا علي مصر المستقلة عام ٤٠٤ ق.م مؤسسا الأسرة الثامــنة والعشرين الفرعونية ، ونعمت البلاد باسقلالها نحو سبعين عاما توارث العرش فيها ملوك الأسرات ٢٨ ، ٢٩،٣٠ .

وتوالت بعد ذلك محاولات الفرس لإعادة مصر ولكن دون جدوي إلي أن ســنحت لهم الفرصة حوالي عام ٣٤٢ ق.م حيث عبأ ملك الفرس قواته وأرســلها إلــي مصر وانتصر علي "نختنابو الثاني" آخر ملوك الأسرة الــثلاثين فــي مصــر بعد حرب ضروس بذل فيها المصريون دماءهم رخيصــة في سبيل الذود عن حريتهم وإستقلالهم ، ولكن الكثرة الجارفة غلبــتهم علي أمرهم ، وظل المصريون يناوءون المستعمر حتي أحالوا حياته بينهم جحيما مستعرا بنيران الغضب والانتقام ،وظلوا كذلك إلي أن

تغيــرت الأوضـــاع في العالم القديم كله أثر قيام الاسكندر الأكبر بغزو الشرق .

تلك صفحة الكفاح الشعبي ضد الإستعمار الفارسي ، وهي صفحة تفيض بضــروب الــبطولة والتضحية وإنها لجديرة بأبناء وادينا الأمجاد الذين جعــلوا من أرضهم قبرا لغزوات الطامعين فيهم ، وتسلحوا في حروبهم بسلاح الإيمان وسلاح الحق ، بجانب تحالفهم مع الأمم القوية التي كانت لا تــبخل عليهم بالمعونة فتمدهم بالرجال والسلاح وتقف إلي جانبهم تشد أزرهــم فـــي معـــارك الشــرف والإستقلال مثل ماحدث من الإغريق وجــنودهم المرتــزقة الذين إنضموا إلي صفوف القوات المصرية وأبلوا معهم بلاء حسنا في الحرب كلما دعوا إلي ذلك .

مقاومة المصريين لحكام البطالمة ٣٢٣-٣٠ ق.م

المقاومة السلبية والثورات القومية الشعبية :

رحــب المصريون ترحيباً كبيراً بالاسكندر الأكبر وقواته حيث إعتبروه مخلصاً لهم من نفوذ الفرس ، وقد مكث الاسكندر في مصر فترة قصيرة حــاول خلالها أن يتودد إلي المصريين بشتي السبل فبدأ باحترام آلهتهم ، وتوج نفسه فرعونا في معبد فتاح بمدينة ممفيس ، وزار معبد الاله آمون فــي ســيوه وسمي هناك بلقب إبن آمون ، وعين من المصريين حاكما للوجه البحري وحاكما آخر للوجه القبلي .

وبعد وفاة الاسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق.م تم تقسيم إمبراطوريته ،فكانت مصــر مــن نصيب بطليموس بن لاجوس "بطليموس الأول" الذي أعلن

إستقلاله بمصر عام ٣٠٥ ق.م وتأسست بذلك دولة البطالمة في مصر التي إستمرت طوال ثلاثة قرون من الزمان (٣٢٣ ٣٠ ق.م) وانتهت بفتح روما لمصر التي صارت به جزءا من الامبراطورية الرومانية .

وشهد تاريخ مصر البطلمية قصة كفاح مجيدة قام بها الوطنيون في مصر ضد هؤلاء الملوك الأجانب الذين إستقلوا في الحقيقة بوادي النيل وكونوا إمبراطورية واسعة ، وأدت سياسة البطالمة إلي منح الإمتيازات للإغريق والمقدونيين الذين إعتمدوا عليهم في إدارة شئون البلاد حتي صار المصريون غرباء في وطنهم يكدون لمصلحة ملوكهم وشركائهم .

وإتخذ كفاح المصريين ضد البطالمة في البداية شكل المقاومة السلبية تعبيرا عن سخطهم فهربوا من المزارع وتوقفوا عن العمل في المصانع والمناجم والمحاجر ليظهروا الاضطراب في الحياة الإقتصادية .

وحين أتيحت لهم فرص القيام بثورات قومية مسلحة أشعلوها نارا تتأجج في جنبات الوادي ، وأخذت نذر المقاومة تلوح في الأفق فتكون جيش الثورة من آلاف الزراع والصناع والعمال الحانقين وساعدهم الكهنة المصريون ، وقام المصريون بثورتهم الأولي في عهد بطليموس الثالث "بطليموس ايورجيتيس الأول" الذي نجح في إخماد هذه الثورة .

وإذا كان المصريون في عهد بطليموس الرابع قد حاربوا الملك السلوقي "أنتيوخوس الثالث" الذي إتجه بجيشه من سوريا نحو مصر بعد أن هزم جيش بطليموس الرابع علي نهر العاصى سنة ٢١٩ ق.م حيث هزم المصريون جيش الملك عند رفح وانتصروا عليه ، فان ذلك كان دفاعا عن أرضهم الطيبة .

وكـــان لهـــذا النصر أثره في إثارة الروح الثائرة القوية عند المصريين لتـــتحرر مـــن كل قيد ، هذه الروح التي زلزلت أركان العرش البطلمي وأكرهت الملوك علي تغير سيادتهم تجاه المصريين .

وأشـــعل المصريون الثورة الشعبية الثانية عنيفة حارقة في الدلتا ومصر الوســـطي ، ثـــم امتد لهيبها إلي مصر العليا فتأججت هناك عام ٢٠٧ ٢٠٦ ق.م ، ولكن بطليموس الرابع أخمد هذه الثورة بعد أن تكبد خسائر فادحة في رجاله وأمواله .

ولكـــن روح المقاومـــة لم تخمد فقامت الثورة الثالثة في عهد بطليموس الخـــامس حيـــث بدأت نيران الثورة تشتعل في الاسكندرية عاصمة دولة الـــبطالمة وحصـــنهم الحصين وامتدت الثورة إلي الدلتا ، وإستقل صعيد مصـــر عن البطالمة ،وأصبحت مدينة "أبيدوس" (تقع بين أسيوط وطيبة) مركـــزاً لهـــا وهـــي المدينة التي حاصرها الملك بجيشه الذي فشل في إقتحامها حيث إنتصر عليه المصريون وردوه علي أعقابه دون أن يتمكن من دخول المدينة الثائرة .

واستمر المصريون في ثورتهم وظلوا يقاومون الملك بأعمالهم التخريبية التي أنزلت بخزانتة ضررا بليغا إلي أن شهدت البلاد الثورة الرابعة في عهـــد بطليموس السادس بعد أن تصدي المصريون لدخول ملك السلوق "انطيوخـــوس الـــرابع" مدينة ممفيس عند رأس الدلتا حيث وقف الشعب المصـــري وقفـــة مجيدة خليقة بشعب أبى فقد تناسى بغضه للبطالمة ولم يذكـــر سوي مصلحة الوطن العليا التي يهددها خطر جسيم علي يد ملك أجنبي دخل الأرض المصرية غازيا بقواته العسكرية . وحدث أن جاءت ظـــروف إضطرت أنطيوخوس الرابع إلي مغادرة وادي النيل علي جناح

الســرعة إلا أنه عاد مرة ثانية لفتح مصر ووصل إلي ممفيس كما فعل فــي المرة الأولي وتقدم نحو الإسكندرية وكاد يسقطها لولا تدخل روما الــتي ظهرت كقوة جديدة حيث أجبرته إلي أن يرجع إلي بلده ذليلا مهانا .

ووجــد المصريون في "ديونيسيوس بيتوسرابيس" زعيما فقد كان خبيرا بنفسية الجماهير ، وكان يشغل منصبا ممتازا في قصر البطالمة ... أثار هــذا الــزعيم شــعب الاسكندرية وتجمهر الثوار في ميدان السباق العام بالمديــنة وقرروا مهاجمة القصر الملكي ،وأسرع الزعيم المصري إلي ضــاحية "اليوســس" (الحضــرة) حيث إنضم اليه عدد كبير من أنصار الــثورة ونحو أربعة آلاف من الجنود ودارت معركة حامية إنتهت بمقتل عــدد كــبير من رجال القوة الملكية واستشهاد عدد كبير من المصريين المكافحين .

وثــبت الثوار فترة طويلة وإضطر الزعيم المصري إلي الانسحاب حيث إنــتقل إلــي الصــعيد الثائر وتحصن في مدينة "بانوبوليس" (إخميم) هو وثــواره، ولــم تستطع القوات الملكية أن تدخل المدينة إلا بعد أن ذاقت الأهــوال عــلي أيــدي المدافعيــن المصريين ، وتمخضت هذه الثورة كســابقاتها عــن إستشــهاد البعض في معاركها وهروب البعض الآخر إنتظارا لفرصة جديدة للقتال، وتوقف النشاط الاقتصادي في البلاد بوجه عام .

وكــانت الــثورة الخامسة في عهد بطليموس السابع ، حيث إنفجرمرجل الثورة في مدينة الاسكندرية ، واتخذت ثورة المصريين في مصر السفلي والوسطي صورا شتي من التوقف عن العمل والإعتصام بالمعابد وهجر

المــزارع والمصانع ، علي حين كانت في الصعيد قتالا سافرا تجلت فية روح المقاومة الشعبية ضد الحكم البطلمي .

وحدثــت ثورة المصريين السادسة في ظل النزاع الأسري بعد بطليموس الســابع فــثارت الاسكندرية ، واشتعلت في جنوب الوادي ثورة عارمة تركزت في إقليم طيبة ظلت نيرانها متأججة ثلاث سنوات كاملة ، وإشتد خطرها علي الملك وتاجه ، وكان لكهنة آمون دوراً كبيراً في هذه الثورة الجامحــة ، فــأخذوا يشحذون همم الأهالي وإلتقي الثوار وجيش الملك وظل المصريون يقاومون مقاومة مجيدة رائعة ، ولم تستطع قوات الملك دخــول طيــبة إلا بعد أن دكتها دكا وحطمتها تحطيما لتفوقهاعددا وعدة حيث كانوا يحملون أحدث أسلحة الجيش الملكي وأمضاها .

وظل المصريون يقاومون مقاومة الأبطال إلي أن إنتهي عصر البطالمة ودخــول مصر كولاية مستعمرة في إمبراطورية روما ، حيث بدأ أبناء النيل يكتبون في ظل الإستعمار الروماني صفحة أخري رائعة في سجل كفاحهم الشعبي ومقاومتهم الباسلة للطغاة المستعمرين .

***

صور من مقاومة مصر للرومان ٣٠ق.م-٦٤١م

حرب الاسكندرية ٤٨ ق.م:

قــاومت مصــر الغــزاة الرومان بكل ما تيسر لها من أسلحة ، قاومتهم بالعــتاد الحربي واستماتت في الدفاع ، فها هي الاسكندرية تقاوم قيصر

عـــام ٤٨ ق.م فـــي حرب الاسكندرية ،وقد روي لنا قيصر ما لقيه من مقاومـــة عـــنيفة في الاسكندرية التي بادر أهلها بارسال الضباط لتعبئة قـــوات من جميع أنحاء البلاد ، وكدسوا المدينة بالذخيرة بل إنهم أنشأوا المصانع علي وجه السرعة لصنع الأسلحة، وأقاموا الحواجز والمتاريس فـــي الشـــوارع ،وابـــتكروا أبراجا متحركة تجرها الدواب بالحبال علي عجـــلات ليمكـــن نقلها إلي أى مكان ، واستماتوا في الدفاع عن المدينة وبـــنوا ســـفنا جديـــدة إشـــتبكوا بها وأسطول قيصر في الميناء الصغير (الغـــربي) ولا يـــنكر قيصر نفسه أن الاسكندرية هبت ثائرة في وجهه وعـــبأت ضـــده جميـــع قواهـــا وقاومته بأسلحة ، وكبدته خسائر فادحة وعرضته لأشد الأخطار حتي غادر مصر بعد أن ترك بها بعض الفرق الـــرومانية لـــتدعيم سلطة كليوباترا السابعة كملكة علي مصر وهي وإن كـــانت غيـــر مصرية الدم إلا أنها كانت مصرية الروح ورمزا للمقاومة العـــنيفة والكفـــاح المجيد ضد روما المغتصبة ، وهي الملكة التي وهبت الجمـــال والذكاء واللباقة وعذوبة الصوت ، والشجاعة والطموح الشديد، فقد إستغلت كل هذه المواهب وكل هذه الأسلحة في تسخير قادة الرومان (قيصر وأنطونيوس) لتحقيق مآربها وصيانة إستقلال بلادها .

***

الثورات في جنوب الوادي والدلتا :

بعد إنتصار أوكتافيوس علي أنطونيوس الذي إنتحر ، كما إنتحرت أيضا كليوباترا أصبحت مصر كسائر أقطار البحر المتوسط ولاية رومانية في أغســـطس عـــام ٣٠ ق.م ، ولـــم تكـــد تمضي بضعة أشهر علي الفتح الـــروماني حـــتي نشبت الثورة في جنوب الوادي وفي منطقة طيبة علي

وجه الخصوص مركز عبادة آمون ومعقل الحركات القومية التي تزعمها الكهنة المصريون من قديم الزمان ضد الغزاة، وتحرك الحاكم الروماني بنفسه حيث قاد حملة لإخماد الثورة ، ولكن حملته لم تحقق الغرض المنشود منها ولم تؤمن حدود مصر الجنوبية ، فقد أغار النوبيون علي المواقع الرومانية في جنوبي الوادي وتغلبوا علي الحامية الرومانية ونهبوا جزيرة فيلة (أنس الوجود) وأسوان، والفانتين (جزيرة الذهب) وحطموا تماثيل أغسطس أمبراطور روما .

وشاركت الدلتا في حمل لواء الثورة ضد الرومان ، ففي الوقت التي هبت فيه طيبة ثائرة نشبت في الطرف الشرقي من الدلتا بمدينة " هيرونبوليس" (تل المسخوطة) التي تقع علي الطريق المؤدية إلي فلسطين ثورة عنيفة أشار إليها "إسطرابون" الجغرافي المؤرخ الذي زار مصر في صدر العصر الروماني .

كما نشبت ثورة أخري عام ١٧٢م في منطقة الدلتا الساحلية المليئة بالمستنقعات والتي تقع إلي شرق الاسكندرية وتولي زعامتها كاهن مصري يدعي "أسيدوروس" حيث إستطاع أن يحشد تحت لوائه جموعا غفيرة من الفلاحين والمواطنين واجه بهم جيش الرومان الذي دحروه في الميدان حتي كادت الاسكندرية نفسها تقع في أيديهم ، ولكن الرومان إستطاعوا السيطرة علي الثوار بعد أن مزقوا وحدتهم وبذروا بذور الشقاق بينهم وتمكنوا من هزيمتهم متفرقين .

وكانت الاسكندرية دائمة الثورات علي اليهود صنائع الرومان الذين حصلوا علي إمتيازات إدارية ومالية وطمعوا فوق ذلك في الحصول علي حقوق المواطنين في المدينة .

لقـد كـانت الـثورات القوية شكلا بارزا من أشكال مقاومة المصريين لـلرومان، فإذا ما أخمدت الثورات لجأت مصر إلي حرب العصابات ، فـإن أعوزهـا السـلاح لجـأ فلاحوهـا إلي العصيان أو الاعتصام أو الإضـراب أو الفرار من الأرض والاختفاء عن الأنظار في الأدغال أو المستنقعات أو مجاهل الصحراء ، وأدي ذلك إلي إفقار الريف المصري وتدهور الزراعة وإرتباك الاقتصاد وقلة حصيلة الضرائب ونقص الدخل العام وإضمحلال النفوذ الروماني .

كما كانت المقاومة السلبية سلاحا بتارا من أسلحة المقاومة ،فكانت بذور الكـراهية تـبث عـن طريق المنشورات السياسية العدائية ، وأدت هذه المقاومـة إلي رفض التعاون مع الغاصبين وعدم التأثر بثقافتهم ولم تأخذ بطـرق معيشـتهم أو تؤمـن بآلهتهم ، وظلت مصر محافظة بكبريائها القومـي عـلي أصـالتها ، فأخضعت لسحرها جبروت الغزاة الفاتحين وجعلت من المغلوب غالبا .

غزوة الصليبيين الأولي الكبري للإستيلاء علي مصر

الملك الكامل يهزم الصليبيين في غزوهم لمصر (١٢١٨-١٢٢١م)

فـي أواخـر القرن الخامس الهجري الموافق أواخر القرن الحادي عشر الميـلادي ظهرت وإنتشرت في غربي أوربا حركة عدوانية ضد الشرق الأوسـط وأهلـه جميعا مسلمين وغير مسلمين واصطلح المؤخون علي تسـمية الحـروب المتقطعة التي نشأت عن هذه الحركة باسم الحروب الصـليبية الـتي كان هدفها في الظاهر الإستيلاء علي الأرض المتصلة بظهور المسيح عليه السلام في فلسطين ، ولكن كان لها أغراضا سياسية

أخـــرى وهـــي الإعـــتداء عـــلي بـــلاد الشرق كله بما فيها غزو مصر والاســـتيلاء عليها ، لأن مصر بالذات كانت تمثل ينابيع القوة الإسلامية ومركز المقاومة ضد الصليبيين في الشرق.

وبـــدأت هـــذه الخطـــة بتكرار الإغارة علي دمياط زمن السلطان الكامل محمـــد بـــن الســـلطان العادل محمد وهو خامس سلاطين بني أيوب في مصر بعد صلاح الدين.

وقـــاد الحملة الصليبية الأولي علي مصر "حنا برين" صاحب مملكة بيت المقـــدس الـــتي ضـــاعت ،حيث حاصر جيشه دمياط في أول يونيو عام ١٢١٨ وشـــاركه فـــي هـــذه القيادة مندوب بابوى يسمي "بلاجيوس" ، واشـــتد حصـــار الصـــليبيين لدميـــاط الـــتي بذلت مقاومة باسلة طويلة واســـتطاعوا أن يتملكوا المدينة في سبتمبر عام ١٢١٩ بعد أن تحملت ويـــلات الحرب وندرة الأقوات وغلاء الأسعار وفتك الأمراض الوبائية ،وأســـرف الصليبيون في قتل أهالي دمياط وفي الاستيلاء علي البقية من أقواتهـــم في دمياط نفسها والقري المجاورة ، ورفض الصليبيون عرض المـــلك الكامل عليهم بأن يجلو الصليبيون عن الشواطئ المصرية جلاء تاما فتعود دمياط وغيرها من القري المحيطة بها إلي أهلها ، وأن تبحر السفن الصليبية عن المياه المصرية، وأن يقدم السلطان الكامل للصليبيين مقـــابل ذلـــك مدينة بيت المقدس ومملكتها، ولكن الصليبيون رفضوا هذا العرض .

وعســـكر الصـــليبيون في أواسط عام ١٢٢١ في مواجهة معسكر الملك الكامل ولم يفصل بينهما سوي البحر الصغير ، وكانت إستعدادات الملك الكـــامل أفضل من ذي قبل حيث وصلته الإمدادات من بلاد الشام إضافة

إلـــي إرتفاع الروح المعنوية للجيش المصري الإسلامي ،والتحم الجيشان وقـــامت الـــبحرية الأيوبية بدور هام حيث إستولت علي عدد من السفن الكـــبيرة الصليبية كانت محملة بالمؤن والذخائر وأدوات القتال ،وأسرت معظـــم رجـــالهم ، وقطـــع الملك الكامل وصول النجدة علي الصليبيين بالســـيطرة علي الأنهار وقطع فروع النيل فغطي الماء مساحة كبيرة من الأرض شمال مواضع الصليبيين حيث صارت هذه المساحة المائية علي جانـــبي الـــنيل حائلا بينهم وبين دمياط وبهذا إنحصر الصليبيون وذهبت آمالهم في الزحف جنوبا نحو القاهرة وتعذر انسحابهم الذي حاولوه تحت جنح الظلام ،وأدركوا يأس موقفهم ، وطلبوا مفاوضة الملك الكامل الذي عفا عنهم رغم مقدرته وذلك ليكسب معركة دبلوماسية .

ودخلت الجيوش الأيوبية دمياط ، سنة ١٢٢١ بعد أن جلا الصليبيون عن الأراض المصـــرية وســـواحلها جلاء ناجزا لا عوج فيه ولا تسويف أو تريث، وإتفق الفريقان بعد هذا علي هدنة مدتها ثمانية أعوام ، وعلي أن يطـــلق كل منهما طوائف الأسري عنده . وهكذا إنتهت الحملة الصليبية المعـــروفة بالخامسة في تاريخ هذه الحروب،وهال الصليبيون ما انتهت اليه هذه الحملة من فشل ورجوعها بخفي حنين .

غزوة الصليبيون الكبري الثانية للإستيلاء علي مصر (١٢٤٩-١٢٥٠م)

فشل حملة لويس التاسع ملك فرنسا وأسره في المنصورة :

كـــانت هذه الحملة الصليبية مشروعا مشتركا بين الفرنسيين والإنجليز، والصـــليبيين الغرباء عن الشرق من عكا وقبرص ، وكانت الزعامة فيه

للملك الفرنسي القديس العسكري لويس التاسع ، والقاعدة العسكرية له جزيرة قبرص .

أبحرت الحملة في أوائل مايو ١٢٤٩وإتجهت نحو الشواطئ المصرية، ودخل الصليبيون دمياط دون مقاومة بسبب إنسحاب القائد الأيوبي فخر الدين لذهابه إلي المعسكر السلطاني لأنه كان مشغولا باحتمال وفاة السلطان الصالح أيوب . وفي المنصورة تجمع جيش الملك الكامل الذي أخذ يزود المدينة بجميع حاجات جيشة من أسلحة ومؤنة وسفن حتي جعلها معسكرا سلطانيا هائلا .
وفي الوقت نفسه حصن الملك الصليبي دمياط بعد دخولها مباشرة وزحف منها إلي المنصورة في نوفمبر عام ١٢٤٩ . وكان القناصة المصريون يعمدون إلي إختطاف الجنود الصليبيين أفرادا يقتادونهم أسري إلي المعسكر السلطاني في المنصورة لسؤالهم عما يعرفون من الخطط الصليبية ثم يسيرون بهم إلي القاهرة طلبا للمكافأة .

وتوفي الملك الصالح وتولت شجرة الدر السلطة في أول هذا الزحف ، وعلي البحر الصغير كان الجيشان في مواجهة وتنافس حتي أوائل عام ١٢٥٠ .ولم يفلح الصليبيون في إقامة جسر من الخشب في عرض البحر الصغير ليعبروا منه إلي المعسكر المصري الأيوبي وذلك بسبب قذائف النار المصرية المستمرة التي كانت تطلق عليهم من الساحل الآخر والتي تسببت في إبادة معظم العمال الصليبيين وتوقف العمل فيه نهائيا .

ثم كان لترتيب بيبرس البندقداري القائد المملوكي وخطتة الحربية التي تقضي بعمل كمائن متعددة حول المنصورة والقيام بحركة تطويقية من

جميــع الجهــات علي الجنــود الصليبيين ، إبادة معظم الجنود الصليبين الذيــن لاذوا بالفــرار ، وبــلغ قتــلاهم ما يقرب من ١٥٠٠ في بضع ساعات ، وحمي وطيس القتال بعــد ذلك بين الجيشين تبادلا فيه النصر والهــزيمة ، إلي أن رجحت كفــة النصر للمصريين في معارك إزدادت يومــا بعــد يوم ، واستطاع "توران شاه" سلطان مصر بعد شجرة الدر بفضــل تدابيــرة الحربية أن يســتولي علي السفن الصليبية التي تحمل المؤنــة والذخيرة لهم حتي أصبحــت جيوش الصليبيين مهددة بالمجاعة الــتي أعقبتها الأمراض المعدية ولا ســيما حمي التيفوئيد التي إشتعلت في المعسكر الصليبي ، وتقهقرت الجيوش الصــليبية في البر والنهر في أبريل عام ١٢٥٠ وعرقل هذه الحركة عســاكر الأيوبيين الذين إستولوا عــلي أسلحتهم وأدواتهم الحربية ، ثم جاءت عمــلية المطاردة بعد ذلك بحــركة هجومية تطويقية طوقت جيــوش الصليبيين في طريق عودتها إلــي دميــاط ، وهــزم المــلك الفرنسي ووقــع أســيرا وتم حمله في السلاســل الحديدية إلي المنصورة حيث سجن بدار ابن لقمان . وهكذا تم النصر بفضل الجهود الجبارة والخطط العسكرية الجريئة .

ثــم جــــاء يوم الحساب وتوقيع العقاب علي البادي المعتدي الذي بغي وظلم، حيث إتفق الطرفان علي أن يجلو الصليبيون عن دمياط جلاء تاما ســريعا ، وأن تبحر السفن الصليبية عن الشواطئ المصرية ، وأن يتعهد الملك بدفع فدية مالية يعين مبلغها وموعد دفعها ، وأن يدفع كل من كبار الصليبيين فدية عن نفسه ، وإشترط المفاوضون عن الدولة المصرية أن يتم تسليم دمياط قبل دفع شئ من الفدية أو إطلاق ســراح الملك أو غيره مــن كبار الأسري . أما عامة الأسري فتم الاتفاق بشأنهم علي أن يبقوا فــي أســرهم وأن يقوموا بما يكلفون به من أعمال بالمنصورة والقاهرة وغيرها من البلاد المصرية حتي يتم دفع أخر أقساط الفــدية الملكية .

وفـــي مـــايو عـــام ١٢٥٠ قام الملك بدفع القسط الأول من الفدية المتفق عـــليها، كمـــا دفع كبار الأسري ما انتهي الإتفاق علي دفعه من فديتهم ،ورحـــل الملك الفرنسي ليلا في جماعة من رجالة في سفينة صليبية إلي عكا . وسميت المدة التي أعقبت رحيل الصليبيين عن الشواطئ المصرية بأيـــام الأفـــراح حيث أقيمت الحفلات بالقاهرة والمنصورة وغيرها من الـــبلاد المصـــرية ، وكـــتب الشـــعراء القصـــائد الرنانة التي تناشدها المصريون وتغنوا بها جيلا بعد جيل.

مقاومة الشعب المصري للحكم العثماني

دخـــل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ بعد أن قاوم طومان باي آخر ولاتها مـــن الممـــاليك في الريدانية وفي شوارع القاهرة ، وبدأ الحكم العثماني علي أثر شنق طومان باي علي باب زويلة .

وفـــي أواخـــر القـــرن الـــثامن عشر إستأثر المماليك بالسلطة الفعلية ، وظهرعـــلي الكبير ومحمد أبو الدهب اللذان تمتعا في النصف الأخير من هذا القرن بإستقلال واقعي ، ودخلا في علاقات سياسية مع بعض الدول الأوربيـــة الكـــبري ، بـــل إن عـــلي الكبير وسع أملاك مصر في الشام وفرض نفوذه علي الحجاز.

مشايخ الأزهر يحدون من مظالم الأتراك :

وبعد وفاة محمد أبو الذهب عام ١٧٧٥ حاولت تركيا أن تسترد سلطاتها عـــلي مصـــر بالإلتجاء إلي القوة المسلحة ، ولما فشلت محاولتها برزت شخصـــيتا إبـــراهيم بـــك ومـــراد بك الذين استغلا نفوذهما في إستلاب

المصريين وإستغلالهم مما أدي إلي قيام الشعب في وجه الظلم ، فتصدي العلماء الذين كان لهم نفوذهم في المجتمع الاسلامي كوسيط بين الحاكم والشعب ، فطالبوا الأميران بأن يخفضا من غلوائهما بعد أن أقفلوا الجامع الأزهر وأمروا الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت خشية ما قد يحدث من من إضطراب .

وقد وصف الجبرتي هذه الحادثة، ومما قاله هذا المؤرخ "أن إبراهيم بك أرسل إلي المشايخ يعضدهم ويقول لهم أنا معكم ، وأرسل إلي مراد بك يخيفة من عاقبة ذلك ... وإجتمع الأمراء في منزل إبراهيم بك وأرسلوا إلي المشايخ ، فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب (عمر مكرم) والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير ، ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانتهي الأمر بأنهم (الأميران) تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء ، وإنعقد الصلح علي أن يدفعوا مبلغا من المال ، وعلي أن يرسلوا غلال الحرمين ويبطلوا رفع المظالم المحدثة و غير ذلك وأن يكفوا أتباعهم عن إمتداد أيديهم إلي أموال الناس ، ويرسلوا صرة الحرمين والعوائد المقررة من قديم الزمان ، ويسيروا في الناس سيرة حسنة ، وكان القاضي حاضرا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك و فرمن عليها (أمضاها الباشا) وختم عليها ابراهيم بك ، وأرسلها إلي مراد بك فختم عليها أيضا وإنجلت الفتنة ، وهكذا نجح مشايخ الأزهر في الحد من المظالم .

وكان من أثر ذلك أن الديوان الكبير (ديوان الباشا) الذي يدير أمور البلاد ويضم خلاصة العناصر التي تشترك في الإدارة ، كما يضم قاضي القضاة التركى ، والمفتيين علي المذاهب الأربعة وكبار رجال الدين المصريين ، والأمراء الصناجقة (حكام المديريات الكبري وكان غالبيتهم

مـن الممـــاليك) وأغاوات فرق الحامية العثمانية ... تعددت إجتماعاته وأصـــبح صوت الممثلين فيه مسموعا أكثر من قبل ، وتمهد السبيل بذلك للزعامة الشعبية التي تصدت لتوجيه الشعب ضد الفرنسيين وبرزت علي الوجود دفعة واحدة ممثلة في السيد عمر مكرم وتولية محمد علي الكبير بشروط الشعب .

مقاومة الشعب المصري للحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١

جــاء الفرنســيون إلــي مصر عام ١٧٩٨ وهم مزودين بجيش يستعمل الأســلحة الحديــثة ، ويقودة قائد محنك هو نابليون بونابرت ومجموعة كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين .

وعلي الرغم من إدراك المصريين لقوة خصومهم فإنهم لم يتأخروا لحظة عــن مقاومـــة الفرنســيين منذ نزولهم إلي الاسكندرية في أواخر يونية ١٧٩٨ وحتي جلائهم عن مصر في سبتمبر ١٨٠١ ، قاتلوهم في المدن الكــبري، ورفعــوا رايـــة العصيان في ساحات الدلتا جميعا ، وقاوموا مقاومـــة أعــنف في الصعيد حيث شدة بأس الرجال والطبيعة الجغرافية التي تساعد علي حرب الكر والفر ، وحيث المسافة بعيدة عن العاصمة ، والمواصلات صعبة .

وقــامت القاهــرة بثورتين قويتين عنيفتين في اكتوبر ١٧٩٨ ، ومارس ١٨٠٠ كان لهما أثر كبير إحراج مركز الفرنسين بالرغم من المحاولات المــتكررة التي لجأ إليها الفرنسيين لاسترضــاء أهل القاهرة بوجة خاص والمصريين بوجه عام .

مظاهر المقاومة في الاسكندرية

كانت الاسكندرية أول من لاقي الفرنسيين ... حصن الإسكندريون أسوار المدينة وشحنوا القلاع بالإمدادت والذخائر جهد طاقتهم ، وهرعوا إلي السلاح فحملة القادرون منهم ، وركبوا المدافع العتيقة علي أسوار المدينة إستعداداً للكفاح ، وعهدوا إلي جماعة من الفرسان بمناوشة الفرنسيين قبل إقترابهم من المدينة ، وفي المدينة نفسها إحتشد الناس علي الأسوار وفي الأبراج مسلحين بالبنادق والرماح ، وحين حدث الهجوم العام الفرنسي أطلق الأهالي النار من مدافعهم إطلاقا غير محكم ، وقاومت المدينة مقاومة شديدة، ولكنها كانت غير مجدية أمام الأسلحة الفرنسية ، فإقتحمها الفرنسيون وهاجموا الناس في بيوتهم ، وأخضعوا المدينة ، ولكن سخط الناس ظل كامنا في النفوس ، وظل الأهالي يتحينون الفرص للمقاومة والمناوشة وإعلان كراهيتهم للفرنسيين .

قاومت دمنهور أيضا الفرنسيين وهم في طريقهم من الاسكندرية إلي شبراخيت ، ولاقي الفرنسيون متاعب جمة من جانب البدو الذين أرهقوهم بالمناوشات وطمسوا الآبار في طريقهم ، حتي إن الجند الفرنسيين ما كادوا يصلون إلي النيل حتي ألقوا بأنفسهم فيه من شدة العطش ، وعند مواجهة قوات وأسطول مراد بك بقوات وأسطول الفرنسيين في شبراخيت هجم الأهالي المصريين علي الفرنسيين من الناحيتين ، واستولى الأهالي علي سفن فرنسية وعلي سفينتين حربيتين ، ولم يستطع الفرنسيون أن يهزموا أسطول مراد بك إلا بعد أن تم لهم إبعاد الفلاحين عن الشواطئ . ثم دحر الفرنسيون جيش مراد بك الذي فر هاربا شطر القاهرة .

وقــبل معــركة امــبابة بأيام في يوم ١٧ يوليو ١٧٩٨ لبي الناس دعوة الجهــاد وخــرجوا إلي المتاريس ، واشتركت كل طوائف القاهريين في الــتطوع ، ولم يبخل أحد بما ملكت يداه .وقاتلوا جميعا في معركة إمبابة ما وسعهم القتال، إلا أن المدينة إستسلمت وتحفزت للكفاح من جديد .

ثورة القاهرة الأولي اكتوبر ١٧٩٨ :

علي الرغم من تودد نابليون إلي المصريين ، إلا أن تصرفات الفرنسيين مــن فرض الضرائب ومصادرة الأملاك وهدم المباني والآثار والمساجد وأبــواب الحارات بدعوي تحصين المدينة ، وقتل الناس لإرهاب النفوس كــانت سببا في التعجيل بالثورة ، وبلغ هياج النفوس أشده فتكونت لجان للثورة تديرها وتنشر دعوتها وتنظم صفوفها ، وإتخذت الأزهر مقرا لها ، وانــتخب الشــعب "ديوانــا" للثورة" فنظم المتطوعين للقتال واستخرج الأســلحة المخبوءة ، واندلعت الثورة وإستفحلت فقد إحتشدت الجموع في الأزهــر وامــتلأت الطــرقات بالناس حاملي السلاح من بنادق ورماح وســيوف وعصي ونبابيت قاصدين أحياء الفرنسيين لمهاجمتها ، وهرع الجنرال "ديبوي" قومندان القاهرة وبعض رجاله إلي منطقة بدء الثورة فقــتل هو وأفراد من رجاله مما شجع الثوار علي الإستيلاء علي المواقع المحيطــة بمعظم أنحاء القاهرة، وإتخذوا من مصاتب الحوانيت متاريس أقاموها في الشوارع والحارات وأخذوا يطلقون النار من خلالها .

ولإخمــاد الــثورة قــام الفرنســيون بإطلاق القنابل علي الأزهر مركز المقاومــة ، وبــدأ الضــرب في اليوم الثاني للثورة وكان شديداً قاسياً ، وأخذت القنابل تتساقط علي حي الأزهر وما حوله في الوقت الذي شجع فيــه الثوار في الهجوم علي موقع الأزبكية مقر القيادة الفرنسية ، وواجه

الثوار نيرانا حامية من الموقع الفرنسي مما أدي إلي أن يتسلق الثوار المنازل والأسطح المشرفة علي الموقع ، وإحتلوا جامعاً صغيراً هناك ، وأصلوا الأزبكية نارا حامية قتلت الكثيرين من الفرنسيين ، ونجح الفرنسيون في إخماد الثورة علي الرغم من تلك المقاومة الشديدة ، وكان ذلك بسبب تفوقهم في الأسلحة الحديثة .

وتعرض سكان القاهرة لأشد ضروة الإنتقام ، وكانت ضحايا المدينة ما بين ٢٠٠٠ ، ٤٠٠٠ قتيل علي حين كان عدد من قتل من الفرنسيين حوالي ٢٠٠ منهم بعض كبار الضباط والمهندسين ورسام وطبيبان جراحان .

ثورة القاهرة الثانية " مارس ١٨٠٠ ":

بدأت الثورة في بولاق بزعامة الحاج مصطفي البشتيلي وهو من أعيان الحي ، والذي إنضم إليه السيد عمر مكرم والسيد أحمد المحروقي كبير تجار القاهرة . وبدأ الأهالي بمهاجمة مواقع الفرنسيين ، ولما ردتهم المدافع عنها إحتلوا البيوت المشرفة عليها مستخدمين المدافع المطمورة وثلاثة مدافع جاء بها الأتراك ، واستطاعوا حصر الفرنسيين في معسكرهم في الأزبكية ، غير أن القلاع ظلت تقصف المدينة بقذائفها ، وما أن مر علي إندلاع الثورة ثلاثة أيام حتي كانت قد عمت القاهرة ، وكان الأهالي قد أنشأوا في أربع وعشرين ساعة مصنعا للبارود ، وآخر لإصلاح الأسلحة والمدافع وثالثا لصنع القنابل وصب المدافع ، وجمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه ، وقدموا ما لديهم من الحديد والآلات والموازين، بل أخذوا يجمعون بقايا القنابل المتساقطة من المدافع الفرنسية ويستعملونها في صنع قذائف جديدة ، وتطوع الأهالي لإمداد الثوار بكل ما يلزمهم من مؤن .

وباشر المحروقي وباقي التجار النفقات والمآكل والمشارب، كما عاونهم فـــي ذلـــك سكان القاهرة وأهل الأرياف القريبة ، وأقام الثوار في بولاق ومصـــر القديمة حصونا ، وأصبحت جميع الوكالات والمخازن والبيوت علـــي الـــنيل قلاعا يخندقون فيها حتي سيطروا علي الملاحة في النيل، ولكن قوة السلاح وإفتقار المواطنين إلي المدافع والمواقع الحصينة أنهي القـــتال إلي جانب الفرنسيين الذين إستعملوا نهاية الوحشية والإنتقام ، فقد كـــانوا يشعلون النار في كل حي يدخلونه ، وفي كل بيت ليحرقونه علي مـــن فيـــه مـــن النساء والأطفال حتي صارت بعض الأحياء مثل بولاق والأزبكيـــة وبركة الرطلي خرابا وأكواما من التراب والرماد ، وأخيرا أضطر الأهالي إلي التسليم وسجن منهم من سجن أمثال الشيخ السادات ، وقتل منهم من قتل و منهم الحاج مصطفي البشتيلي .

***

المقاومة في الوجة البحري :

بدأت المقاومة في الدلتا بعد نزول الفرنسيين مباشرة ، وإمتدت إلي مدن الوجـــة البحري الكبري وريفه علي الإطلاق بشكل منتظم ومستمر ، بل إن أهالي القري إمتنعوا عن تموين الجيش ، وقامت البلاد كلها بالمقاومة الـــتي تزامنت مع ثورة القاهرة الأولي ، كأنها علي ميعاد لدرجة أنه قد خيـــل للفرنســـيين أن الأمـــر متفق عليه بين المصريين جميعا ، ونشط المصـــريون فـــي مهاجمـــة المـــراكب الفرنســـية بيـــن القاهرة ورشيد والاســـكندرية وفـــتكوا بمن فيها، وإستمرت المقاومة في الوجة البحري وخاصـــة في طنطا والمنصورة ومن دمياط إلي الاسكندرية ، وتجددت الـــثورات في الشرقية وإمتدت إلي وسط الدلتا وغربيها حيث حدثت عدة معارك في كفر نجم وسنهور ودمنهور.

معركة أبنود في الصعيد ١٧٩٩ :

مـــن أروع صـــفحات التاريخ المصري تلك المعارك الباسلة التي دارت عـــلي إمـــتداد الأرض المصـــرية من الاسكندرية حتي أسوان بين أبناء الشعب وقوات الحملة الفرنسية ، ففي تلك المعارك أظهر المصريون من ضـــروب الشـــجاعة مـــا أثار دهشة المؤرخين الأجانب رغم أنهم كانوا يفتقدون قيادة تنظيم صفوفهم ولم تكن هناك أجهزة إعلام تثير حماستهم ، وإنمـــا هو الإحساس العميق بالكرامة الوطنية ، وأن دولة أوربية بعثت بجيـــش لإحـــتلال بلادهـــم ، فهـــبوا من تلقاء أنفسهم يقاومون الفاتحين ويجعـــلون من إقامتهم في مصر جحيما لا يطاق ، وكما قوبل الفرنسيون بمقاومة عنيفة في الدلتا كان الصعيد مسرحا لمواجهات دامية علي إمتداد النيل من بني سويف والفيوم إلي أسوان والنوبة .

وكـــان مراد بك قد فر إلي الصعيد بعد هزيمته في إمبابة ونظم جيشا من الممـــاليك والعرب والأهالي وإنضم إلية فرسان من عرب الحجاز بعث بهم شريف مكة لنجدة إخوانهم المصريين ، وتشكل من كل هؤلاء جيش فـــرض نفوذه علي الصعيد وقطع خطوط المواصلات النيلية والبرية عن العاصمة ، ومنع دخول الغلال وأموال الضرائب إلي الإدارة الفرنسية .
وقـــد أمر نابليون بتجهيز حملة لفتح الصعيد بعد أن فشلت مفاوضاته مع مـــراد بك التي كان مفادها أن يعطية نابليون إقليم جرجا وما بعده حتي اسوان إذا ما إعترف بسيادة فرنسا ، إضافة إلي منحه إمتيازات أكبر إذا ما أظهر إخلاصه للجمهورية الفرنسية .

وكـــان قـــائد الجيـــش الفرنسي هو الجنرال "ديزيه" ألمع قواد نابليون ، وتـــألف الجيش الفرنسي من ثلاثة آلاف من المشاة ، وألف من الخيالة ،

ومائــة مدفــع، وأســطول نهــري صغير ، وسرب من الجمال لحمل مستلزمات الجنود، وصحب الجيش عدد من الأدباء والمترجمين .

ودارت بيــن قــوات "ديزيه" وقوات مراد بك معارك في المدن والقري والــنجوع شــارك فيهــا الأهالي بكل ما يملكون من أسلحة متواضعة ، وكانت خطة مراد أشبه بحرب العصابات حيث ينقض علي المعسكرات الفرنســية لاســتنزافهم وإرهاقهم دون الدخول معها في مواجهة مباشرة تحاشــيا لنيران المدفعية الثقيلة ، وعلي هذا النحو دارت المعارك ، ولجأ الفرنســيون إلي الإنتقام من الأهالي بتدمير القري وإحراقها ، ولكن ذلك لم ينل من الروح المعنوية لأبناء الصعيد بل كانت تزيدهم قوة وعناداً .

وواصل المصريون الجهاد ولم يستسلموا رغم ضعف إمكاناتهم ، وتجلت هــذه الــروح العالية في كل المعارك التي دارت في الفيوم وبني سويف والمنيا وأسيوط وجرجا وسوهاج وطهطا وأسوان حتي معابد فيلة وميناء القصير علي البحر الأحمر .

وكانت معركة أبنود نموذجا لهذه البطولات العظيمة ، وقد دارت رحاها عــلي ســطح النيل ثم إمتدت إلي شوارع القرية وضواحيها ، ففي مطلع شــهر مــارس ١٧٩٩ عــندما كــان الأسطول الفرنسي يسير في النيل وإضــطر إلــي الــتوقف عند مرسى أبنود بسبب الرياح الشديدة ، هاجم الأهــالي والعرب الذين وصلوا من بلاد الحجاز السفن الفرنسية ،وعلي الــرغم مــن إطلاق الفرنسيون القذائف علي الثوار إلا أن الأهالي علي الشــاطئ الأيسر للنيل تحفزوا للهجوم، وهجموا علي سفينة للفرنسيين ، وكــانت خســائرهم في هذه المعركة خمسمائة قتيل ، وغنم المصريون وعــرب الحجاز في هذه المعركة الكثير مما كانت تحملة السفن الفرنسية

من عتاد وذخيرة ومدافع إستغلوها فيما بعد في معاركهم ضد الفرنسيين ، ولكــن الفرنســيون عــادوا مرة أخري بقيادة الجنرال "بليار" الذي تولي القيــادة بعــد "ديــزيه" ودارت معركة في الثامن من مارس ١٧٩٩ بين الفريقين إنتهت بهزيمة الأهالي والعرب الذين تحصنوا في أبنود ، وتجدد القــتال فــي الشــوارع من بيت إلي بيت واستبسل الأهالي والعرب في الدفــاع ، وكــانت هزيمة رهيبة للفرنسيين الذين أشعلوا النار في منازل القرية عندما أدركوا أن الدائرة ستدور عليهم .

وتجــدد القــتال مرة أخري بعد ذلك ، حيث تحصن بقية الثوار في أحد المــنازل الحصينة ، وصمم عرب الحجاز علي المقاومة حتي آخر رمق فــي حيــاتهم ، وبالرغم من حرق الفرنسيين لمدينة أبنود ، ظل الأهالي يدافعــون بكــل ما يملكون من قوة لمدة ثلاث أيام متوالية ، وكانت هذه المعــركة من أشد معارك الحملة الفرنسية هولا وأطولها مدة ، فقد كانت سلسلة معارك دموية دامت ٧٢ ساعة وكان إحراق أبنود وما أصابها من دمار أفظع مأساة وقعت في معارك الحملة الفرنسية .

الشعب المصري يقاوم حملة فريزر الانجليزية علي مصر عام ١٨٠٧:

هــي الحمــلة الــتي قادها فريزر ، وإستعد المصريون لمقاومتها وعلي رأســهم السيد عمر مكرم ، فبعد إستيلاء الحملة علي الاسكندرية إتجهت إلي رشيد لتكون قاعدة حربية يتزود منها الجيش الذي يزحف منها داخل الــبلاد ، وقــام سكان رشيد بالمقاومة معتمدين علي أنفسهم حيث أطلقوا الــنارمن الــنوافذ والســطوح ، فدب الرعب في قلوب الانجليز وسقط الكــثيرون منهم صرعي في الشوارع ، ومني الجيش الانجليزي بهزيمة وتقهقــر صــوب الاسكندرية عن طريق أبي قير . وكان حضور السيد

عمر مكرم وإشرافه علي إقامة الإستحكامات يثير الحماسة والشجاعة في نفـوس الـناس ، وتدافع المصريون لنجدة رشيد بعد عودة الإنجليز إليها ثانية تسودهم روح التضامن ، وإنضم محمد علي والي مصر إلي الشعب فـي المقاومـة ، واستبسـل أهالي المدينة في الدفاع وأبدوا الكثير من الشـجاعة ورباطـة الجأش ، وتوافد الناس من ربوع مصر إلي رشيد وداهمـوا الانجليز من كل ناحية وأرهبوهم بالتكبير والصياح حتي طلب الانجـليز الأمـان ، وقبض المصريون عليهم وذبحوا كثيرا منهم ، وتم إرسـال أسـراهم ورءوس قـتلاهم إلـي القاهـرة ، وفر الباقون إلي الإسـكندرية بعـد أن جلوا عن رشيد ، كما جلوا أيضا عن الاسكندرية وكـان لوقفة المصريين أثرها الكبير في الحيلولة دون تدفق الإنجليز إلي داخل البلاد.

مقاومة المصريين للإحتلال الإنجليزي ١٨٨٢

تم إعتداء إنجلترا الآثم علي الاسكندرية في صباح يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ حيـث كـانت إنجلـترا قد خططت لإحتلال مصر دون مبرر . وأطلق الجـنرال "سـيمور" قائد الأسطول قذائفه علي المدينة ، وبدأت حصونـها المـتهالكة تدافـع وتتبادل النيران ، وكان الحراس في همة ونشاط رغم مدافعهـم القديمـة ورغم عنف المدافع الانجليزية وشدة تدميرها وقدرة السفن الانجليزية علي المناورة .

كـانت المقاومـة المصرية شديدة ، واحتل الانجليز الاسكندرية بعد أن أصـابها الدمـار ، أما أحمد عرابي فقد ذهب مع جنودة إلي كفر الدوار لإعداد خطط الدفاع الجديدة لأن الاسكندرية لم تعد تصلح ميدانا للقتال ، واسـتطاع أحمد عرابي أن يحشد حوالي عشرة آلاف جندي ، وكان معه

الشـــعب المصري كله بعد أن وضحت خيانة الخديوي توفيق الذي تآمر مع الإنجليز لاحتلال مصر .

ورابـــط أحمـــد عـــرابي مـــع جيشـــه عند كفر الدوار بعد أن تم إعداد إســـتحكامات دفاعية قوية بإشراف محمود باشا فهمي وجهود ستة آلاف متطوع .

وتصـــدت القوات المصرية لجيش الإحتلال الإنجليزي وأوقفت زحفهم ، وأنـــزل جيـــش مصـــر بالإنجليز الهزيمة أكثر من مرة وإضطرهم إلي العودة إلي الاسكندرية وهم يجرون أذيال الهزيمة .

وبعـــد أن أيقـــن الانجليز بفشلهم في هزيمة أحمد عرابي تحولوا بسرعة نحـــو قناة السويس التي لم يردمها أحمد عرابي بناء علي إلتزام ديليسبس بحيادهـــا، وهـــو الأمـــر الـــذي لم تلتزم به حكومة فرنسا ، فكان إلتزام ديليســـبس هـــذا بمثابة خدعة أدت إلي دخول الأسطول الانجليزي القناة وإحتلاله لبورسعيد والاسماعيلية والسويس ونفيشة والمسخوطة .

وعـــلي الرغم من ذلك دارت معركة حامية عند القصاصين بين الجيش المصـــري وجيـــش الاحتلال ، ولكن الهزيمة حلت بجيش عرابي الذي إنســـحب، وكان ذلك نتيجة الخيانة ، فقد أعطي "يوسف خنفس" الانجليز خطـــة أحمد عرابي الخاصة بالهجوم المباغت علي الانجليز الأمر الذي أدي إلـــي إفســـاد هـــذه الخطة، ثم كان لرشوة الانجليز للبدو ومشايخهم ولبعض الجنود الموالين للخديوي توفيق أثر كبير في هذه الهزيمة .
وإحـــتل الإنجـــليز القاهرة ، ووقعت مصر كلها تحت وطأة الاحتلال ، ورغـــم ذلـــك فـــان صـــمود الجيش كان واضحا ورائعا يعبر عن قدرة

الإنسان المصري، ولولا الخيانة وخدعة ديليسبس لاختلفت الصورة ولم تكن الهزيمة بهذا الشكل .

ثورة ١٩١٩ : أولي الثورات التحريرية بعد الحرب العالمية الآولي :

تمثل ثورة ١٩١٩ قومة مصر الجبارة ضد الاستعمار ، فقد كانت مصر أولـــي البلاد المغلوبة علي أمرها التي قامت لتدافع عن حقها في الحرية والاستقلال بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولي .

وعـــندما أعلـــنت انجلترا الحماية علي البلاد بعد إندلاع الحرب العالمية الأولـــي عام ١٩١٤ ، وفرضت عليها الأحكام العرفية، وشددت الرقابة علي الصحف والإجتماعات ، وعطلت الجمعية التشريعية ، وأمعنت في الإعتقال أثار ذلك المزيد من سخط المصريين علي الاستعمار ، كما سخرت إنجلترا المصريين لخدمة الحرب البريطانية وعلي الرغم من كـــل المظـــالم الـــتي لحقـــت بالشعب المصري إلا أنه كان متعطشا إلي إســـترداد حريـــتة المســـلوبة ، وساعد الشعب لإستئناف كفاحه .المبادئ الأربعـــة عشـــر التي أعلنها الرئيس الأمريكي "ولسون" في عام ١٩١٨ ومنها حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ومن ثم إستأنفت مصر كفاحها ... وتألف الوفد المصري بعد إنتهاء الحرب مباشرة في نوفمبر ١٩١٨ مـــن : سعد زغلول ، علي شعراوي ، إسماعيل صدقي ، حمدي الباسل ،محمـــد محمـــود ،عـــبد العزيز فهمي ، أحمد لطفي السيد ، محمد علي عـــليوة ، عـــبد اللطيف المكباتي، سينوت حنا ، جورج خياط ، مصطفي الـــنحاس ، حـــافظ عفيفي ، حسين واصف ، محمود ابو النصر ، وبذلك يكـــون الوفـــد خليطا من رجال الحزب الوطني وحزب الأمة والكفايات الشخصـــية ، وتمثلت فيه وحدة الأمة سياسياً وإجتماعياً ، وكان هدفه هو

الســعي للحصول علي الإستقلال وإنهاء الحماية مما إستوجب الحصول علي توكيلات من شتي أطراف البلاد لهذا الغرض .

واعتقلت السلطات البريطانية الزعيم سعد زغلول مرتين : الأولي في ٨ مارس ١٩١٩ ونفتة مع ثلاثة من رفاقه هم حمدي الباسل ومحمد محمود وإســماعيل صــدقي إلــي مالطة ، وكان هذا العمل بمثابة الشرارة التي فجرت مستودعا من البارود ،ففي اليوم التالي إنفجرت الثورة الشعبية في كافــة أنحاء مصر واشتركت فيها كل طوائف الشعب من مسلمين وأقباط ورجــال ونساء وعمال وفلاحين وطلبة وأثرياء وفقراء مما جعلها ثورة فريدة في تاريخ الأمم والشعوب .

وبعــد الإفراج عن سعد ورفاقه في ٤ ابريل- أى بعد أقل من شهر لم يعد سعد زغلول إلي مصر وإنما أبحر إلي فرنسا ليعرض قضية إستقلال مصر علي مؤتمر الصلح المنعقد في "فرساي" ، وعند عودتة إلي مصر فــي ٢١ مــارس ١٩٢١ بعــد عامين من إندلاع الثورة إستقبلته الأمة إســتقبالا لــم يحــدث لفــاتح من الفاتحين ، فكان توكيلا جديداً أبلغ من التوكيلات المكتوبة التي قدمتها الأمة لتفويض سعد في المطالبة بإستقلال الــبلاد ، فاســتأنف الجهــاد والنضــال ، وحرك الأمة من أجل التمسك بحقوقهــا ، وصــارت مصر شعلة من الكفاح الوطني ، فكان الإعتقال الثاني في ٢١ ديسمبر ١٩٢١ .

وفــي هــذه المرة كان معه ثلاثة من المسلمين هم : مصطفي النحاس ، وفتح الله بركات ، وعاطف بركات ، وأثنين من الأقباط هما: مكرم عبيد ، وســينوت حــنا ، وتم نقلهم من السويس إلي مستعمرة عدن ومنها إلي جزيرة سيشل بالمحيط الهندي ومنها إلي مستعمرة جبل طارق ، وعاش

سعد في المنفي صابرا صامداً ، فلم يهادن أو يساوم علي مبادئ الوطنية ، وظل أمينا علي ثقه الشعب فيه .

كـــان مـــن ملامح ثورة ١٩١٩ أنها لم تأخذ الطابع العسكري بعد أن قلم الاســتعمار أظفـــار المصـــريين باشــتراقه عــلي الجيش وتقريره البدل العسكري .

كمـــا أنها أبرزت الوحدة الوطنية وهي أثمن ما تجلي عن الثورة ، وهي الصـــخرة التي تحطمت عليها دسائس الإستعمار ، إضافة إلي هذا تتميز الـــثورة بمشـــاركة جميع طوائف الشعب ، ومشاركة المرأة بإيجابية فقد كـــان لها دورا بارزا في الإحتجاجات علي ممارسات الإحتلال ، والقيام بالمظاهـــرات ،فقـــد خرجت في السادس عشر من شهر مارس ١٩١٩ مظاهـــرة نســـائية في حشمة ووقار ، وكان عدد المتظاهرات يربو علي الـــثلاثمائة مـــن كـــرام العائلات ، وأعددن إحتجاجاً مكتوباً ليقدمنه إلي معتمدى الدول .

وقـــد حياهن شاعر النيل حافظ ابراهيم بقصيدة رائعة مجد فيها شعورهن وشجاعتهن وحمل حملة لاذعة علي مسلك الجنود الانجليز حيالهن ..قال فيها :

فطلعـــن مثل كـــواكب	يسطعن في وســـط الدجنة
وأخذن يجتـــزن الطرق	ودار ســـــعد قصدهن
يمشين في كنف الوقـــار	و قد أبن شـــــعورهن
و إذا بجيـــش مقبـــل	والخيـــل مطلقة الأعنة
و إذا الجنود ســـيوفها	قد صوبت لنحورهـــن
و الخيل و الفرســـان قد	ضربت نطاقاً حـــولهن

و الورد و الريـــحان في   ذاك النهار ســـــلاحهن

كما لم تفلح وسائل القمع الانجليزي في إخماد الثورة ومنع المظاهرات والمصـــادمات والاضـــرابات التي قام بها المحامون ورجال القضاء في المحـــاكم ، وعمال السكك الحديدية ، ومقاطعة المواصلات التي تمتلكها الشركات الأجنبية ، ثم إنها كانت ثورة شعبية عمت أرجاء البلاد .
وقـــاطعت الثورة لجنة "الفرد ملنر" وزير المستعمرات التي وصلت إلي مصـــر يوم ٧ ديسمبر ١٩١٩ لتقصي أسباب الثورة وبحث وسائل تلافي هذه الأسباب مستقبلا .

ولم تنه الثورة إلا بعد رضوخ الانجليز لرغبة الشعب والإفراج عن سعد ورفاقـــه فـــي ١٨ ابريل ١٩١٩ ، وإعلان إلغاء الحماية البريطانية علي مصـــر، والإعـــتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وإنتهاء الأحكام العـــرفية ،مـــع التحفظات الأربعة المشهورة الخاصة بتأمين مواصلات إنجلترا في مصر ، والدفاع عن مصر ضد كل إعتداء أو تدخل أجنبي ، وحماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات ، والسودان ، وذلك فـــي تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ المشهور الذي أعلنتة إنجلترا من جانب واحد .

المقاومة الشعبية في الفترة ما بين ١٩١٩ إلي ١٩٨٢ :

إتخـــذت المقاومـــة الشعبية في هذه الفترة شكل إستخلاص حقوق مصر بالملايـــنة والمفاوضة وعرض القضية في مؤتمر الصلح الذي إنعقد في فرســـاى عقـــب إنتهاء الحرب العالمية الأولي وتعثرت الحركة الوطنية

نـــتيجة لتدخل بريطانيا والسراي (الملك) حيث تم اللعب علي الاحزاب السياسية .

وقـــد قـــام الشباب خاصة شباب الجامعة عام ١٩٣٥ بمظاهرات قومية عـــنيفة تصـــادم فيهـــا الشـــباب مع قوات الحكومة وسقط منهم عدد من الشـــهداء ، وإتخذت هذه المظاهرات شعار "مصر فوق الجميع" إرتفاعا بالكفـــاح المصـــري إلي مستوي القومية وبعيداً عن الأحزاب التي كانت تتصارع في ذلك الوقت .

وقام الزعيم مصطفي النحاس رئيس حزب الوفد بابرام معاهدة الاستقلال عـــام ١٩٣٦ بما إحتوتة من تحفظات ، وقام بالغائها أيضا في ٨ اكتوبر ١٩٥١ ، وقـــال كلمتة المشهورة أمام مجلس النواب المصـري : من أجل مصـــر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها ، وبذلـــك تـــم التخـــلص من منهج التفاوض إلي منهج الكفاح المسلح ضد الاحـــتلال. وكـــان الوفـــد قد عقد المعاهدة لتكون خطوة نحو الاستقلال وكانت مدتها ٢٠ عاما . وبإلغاء المعاهدة إتحدت إرادة الأمة وقررت أن تنـــتفض لـــتواجه مباشـــرة وبقيـــادة حكومـــتها المصرية الامبراطورية البريطانية العظمي التي لا تغرب عنها الشمس ، حيث تدفق الشباب إلي مـــنطقة القـــناة ، وأنزلوا بقوات بريطانيا ومعسكراتها خسائر فادحة في الأفراد والمعدات .

وقـــد بلغت الفدائية ذروتها في وقفة جنود بلوك النظام بالاسماعلية الذين رفضوا تسليم مبني المحافظة للقيادة البريطانية ، وكان ذلك في ٢٥ يناير ١٩٥٢ وكان وزير الداخلية وقتها هو فؤاد باشا سراج الدين الذي أصدر الأوامـــر بعـــدم التسليم ، وتحدي الجنود البواسل مدافع الانجليز ودافعوا

عــن مواقفهم في قوة وثقة بالنفس ، ولم يتخلوا وهم يتساقطون واحد تلو الآخــر حيــث إستشــهد منهم خمسون فرداً ، وصار هذا اليوم هو عيد الشرطة كل عام .

***

إنتصار مصر في العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ :

بــدأ العدوان الثلاثى علي مصر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بعد أن أمم الــرئيس جمـــال عبد الناصر قناة السويس وأصبحت إدارتها إدارة مصـــرية خالصة ، وكان العدوان بتحالف كل من إنجلترا وفرنسا وإســرائيل ، وبدأ العدوان علي مدينة بورسعيد التى وقفت وقفتها الباسلة ، فكانت المقاومة الشعبية وجنود مصر وجمال عبد الناصر الذي خطب خطبته الشهيرة علي منبر الأزهر والتى أثارت حماسة الشعب الذى تكاتف وتصدى لهذا العدوان ، وكان إنتصـار مصر في بورســعيد . ولـــم تكن المقاومة مقصورة فقط علي بورسعيد بل كانت الســويس أيضاً هى مدينة الأبطال ، فقد أراد الأعداء أن يتخذوها قاعدة يــزحفون منها شمالاً، ومن بورسعيد يزحفون منها جنوباً لتتلاقى قواتهم فـــي وسط القناة . وتنفيذاً لهذه الخطة حاول المعتدون إنزال قوات برية فـــي مدينة السويس ، فتجمعت سفن بريطانية وفرنسية عند مدخل خليج السويس ، وإقتربت من ميناء السويس في ٣ نوفمبر ١٩٥٦ فتصدت لها مدفعيــة الســواحل فشــتتها ، ثــم هاجمتها زوارق الطوربيد المصرية فأغــرقت قطعة بحرية بريطانية ، وإنسحبت السفن البريطانية والفرنسية إلي الجنوب بعيداً عن الشاطئ .

وقـــام الأسطول المصري بمطاردة هذه السفن وضربها أثناء الإنسحاب ، فتم إغراق حاملة جنود بريطانية قرب شرم الشيخ .

وقـــد سارع الرئيس جمال عبد الناصر بإعطاء الأوامر الخاصة بإغلاق مجري قناة عند بورسعيد عن طريق إغراق خمس سفن فيها .

ومـــع ذلك فقد تعرضت السويس في عام ١٩٥٦ إلي الكثير من الغارات الجوية العنيفة والمتلاحقة مما دمر البيوت وخراب المنشأت .

ولكن مصر إنتصرت في حرب السويس وبورسعيد علي العدوان الثلاثى ، فإنـــتهى بذلـــك إلـــي الأبـــد عصر المغامرات الإستعمارية المسلحة ، ولتنهار كل من إمبراطورية فرنسا وإمبراطورية إنجلترا .

***

عدوان ونكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ :

إســـتعدت قـــوي الإستعمار إلي توجيه ضربة قاصمة لمصر تجسدت في عـــدوان ٥ يونيـــو ١٩٦٧، وكـــانت بداية العدوان ضربة مدمرة لسلاح الطيـــران المصري في الساعة الثامنة و٤٥ دقيقة من صباح الخامس من يونيـــو عـــام ١٩٦٧، وكـــان الهدف تجميد السلاح الجوى منذ اللحظات الأولي لـــلمعركة ، وحرمان القوات المصرية من أهم عنصر في حرب الصـــحراء وهو الغطاء الجوى ، وإحتشدت القوات المصرية في سيناء الـــتى هزمت دون أن يسمح لها بالقتال ، وإحتلت إسرائيل سيناء بعد ٦ أيام من بداية العدوان ووصلت قواتها إلي الضفة الشرقية للقناة :

وطـــوال ٦ ســـنوات كاملة عانت مصر خلالها من الإحتلال الإسرائيلى كان قرار الشعب المصري هو أننا خسرنا معركة ولكننا لم نخسر حرب ، وجـــاء هذا القرار في اللحظات الأولى التى أعقبت الهزيمة التى أطلق عليها إسم النكسة ، وتجسد الإصرار علي بقاء جمال عبد الناصر وعدم قــبول قراره بالتنحى يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ، ولم تمض سوي شهور قليلة حـــتى بدأت عملية بناء القوات المسلحة ودخلت مصر حرب الإستنزاف ضــــد إسرائيل ، وأقامت حائط الصورايخ الذي تصدي لعربدة الطائرات الإســـرائيلية وقطع ما كان يسمى باليد الطويلة للسلاح الجوي الإسرائيلي .

وشـــهد بصلابة الشعب المصري المؤرخ البريطانى أرنولد توينبي الذي قـــال : إن الأمة المصرية التى رفضت الإستسلام لأهداف العدوان وفي مقدمتها الإطاحة بعبد الناصر لهى أمة قادرة علي قهر العدوان .

وظهرت صور من المقاومة والإنتصارات قام بها جنودنا البواسل خلال ســـنوات النكســـة ، فردوا العدوان علي جزيرة شدوان وإنتصر الجنود ، وأحـــبط أهـــل الســـويس محاولة إسرائيل للسيطرة علي نصف المجري المـــائى لقـــناة السويس ،وتم إغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات" في ٢١ أكـــتوبر ١٩٦٧ وعـــليها مئات الجنود والمعدات ، كما بدأ في ٣٠ يونيو ١٩٧٠ أســـبوع تساقط الطائرت الأسرائيلية التى وصلت إلي ٢١ طائرة فـــي هذا الأسبوع فقط فإنزعجت إسرائيل ومن خلفها أمريكا التى سعت إلـــي وقف إطلاق النار ، وكانت مبادرة "روجرز" وزير خارجية أمريكا لإيقـــاف الـــنار لمدة ٩٠ يوماً تبدأ من يوم ١٦ يونيو ١٩٧٠ والتى وافق عليها كل من مصر وإسرائيل .

***

حرب السادس من أكتوبر ومحو آثار الهزيمة ١٩٧٣ :

بعــد وفــاة الــرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، تولى الــرئيس محمــد أنور السادات ، وهو الرجل الذي إختارته الأقدار لكي يقود مصر نحو أروع وأمجد معاركها .

وبعــد أن إســتنفذت مصــر كــل المحاولات السياسية لإقناع إسرائيل بالإنســحاب لــم يعد هناك خيار سوى اللجوء إلي القوة لتحرير الأرض وتحطيم نظرية الأمن الإسرائيلى .

وجــاء يــوم إستعادة الكرامة المصرية والعربية في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ الموافــق العاشــر من رمضان عام ١٤٩٣ هــ الذي وافق يوم الغفــران "عيــد كيبور" اليهودى ، وبعد خطة دفاع أصبحت تدرس في أكاديميــات العــالم العســكري إنتزع الجيش المصري زمام المبادرة ، وكــانت ساعة الصفر التي إختارتها القيادة المصرية بعد حسابات علمية معقــدة هى الســاعة الــثانية من ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر عندما وجه ســلاح الطيــران المصري الذي كان يقودة في ذلك الحين اللواء محمد حســنى مبارك الضربة الجوية الأولي التى فتحت الطريق أمام النصر ، فانطــلقت ٣٠٠ طيــارة مصرية في إتجاه الشرق عبر قناة السويس إلي ســيناء لــتدمير مراكــز القيادة ومحطات الرادار وبطاريات الصواريخ الإســرائيلية ،وإنطــلقت نيران ٢٠٠٠ مدفع مصري من الضفة الغربية للقناة لتدمر مواقع العدو .

وحققــت الطائــرات المصــرية نجاحاً منقطع النظير في مهمتها ، بينما إســتمر القصف المدفعى ٥٣ دقيقة في خمس قصفات متتالية شملت خط

بـــارليف الحصين الذي وصفة جنرالات إسرائيل بأنه أقوى خط دفاعى في العالم .

وخـــلال ٣٠ دقيقة كان رجال سلاح المهندسين المصري قد فتحوا العديد مـــن الثغرات في خط بارليف ، وأصبحت المعابر والجسور في مواقعها علـي ضــفتى القناة لتبدأ موجات العبور وسط زئير جنود مصر الذين أدخلوا الرعب في قلوب الإسرائيلين بهتافهم الله أكبر الله أكبر .. النصر لمصر ..

وإشـــتبك الجنود في قتال متلاحم مع جنود العدو إستخدمت فيه كل أنواع الأسلحة بما فيها من السلاح الأبيض .

وبعـــد ٦ ساعات فقط من بداية العبور كان خط بارليف قد أصبح تحت سيطرة الجيش المصري رغم أن بعض خبراء السوفيت أكدوا أن تدمير هذا الخط يحتاج إلي قنبلة ذرية ، ولكن القوات المصرية عبرت أصعب مـــانع مائى في العالم ، وإستولت علي هذا الخط الحصين ، وفتح جنود المشاة الطريق أمام الدبابات المصرية للعبور إلي الشرق .

وإنســـحبت إسرائيل إلي ما أسموه بخط الدفاع الثانى ، وكانوا يستعدون لشـــن هجـــوم مضاد وسريع وشامل ضد قواتنا ، وتدمير رؤس الجسور بإستخدام سلاح طيرانهم ، ولكن بمجرد أن وصلت الطائرات الإسرائيلية إلـــي سماء المعركة حتى وجدت مفاجأة أخري أمامها في إنتظارها هى حـــائط الصواريخ المصري الذي أسقط عشرات الطائرات وأجبر البقية إلي الفرار نحو الشرق.

ولم تمر سوي أيام قليلة حتي أرسلت "جولدا مائير" رئيسة وزراء إسرائيل رسالة إستغاثة إلي أصدقائها في واشنطن تقول "أنقذوا إسرائيل" .وشهدت سيناء أضخم معركة دبابات في تاريخ حروب المدرعات ، وقال الخبراء العالميون إن هذه المعركة لا تقارن إلا بمعركة العلمين أو معركة ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد اشترك في هذه المعركة ٣٠٠٠ دبابة من الجانبين المصري والإسرائيلي ، وإستمرت من يوم ١٥ أكتوبر وحتى يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣.

وكانت صورة رائعة للإنتصار المصري يوم ١٣ أكتوبر في حضور رجال الصليب الأحمر ووسائل الإعلام العالمية وهى أن الملازم أول "سلومو أرونيست" وهو يؤدى التحية للعلم المصري ، ويسلم موقعة الحصين في لسان بورتوفيق إلي النقيب المصري فتحي زغلول من الفرقة ١٩ مشاة .

وفشلت إسرائيل التى حاولت إستغلال الثغرة التى حدثت وتسلل منها بعض القوات الإسرائيلية التى كانت تختبئ وسط الزراعات مستخدمة أسلوب حرب العصابات وحاولت إحتلال السويس ، فكانت السويس مقبرة لليهود ، وأعادت تلك المدينة الباسلة أمجاد رشيد التى أفشلت حملة فريزر علي مصر عام ١٨٠٧.

وقد وصف "موشي ديان" حرب أكتوبر أثناء المعركة بقوله : هذه الحرب صعبة فمعارك الدبابات فيها قاسية ومعارك الجو مريرة ، إنها حرب ثقيلة بأيامها .. ثقيلة بدمائها ، وليس أمامنا إلا أن نقاتل بقلوب كسيرة وعلينا أن نطوي قلوبنا علي الأحزان .

وبعد حرب أكتوبر وإنتصارها كانت مبادرة الرئيس محمد أنور السادات للسلام ، فقد سافر إلي إسرائيل يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، وعرض عليهم فـــي الكنيست الإسرائيلي سلام الأقوياء ، ليبدأ تحرير ما تبقى من سيناء تحت الإحتلال .

وتم توقيع إتفاقية السلام في كامب ديفيد في مارس ١٩٧٩ لتستعيد مصر سيادتها الكاملة علي أراضيها حتى حدود الدولة مع فلسطين .

الرئيس محمد حسنى مبارك يحرر الأرض حتى طابا المصرية :

بعـــد رحيل الرئيس أنور السادات في عام ١٩٨١ ، حمل الرئيس محمد حســـنى مـــبارك الـــراية ، وواصـــل معركة السلام بعد أن قاد الطيران المصري في حرب أكتوبر .
ورغـــم كـــل محـــاولات إســـرائيل للمراوغة والمماطلة إلا أن الموقف المصـــري القوى نجح في إجبارهم علي تنفيذ الإنسحاب الكامل ، وكانت المرحـــلة الأخيرة منه في منتصف مارس ١٩٨٢ ، ، وحتى منطقة طابا المصرية التى بذل الإسرائيليون محاولة يائسة للبقاء فيها ، فقد جاء قرار الـــتحكم الـــدولى ليؤكد تبعيتها لمصر . ومرة أخري يتم إجبار إسرائيل على الإنسحاب من أخر بقعة من التراب المصري .

***

بعد أن عرضنا لقصة كفاح هذا الشعب الأصيل .تلك القصة التى تنفى ما قاله الأعداء والخصوم من أن الشعب المصري لم يرد غازياً أو فاتحاً أو حاكماً دخيلاً ، وأنه شعب مستسلم يترك للأجانب شئون الحكم والإدارة ، ويقنع هو بدور الأجير الذي يعمل مأموراً ويعود آخر النهار بلقمة عيش

تقيـــم صلبة ،وأنه شعب لا يحارب حرصاً منه علي الحياة ، وخوفاً من المـــوت ، وعجـــزاً في إتقان فنون الحرب ، شعب يرضي بالأمر الواقع ويتكيف له ..

وبهذه الإتهامات والمغالطات تم تزييف التاريخ المصري هذا التاريخ الـــذي يحمـــل فـــي ثـــناياه حقيقة الشخصية المصرية التى نراها خلف الأحـــداث، فالمصـــري بقى كما هو لم يتغير علي مر الزمان في مسلكه العـــام وإتصـــاله بالطـــبيعة وســـعيه الحضاري ، بقي يصنع الحضارة ويوزعها علي الناس.

وحيـــن إجتاحت العالم القديم موجات الغزو والفتح أخذت مصر نصيبها فـــلم يجـــرؤ علي الطمع فيها ولا الإقتراب من حدودها إلا أقوى الغزاة الذين دانت لهم الدنيا التى كانت معروفة في ذلك التاريخ .

فكان المصري الذي عرف معانى الحياة الأصلية ينظر إلي هؤلاء الغزاة في حكمة وفهم وهو يعرف أنهم زائلون ، فان تخلف عنهم أثر من حكم حاربـــه بأســـلوبه وطريقـــته ، فان لم ينفع هذا الأسلوب إستعمل أسلوب السيف والمدفع، وعندها يبدو في صورة المقاتل الذي لايشق له غبار .

وإذا كـــان الأعـــداء قـــد حـــرموا المصري من السلاح وأبعدوه عنه ما إســـتطاعوا، وأكـــدوا أنه زارع الأرض ، وباذر الحب ، وجانى الزرع ،وحاصد الخير ، وأبعدوه عن منصات الحكم تقليلاً من قدره فأن ذلك لم يؤثر في روحه أو معنويته أو وطنيته ، ولم تتأثر حياته بحياة الأعداء الذيـــن تحلـــلوا كما تحلل الأشياء وبقيت الحياة المصرية شامخة ثابتة بأصولها وتقاليدها .

والصور والشواهد واضحة جليلة في حرص المصري علي حرية وطنه وإستقلاله ، ودفاعة المستميت لتحرير أرضه من دنس أى إحتلال منذ بدء التاريخ وحتى الأن ، فكفاح مصر ضد أعدائها والغزاة هو كفاح متصل لم يلق فيه السلاح من اليد ، وربما تغير شكل السلاح أو إسمه ، ولكن لم تتغير طبيعة المعركة ولا هدفها ، فلم تتم مصر ولم تستسلم لأحد من الغزاة الذين فنوا كالأعاصير التى تهب ، .. فبقيت مصر ولم تسلم بأن الغزاة أفضل منها أو أقدر منها علي نفع الناس .

إنها قصة شعب يجب أن نقرأها ، وأن نستلهمها ، وأن نروي أمجادها لأولادنا حتى إذا جاء دورهم كأباء رددوها لأولادهم ليعرفوا إلي أى شعب مجيد ينتمون ، ويعلموا أنها قصة رائعة سطرها الشعب المصري لجميع الشعوب وللإنسانية جمعاء .

***

رموز مصرية قاومت وعملت لبناء مصر

دخلت مصر القرن العشرين وهى تحمل علي كاهلها قضية أساسية كبري هى التحرر من الإحتلال والحصول علي الإستقلال .

وطوال مائة عام كاملة هى عمر هذا القرن شارك كل مصري في الكفاح من أجل حقوق الأمة ، وقاد المسيرة مصريون بذلوا كل طاقاتهم في إطار الظروف المحلية والإقليمية والدولية المحيطة بهم ، وكان هدفهم هو تطهير تراب الوطن وإعلاء سيادته بين الأمم ، والنهوض به وبنائه علي المستوى الشعبي .

وقدم رؤساء وزعماء سياسيون وقادة للحركات الشعبية وأبناء بسطاء من الوطن نبتوا منه .. الغالى والرخيص ، ولم يبخلوا بجهدهم من أجل مصر ، فكانوا رمزاً للوطنية حيث كانت مصر بالنسبة لهم هى الروح والعقل والفؤاد..

وكانت مصر في نظرهم هي الوسيلة والهدف والغاية إستندت إلي ماض عريق ، وإنطلقت من واقع مشرف، وتطلعت نحو مستقبل زاهر مشرق كبير، ودخل هؤلاء التاريخ بما قدموه وبذلوه .

وفيمـــا يـلى صفحات موجزة عن بعض هذه الرموز ممن بذلوا جهوداً مخلصـــة من أجل مصر ، بداية من عصر الزعيم الثائر أحمد عرابي ، وحـــتى الوقت الحالى الذي يشهد الإنطلاقة الكبري بقيادة الزعيم الحكيم المخلص المثابر الرئيس محمد حسنى مبارك .

أحمد عرابي : الزعيم الثائر: (١٨٤١-١٩٠١)

هـــو قائد أول ثورية مصرية في العصر الحديث ، وهو زعيم نبت بين أبناء الشعب المصري ، وواجه الطغاة والظالمين ، زعيم جاهد في سبيل الحـــق ومـــات عـــلي دين الحق ، زعيم مفترى عليه وقد آن الأوان أن ينصفه لتاريخ، وأن يحدد له مكانته بين قواد حركتنا القومية .

ولـــد أحمـــد عرابي في شهر مارس عام ١٨٤١ في قرية "هرية رزنة" بمحافظـــة الشـــرقية ، وكان أبوه محمد عرابي شيخ القرية ، عالماً يلقى الـــدروس في المسجد ، تعلم أحمد عرابي في طفولته في كتاب القرية ، فحفظ أغلب القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ، وإلتحق بالأزهر الشريف وظل به أربع سنوات تعلم فيها الفقه والتفسير والنحو وحفظ القرآن كله ، ولم يكمل دراسة الأزهر وعاد للقرية .

وإلـــتحق بالجيش وإنتظم جندياً في صفوفه ، ثم ضابطاً حتى وصل إلي رتبة نقيب وكان عمره ١٧ عاماً ، ثم وصل بعد عاميين إلي رتبة "رائد" فكـــان أول مصـــري يحصل علي هذه الرتبة ، وإستطاع أن يتفوق علي ضـــباط الجيـــش مـــن الشراكسة والأتراك ووصل إلي رتبة قائمقام عام ١٨٦٠، وإعـــتزل الخدمـــة العسكرية ثم عاد إليها بعد عاميين وواصل عمله إلي أن أبعد من الجيش ، وعاد إلي الخدمة بالجيش بعد أن عفا عنه

الخديوي توفيق أثر محاكمتة أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالسجن . ورقى إلي رتبة أميرلاى ثم إلي رتبة لواء ، وعين ناظراً للحربية .

وفي وزراة اللواء محمود سامى البارودى تزعم ثورة الجيش عام ١٨٨١ للقضــاء علي النفوذ الأجنبى في البلاد ، فكانت حركة ٩ سبتمبر ١٨٨١ وهو اليوم الذي تحركت فيه وحدات الجيش المختلفة ووصلت إلي ميدان عابدين في تمام الساعة الرابعة عصراً ، وتلاحقت الوحدات وبلغت القوة أربعــة آلاف جـندي ومعهم أسلحتهم ، وتجمع ورائهم الألاف من أهل القاهرة ، كما إنضم إليهم الحرس الخاص بالخديوى .

وعــندما جــاء الخديوى محمد توفيق للميدان ومعه المندوب الإنجليزى وبعض الضباط الأوروبيين ، تقدم منه عرابي علي ظهر جواده حتى إذا مــا إقترب من الخديوي نزل من فوق جواده وسار ناحية الخديوي ومن حوله خمسون ضابطاً مصرياً فأدي التحية العسكرية ، ووضع السيف في جــرابه ، ومن خلال حوار بينه وبين الخديوي قدم أحمد عرابي طلبات الجيــش والأمــة المتمثلة في إسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نــواب عــلي النســق الأوروبي ، وإيصال الجيش إلي العدد المحدد في الفــرمانات السلطانية ، والتصديق علي القوانين العسكرية التى أمر بها الخديــوي توفيــق ، وعندما قال الخديوي : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيهــا ، وأنــا ورثــت هــذه البلاد عن أبائي وأجدادي وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا ، قال الزعيم أحمد عرابي قولته المشهورة :" **لقد خلقنا أحراراً ولم يخلقنا تراثاً أو عقــاراً ، فوالله الذي لا إله إلا هو اننا ســـوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم** "، وتمسك عرابي بموقفه أثناء المفاوضة مع القنصل الذي أرســله الخــديــوي حتي وافق الخديوي علي الطلبات ،

ونجحت الحركة نجاحاً هائلاً ، وفرحت الجماهير في كافة أنحاء مصر وأصبح إسم عرابي علي كل لسان وتحققت له زعامة الأمة .

وقاد أحمد عرابي الجيش ضد قوات بريطانيا التي إعتدت علي مصر ، إلا أنه هزم نتيجة الخيانة ،فقدم إلي مجلس عسكري وحكم عليه بالإعدام ، ثم أبدل الحكم بالنفي إلي جزيرة سيلان وذهب عرابي وزملاؤه إلي هذه الجزيرة الكبيرة التى إنتشر فيها الإسلام ، وهم : عبد العال حلمي ومحمود فتحي ويعقوب باشا سامي، ووصلها في ٩ يناير عام ١٨٨٣ وإستقبله أهلها وحكامها إستقبالاً حافلاً ، وأمضي أحمد عرابي وزملاؤه ما يقرب من ١٩ عاماً عاشها بين السكان يعلمهم اللغة العربية والدين ويتعلم اللغات الأجنبية ، وأسس مدرسة هناك هي "المدرسة الإسلامية" لتعليم أبناء الجزيرة.

وفي جزيرة سيلان توفي عبد العال حلمي في عام ١٨٩١ ودفن هناك وحزن الجميع علي وفاته ، وكذلك توفي محمود فهمي في ١٧ يوليو عام ١٨٩٤، كما توفي يعقوب باشا سامي في أكتوبر ١٩٠٠ ودفن هناك .
وقد أصدر الخديوي عفواً عن أحمد عرابي في ٢٤ مايو ١٩٠١ فعاد إلي مصر بعد أن ودعه أهل الجزيرة وداعاً كبيراً ، ووصل إلي السويس في ٢٩ سبتمبر ١٩٠١.

ووجد أحمد عرابي أن الإحتلال الإنجليزي مازال يسيطر علي مصر ، وأن الحركة القومية بدأت تصحو علي يد مصطفى كامل .

***

وظـــل عرابي يتعبد ويكتفي بالعبادة والصلاة والإعتكاف حتي توفي في ٢٢ ســبتمبر عام ١٩١١ وسارت جماهير شعب مصر في جنازة الزعيم أحمد عرابي صامتة خاشعة تقديراً لبطولته .

لقــد دفــع أحمــد عــرابي راحته وإستقراره ثمناً لفداء الوطن ، ورغم الشــائعات التي أطلقها الأعداء بأنه سبب الإحتلال ، فإن الإحتلال إستمر ما يقرب من سبعين عاماً حتي تم الجلاء في١٨ يونية عام ١٩٥٤ .

إن أحمــد عرابي بطل وزعيم ، وصاحب أول صيحة من أجل الدستور في مصر. الصيحة من أجل مصر للمصريين ووطناً خالصاً لهم جميعاً .

مصطفي كامل باعث الحركة الوطنية
(١٨٧٤-١٩١٠)

هــو مــن الطــبقة الوسطي المثقفة الذين رفعوا راية الكفاح ضد الحكم الــبريطاني ، ناصره أغلبية الشعب المصري ، وقد عبر مصطفي كامل عــن تعــلقه بمصر ، وبأهل مصر في شاعرية عاطفية دفاقة أثرت في وجــدان الشعب المصري وفي طبيعته التي تميل إلي الإلتصاق بالوطن الكبير .

كان أول ما واجه مصطفي كامل من الصعاب هو اليأس الذي خيم علي الكــثير مــن النفوس ممن صدمتهم كارثة الإحتلال ، فاتجه وهو زعيم الحركة الوطنية إلي أن يذكر المصريين بماضيهم وجلال تاريخهم ، وما فعلــه أجدادهم في القريب والبعيد من أيامهم ، والإنسان ميال بطبعة إلي الإصغاء إليس ما فيه إشادة بأصله وأهله .

كان أسلوب مصطفي كامل في الكتابة والخطابة سهلاً يصل إلي القارئ أو السامع بوضوح ، وكان يفهمة عامة الناس وأنصاف المتعلمين ويتأثرون به، ولقد يسرت عاطفته الرفيعة حسن التأثير في نفوس الناس فكانت خطبه تجري علي الألسن وكأنها أناشيد وأغاني .

ومن كلماته في هذا المعني :" *ألا أيها اللائمون انظروا وتأملوها ، واقرأوا صحف ماضيها ، واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض :هل خلق الله وطنا أعلي مقاما ، واسمي شأنا ، واجمل طبيعة ، واخلد آثارا ، واغني تربة ، واصفي سماء ، واعذب ماء ، واوعي للحب والشغف منها ؟ يجيبكم بصوت واحد بأن مصر جنة الدنيا ، وأن شعبا يسكنها ويتوارثها أكرم الشعوب إذا أعزها ، وأكبرها جناية عليها وعلي نفسه إذا تسامح في حقها ، وأسلم أزمتها للأجنبي .*

قد يري السفهاء والظالمون أن الإنتساب لشعب يستعبد كالشعب المصري مما لا يليق بالإنسان ، ولكن أي شرف يطمع الحر فيه أكبر من العمل لإحياء الأمة التي سبقت الأمم كافة في العلم والمدنية والأدب ، أي رفعة يسعي الشريف إليها أسمي من إنهاض شعب كان أستاذ الشعوب البشرية ومربي العالم كله ؟

بعد ذلك هاجم اليأس عدوه الأصيل ، فضيق عليه الخناق بما كان يثير في نفوس الناس من الأمل من حسن مستقبلهم ، وله كلمات هذه في هذا المقام فمنها :

"*إن العامل الواثق من النجاح يري النجاح أمامه كأنه أمر واقع ، ونحن نري من الآن الإستقلال المصري ونبتهج به ، وندعو له كأنه حقيقة ثابتة، وسيكون كذلك لا محالة ، فمهما تعددت الليالي وتعاقبت الأيام ،*

وأتي بعد الشروق شروق ، وعقب الغروب غروب ، فإننا لا نمل ، ولا نقف في الطريق ، ولا نقول أبداً طال الإنتظار ".

وكـــانت خلاصة هذه الناحية من كفاح مصطفي كامل عبارته الجامعة :" **لا معـنـي للحياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة** " فقد كان دوره الأساسي في تاريخ الكفاح المصري : هو الأمل : إثارته ، والإحاطه به ، وإشاعة نــوره في القلوب ، وقد كانت كل محاولة لأستئناف القتال من غير تهيئة الجو لهذا العنصر الحاسم في حياة الأمم والشعوب عبثاً لا طائل منه ولا جدوي .

ويـــدأ مصــــطفي كامل يكتب مقالات في المؤيد وجريدة الأهرام ،ثم أخذ يلقي الخطب إلي أن أخرج صحيفة "اللواء" اليومية في يناير عام ١٩٠٠، ثــم أتــبعها "باللواء الأسبوعي" و"صحيفة العالم الإسلامية الشهيرة" ، ثم أتــبع هــذا جميعاً صحيفيتين يوميتين باللغتين الإنجليزية والفرنسية هما "الأجبشـــيان ســـتندارد ، استندارد إجبسيان" وكان قد أصدر وهو طالب مجلة "المدرسة" التي كانت من صحافتة الناجحة.

ولـــم يكـــن دور مصــــطفي كامل دعاية داخلية فقط ، بل إمتد إلي العالم الخــــارجي ، فقد سافر إلي كل عاصمة من عواصم العالم تقريباً : سافر إلـــي باريس ، وفينا وبودابست ولوكسمبرج ولندن وجنيف واستانبول ، وكـــان فـــي كل هذه الرحلات يعقد صلته بأهل الفكر ورجال الصحافة والـــنواب والشـــيوخ والـــوزراء ، ويـــبحث دائماً عن خصوم الإحتلال الـــبريطاني والكــــارهين لـــه ، فكان يبني نجاحه في عمله علي أمريين :الأول خــــارجي وهو الإفادة من الحوادث الدولية ، والآخر داخلي وهو نشــــر العـــلوم والمعــــارف بين المصريين، والتشهير بأخطاء الإحتلال

البريطاني ، فكانت دعايته في الخارج تكمل دعايته في الداخل حيث كان يـــبعث الأمل ويعبئ الأمة تحت لواء واحد هو لواء محاربة الإحتلال ، ودعايـــته في الخارج كانت غايتها جمع أعداء الإحتلال البريطاني حول كفاح مصر وقتالها ضد هذا الإحتلال.

وإتخـــذ مصـــطفي كـــامل من صحافة فرنسا ونوابها وشيوخها وساستها وســـائل لفضح الإستعمار البريطاني وإحراج الإحتلال في مصر حتي تم الإتفـــاق الودي عام ١٩٠٤ بين فرنسا وإنجلترا علي مناطق النفوذ لكل مـــنهما ، وكـــانت مصر ووادي النيل منطقة نفوذ بريطانية ، والجزائر ومراكش وشمال أفريقيا منطقة نفوذ فرنسا .

وقـــد أقـــام مصطفي كامل حركته بعد ذلك علي أساس أكثر صلابة هو الإيمـــان بأن أوروبا لن تذهب معه في محاربة الإحتلال البريطاني إلي حـــد إجلائه، وإنما ستقنع بمناوشتة لتكسب منه أكثر ما تستطيع مع بقائة فـــي مصـــر وإستمراره بها : لذلك قال مصطفي كامل بعد تقهقر فرنسا أمـــام بريطانيا في السباق الدائر بينهما علي أرض أفريقيا البكر : *" كلا إنـــنا لـــم نيأس ولن نيأس أبداً من مستقبل الوطن العزيز ، ولكن إذا كنا غيـــر يائســـين من مستقبل بلادنا فإننا يائسون كل اليأس من أى تعضيد يأتينا من أوروبا ".*

لقد ندد مصطفي كامل بحادثة دنشواي التي وقعت في ١٣ يوليو ١٩٠٦، فقـــد إلـــتقط هـــذه الحادثة البربرية الفاجعة لتكون سلاحاً ضد الإستعمار ووســـيلة لتأليب الشعب عليه ، فاستوحاها مقالات وخطباً في مصر وفي أوروبـــا وفـــي لندن نفسها ، وكشف في ضوئها عن فضائح الإستعمار وتأخيـــره للتعـــليم والصحة وكل مرافق الحياة في مصر . وقد أدي ذلك

إلـــي إهــتزاز شديد في السياسة البريطانية كان مظهرة الخارجي سقوط "اللورد كرومر" ممثل الإحتلال البريطاني العتيد وواضع أسسه .

وقــد عفـــي الخديوي عباس حلمي الثاني تحت ضغط الرأي العام الذي خـلقه مصـــطفي كامل عن المحكوم عليهم في حادثة دنشواي بالأشغال الشــاقة المؤبـــدة والمؤقتة فكان ذلك نصراً للحركة الوطنية التي جذبت نحوهـــا الشـــباب وكل الطبقة المتوسطة من الموظفين وأصحاب المهن الحـــرة والزراعيين وبعض أفراد من الطبقة الغنية وأخيراً الطبقة العاملة قبيل وفاته .
وكان مصطفي كامل قد ألف الحزب الوطني عام ١٩٠٧ وبوفاته في ١٠ فـــبراير ١٩١٠ أخذت الحركة الوطنية طوراً جديداً تحت زعامة "محمد فريد".

محمد فريد : زعيم الحزب الوطني
(١٨٦٨-١٩١٢)

تســلم رايـــة الحركة الوطنية الزعيم محمد فريد بعد وفاة مصطفي كـــامل، سار علي نهجه في إرتياد المحافل والمؤتمرات في مصر وفي العواصم الأوروبية لإستنهاض همم الأمم المناوشة لبريطانيا .

وكـــانت الحركة الوطنية أكثر صلابة ، وتحددت لها معالم في شخصيتها هي:
١- لـــم يعـــد أى أمل في بقاء التعاون بين الخديوي عباس حلمي الثاني والحركة الوطنية حيث تعارضت المصالحتان ، فقد أخذ الخديوي يهاجم

محمـــد فريد في أحاديثة مع الصحف البريطانية ، فيرد عليه محمد فريد ويسفه رأيه في صراحه .

٢- لــم تعد الحركة الوطنية تؤمن بأية مساعدة أدبية أو مادية تأتيها من الـــدول الإستعمارية فأصبحت تؤمن بأن القوي التي يجب الإعتماد عليها هي القوي التي تنبعث من صميم الشعب .

٣- إتســـع نطاق الحركة الوطنية فلم تعد مقصورة علي تلاميذ المدارس وأوســـاط الموظفيـــن وصغارهم والمتعلمين في ريف البلاد ، بل وثقت صـــلاتها بالعمـــال والفلاحيـــن ، فأشتددت دعوة محمد فريد إلي إنشاء الـــنقابات للعمل ونشر الجمعيات التعاونية ، وتنظيم نشر الثقافة الشعبية في مدارس الشعب الليلية التي كانت تعلم العمال القراءة والكتابة ومبادئ التربية الوطنية .

٤- إنطـــوت خطب محمد فريد علي المطالبة بإعادة النظر في القوانين الضـــريبية لإعفـــاء العمـــال والفلاحين والطبقات الفقيرة من الضريبة ، وطـــالب بـــتقرير التأمين الإجتماعي للطبقات العاملة ، وتحقيق مستوي لائق بهم من الناحية الصحية والتعليمية .

ولهـــذا أخذت السلطة تطارد محمد فريد ، فحكم عليه بالحبس سته أشهر بدعـــوي أنه زكيّ ديوان "علي الغاياتي" الذي ضم أشعاره المنطوية علي التحريض علي كراهية الحكومة . ثم حكمت علي "علي الغاياتي" نفسه ، وعـــلي أحمـــد حلمي . وكانت محاكة محمد فريد محاكمة ظالمة إشترك فيهـــا الخديوي عباس حلمي الثاني والوزارة مع الإحتلال البريطاني في إرتكاب هذا الظلم .

وفـــي الزنزانة رقم ٤٤ بسجن الإستئناف طلب محمد فريد بعض الكتب لـــتكون مؤنســـاً له فـــي وحدته . وكان لهذا الحكم القاسي وقع سئ في الدوائـــر الشعبية الوطنية وقامت في الصحف حملة تطالب بالإفراج عن الـــزعيم محمد فريد ، ولكنه رفض وأصر علي الرفض ، فلم يرغب في الإفـــراج ، وقضي محمد فريد مدة حبسه صابراً ثابتاً ، وشغل نفسه في قـــراءة القرآن الكريم ، وتعلم اللغة الألمانية حتي إذا أوشك علي الخروج كتب في أوراقه :

" لـــم أشعر بضيق إلا عند إقتراب خروجي من السجن لعلمي بأني خـــارج إلـــي سجن آخر هو سجن الأمة المصرية الذي تحده سلطة الفـــرد ويحرســـه الإحـــتلال ، وكنت كلما أحسست بشيطان العجز يســـعي لأن يجـــد سبيلاً إلي نفسي ذكرت ما قساه خدام الوطن في الســـجون مـــن صنوف العذاب كالضرب بالسياط والموت جوعاً ، فـــأقول لنفسي أن هذا الحبس لا شئ في جانب حبي لمصر .. أمي العزيزة ".

ولما جاء يوم الإفراج عنه إحتشدت جموع الشباب في ميدان باب الخلق وعيونهم علي باب سجن الإستئناف ، ولكن النهار ولي ودخل الليل دون أن يفـــرج عنه ، فظلوا ساهرين حتي بزغ ضوء القمر ، وعندئذ خرجت عـــربة ســـوداء تجرها الخيول وتنطلق بأقصي سرعتها ، وبعد لحظات خرجت عربة مماثلة ، وكان الغرض تضليل الجماهير المحتشدة .

وكـــان محمـــد فـــريد فـــي العربة الثانية وقد أطل بين قضبانها وابتسم لـــلجماهير شـــاكراً لهم ما تحملوه من مشقة الإنتظار ، وإتخذت العربة

طـريقها إلـي شبرا وتوقفت أمام بيت كانت فيه سيدة صابرة ، وحولها أطفالها الذين هبوا من نومهم لإستقبال الأب الذي علمهم معني التضحية والصمود في سبيل مصر.

٥- خـرجت الحركة الوطنية إلي الميادين العامة بتجمع طوائف الشعب جميعاً فكانت مظاهرات الشعب في ٢٦ مارس ، ٣١ مارس عام ١٩٠٩ التي تحدت الحكومة لإصدارها القوانين الإستثنائية .

وقـرر محمـد فريد الهجرة إلي الخارج في ٢٦ مارس ١٩١٢ ، فكان يحضـر المؤتمـرات الدولية التي كانت تحارب التفرقة العنصرية ، أو تدعـوا إلـي السلام ، وكان يخطب فى أعضائها ويصدر النشرات في رحلاته الكثيرة .

وإشـتد عليه المرض وهو في الخارج ، فتوفي وحيداً في غربة موحشة فـي الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩١٩ بعد أن وصلت إلي سمعه في منفاه أنباء ثورة ١٩١٩ .

أحمد حلمي :الصحفي الشارع سجين الحرية (١٨٧٥-١٩٣٦)

لا يكـاد يعـرفه أحد إلا من خلال إسمه الذي أطلق علي محطة ركاب الأقاليم بالقاهرة والشارع الذي يمتد منها حتي يلامس ترعة الإسماعلية .

ونقمـة كانت حياته حافلة بالكفاح الوطني ، وكان إسمه يدوي في جميع أنحـاء مصـر طـوال العقد الأول من القرن العشرين حيث كان الناس

يتلهفون علي قراءة مقالاته النارية ضد الإحتلال ، وكانت نفوسهم تتفجر غيظاً وهم يقرءون له تفاصيل تنفيذ أحكام الإعدام في ضحايا دنشواي ، ويستجيبون لدعوته بأصدار الدستور ويجمعن له خمس وسبعون آلف توقيع علي عريضة تطالب الخديوي عباس حلمي الثاني بالدستور ، ويتابعون نضاله علي صفحات "اللواء" إلي جوار زعيم الوطنية الشاب مصطفي كامل ، ثم علي صفحات جريدته المسماه "القطر المصري" وتهفوا إليه قلوبهم وهو حبيس السجن ثمناً لجرأته ، فكان أول مصري يسجن بتهمة العيب في الذات الخديوية الفخيمة .

كان صحفياً جسوراً ، ورفيقاً لمصطفي كامل وساعده الأيمن منذ صدور اللواء في ٢ يناير ١٩٠٠ ، وصاحب المعارك الجريئة من أجل الإستقلال والدستور والحكم الديموقراطي والوحدة الوطنية ومقاطعة السلع الأجنبية وتشجيع كل ما هو مصري .

ولد أحمد حلمي عام ١٨٧٥ في حي الحسين بالقاهرة ، وتعلم مبادئ الحساب والقراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في أحد كتاتيب "خان جعفر" المواجه لمئذنة مسجد الحسين ، كان طموحاً لم يرض بوظيفة بسيطة فهاجر إلي الاسكندرية مشياً علي الأقدام وعمل باحدي الشركات الأجنبية حيث تعلم اللغة الفرنسية ، كما تعمقت ثقافته الإسلامية من خلال إختلاطة بالعلماء في الاسكندرية وتردده علي المساجد ، وإستطاع أن يشبع هوايتة الصحفية بالعمل مزاسلاً لصحيفة "السلام" التي كانت تصدر في الاسكندرية ويغذيها بأخبار الدواوين الحكومية إلي أن عمل في "اللواء" فصار الرجل الثاني بعد مصطفي كامل حيث وجد فيه الزعيم المصري طاقة هائلة إلي جانب متانة خلقية ووطنية متأججة ، وكانت

"اللواء" هي الراية التي إلتف حولها الوطنيون ووجدوا فيها صدي لما ما في قلوبهم من حماس .

ووجـد أحمـد حلمي في مصطفي كامل المثل الأعلي والنموذج الكامل للزعيم الذي ينبض قلبه بحب مصر ، وعلي صفحات اللواء خاض أحمد حلمي المعارك لفضح سياسية الإحتلال وأذنابه .

كـان لتقارير أحمد حلمي الصحفية عن محاكمة دنشواي تأثيراً كبيراً في الجماهير حيث نقل فيها وصفاً دقيقاً لهذه المهزلة التي كانت تجري علي أرض مصر بفعل الإحتلال وأذنابه ، وقدم إلي قراء اللواء ما كان يثور فـي نفسـه من نقمة علي إنتهاك العدالة بإسم العدالة ، وضياع الكرامة باسم الحفاظ علي حقوق الأجانب .

وكـان أحمـد حلمي يوم تنفيذ الأحكام علي الفلاحين في دنشواي شاهد عيـان ، وكتب تحت عنوان "يارافع البلاء" يصف جريمة تنفيذ عمليات الإعـدام والجلد علي مرأي من أهل القرية ، وكان لكلماته التي فضحت الإحتلال وأذنابه أن إلتهب مشاعر المصريين والأحرار في كل مكان .

وقـد أثـار أحمـد حلمي في صحيفة اللواء العديد من القضايا التي تهم المجـتمع، فكـان أول المطالـبين بإنشاء وزارة الزراعة ، كما تعرض لقضـايا التعليم وقصره علي أولاد الأغنياء وتضييقه تضييقاً تاماً لأولاد الفقـراء ، كما تبني قضايا العمال بعد أن إستبد به أرباب العمل بلا شفقة ، كمـا نـادي بتشـجيع الصناعة الوطنية وترسيخ أقدامها في مواجهة المنافسة الأجنبية .

أصـــدر أحمـــد حلمي فور وفاة مصطفي كامل صحيفة القطر المصري حيـــث وجد من الصعب على نفسه مواصلة العمل في اللواء ، ووصف هـــذه الصـــحيفة بأنها مجلة سياسية وطنية أدبية زراعية صناعية ، وأكد إلـــتزامه بمـــبادئ الحـــزب الوطني وشرح مبادئ جديدة في السعي بكل الوســـائل لتقوية الروابط بين المسلمين والأقباط وتجنب البحث فيما يجر الكلام علي الأديان وتفضيل واحد منهما علي الآخر .

وعـــلي صفحات "القطر المصري " جدد أحمد حلمي دعوته السابقة التي أثارها علي صفحات اللواء من أجل إصدار الدستور .

وتـــم حبســـه ٤ شـــهور بعد أن قاد مظاهرة شعبية في ٣١ مارس عام ١٩٠٩ شـــارك فيهـــا خمسة وعشرون آلف مصري إحتجاجاً علي إعادة العمـــل بقـــانون المطبوعات الصادر في عام ١٨٨١ ، وعطلت جريدة القطـــر المصـــري لمـــدة ستة أشهر لعيبه في شخص الخديوي ، وحين عـــادت الجريدة إلي الظهور صدرها أحمد حلمي بعبارة لقب نفسه فيها بسجين الحرية ، ونشرت الجريدة قصيدة له يقول في مطلعها :

أصار حق بلادي اليوم مخذولاً
حتى غدا نصره بالسجن مكفولاً
أم أن قومي أضاعوا العدل بينهم
فإستنكروه وأرضوا بي الأباطيل

أصدر أحمد حلمي كتابة "السجون المصرية في عهد الإحتلال الإنجليزي" وصدره بعبارة نصها :" سجن الجسم خير من سجن الضمير".

تعـــددت مواهب أحمد حلمي ،فكان بجانب الصحافة شاعراً جيداً ، وكان شـــعره سياسياً صاخباً ثائراً وأسلوبه سهلاً واضحاً ، كان له إهتمام كبير بالــزراعة فأصدر بعد الحرب العالمية الأولي جريدة الزراعة واستأجر عــزبة كـــبيرة أشرف علي زراعتها ونظم طرق الري والصرف بها ، وأصلح كثيراً من الأراضي البور ، وعامل الفلاحين معاملة طيبة إلي أن لقي ربه في ١٨ يناير ١٩٣٦.

حافظ إبراهيم :شاعر النيل
(١٨٧٢-١٩٣٢)

ولـــد حافظ إبراهيم بصعيد مصر حيث كان والده يعمل مهندساً ، وعاني فـــي طفولـــته شظف العيش ، عمل لفترة بالمحاماة ، ثم إلتحق بالمدرسة الحـــربية وتخـــرج مـــنها ، قضـــي عدة أعوام بالسودان ضمن الحملة العسكرية التي تم إرسالها لإستعادة السودان .

وفـــي عـــام ١٩٠٠ تم إحالته إلي الإستيداع عقب إتهامه بالإشتراك مع مجموعة من الضباط المصريين في التحريض علي الثورة ، وذلك علي أثـــر خلاف نشب بين الخديوي عباس حلمي الثاني وقائد جيش الإحتلال الـــبريطاني . وحاول الإلتحاق بجريدة الأهرام إلا أنها رفضت ، وأخيراً وبعد معاناة إلتحق بالعمل كرئيس للقسم الأدبي بدار الكتب العام ١٩١١.

وقـــد عـــبر حافظ إبراهيم بشعره الغزير عن أماني وأحلام المصريين ، وألهـــب حماستهم وتفاخر بتضحياتهم أثناء حرب طرابلس (ليبيا حالياً)

حيـــن شـــارك قطاع عريض من الشعب بالأموال والمقاتلين دفاعاً عنها ضد الإيطاليين الذين إحتلوها .
وشـــحن شـــعره بعاطفة جياشة نحو العروبة الأمر الذي جعله علماً من الأعلام، فكرمته سوريا ولبنان وغيرها من الأقطار .

وعـــبر عن مصر وعن مأساتها مع الإحتلال البريطاني من خلال حادث دنشـــواي ، فعبر عن السخط ضد الإنجليز الذين أذلوا شعب مصر بجلد بعـــض أفراده وإعدام البعض الآخر جزاء لوفاة جندي إنجليزي بضربة شمس حين كان يصطاد الحمام في قرية دنشواي المصرية هو وزملاءه وتسببوا في إصابة فلاحة مصرية بسيطة ، فيقول عن الأحكام القاسية :

وإذا أعوزتكم ذات طوق بين تلك الربي فصيدوا العباد
إنما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقنا الأجياد

ونـــدد بالمصـــريين الذين ساهموا في محاكمة دنشواي الظالمة فقال عن أحدهـــم وهو إبراهيم بك الهلباوي الذي قام بدور النائب العام في محكمة دنشواي هذه الكلمات الدامية في يوليو ١٩٠٦:

أيها المدعي العمومـــي مهلاً بعد هـــذا فقـــــــد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضـــاء بمصر وضـــمنا لنجلـــــــك الإسعادا
فإذا ما جلست للحكم فاذكـــر عهـــد مصر فقد شـــفيت الفؤادا
لا جري النيل في نواحـــيك يا مصر ولا جادك الحياحيث جادا
أنت أنبت ذلـــــك النبت يـــا مصر فأضحي عليك شـــوكا قتاداً
أنت أنبت ناعقاً قام بالأمـــس فأدمـــــــــي القـــلوب و الأكبادا
إيه يا مدرة القضاء ويـــامن ســـــــاد في غفـــلة الزمان وشادا

أنت جلادنا ، فلا تنسي أنا قد لبســــــنا علي يــديك الحـــدادا

هـــذا ولحافظ إبراهيم قصائد أخري وصف بها مصر منها قصيدة مصر تتحدث عن نفسها التي شدت بها كوكب الشرق السيدة أم كلثوم .

الشيخ محمد عبده :إمام التجديد والإصلاح (١٨٤٥-١٩٠٥)

مـــن مؤسســـي النهضة المصرية الحديثة ، ومن كبار الدعاة إلي التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي ، ولد بمحلة نصر بمحافظة الجيزة ، حفظ القرآن الكريم ، ثم إلتحق بمعهد طنطا وإنقطع عنه ثم عاد إليه ومنه قصد الأزهـــر الشريف حيث إتجه إلي دراسة العلوم الطبيعية والتاريخية إلي جانب الدراسات الإسلامية .

وفي القاهرة إلتقي بالسيد جمال الدين الأفغاني عند مقدمه إلي مصر عام ١٨٧٢ وإتصـــل به إتصالاً وثيقاً ، وتأثر به كثيراً حيث فتح أمامة آفاق العالم الإسلامي ، ووجهه نحو الصحافة التى تعلق بها طوال حياته .

نـــال شـــهادة عالمية وإشتغل بالتدريس في دار العلوم والأزهر ، وأخذ ينشـــر أراءه الحرة الحديثة ، وأثار عليه ذلك حقد المحافظين فعزل من الوظيفة وذهب إلي قريته في أول عهد الخديوي محمد توفيق وفي الوقت الـــذي تم فيه إبعاد جمال الدين الأفغاني من مصر رأس تحرير "الوقائع المصرية" وكانت حكومية فصارت في عهده صحيفة الرأى الحر .
وإشـــترك في الثورة العرابية ، وحين إخمدت تم إبعاده عن مصر وأقام فـــي بيروت ثم باريس حيث إلتقي بجمال الدين الأفغاني ونشر معه مجلة

"العروة الوثقي" لمحاربة الإستعمار والطغيان في البلاد الإسلامية ، وكان لها أثر في تغذية الروح الوطنية في هذه البلاد .

ثـم عاد إلي بيروت وقضي فيها بضع سنوات مربياً ومعلماً ، وفي عام ١٨٨٩ عـاد إلي مصر وإشتغل بالقضاء وأصبح يرقي حتي صار مفتياً للديار المصرية وإستمر يشغل هذا المنصب حتي وفاته .

قامت دعوة محمد عبده الإصلاحية علي أسس ثلاثة :

١) العـودة بالإسـلام إلـي ما كان عليه في الصدر الأول من تحرير وإجتهاد.
٢) النهوض باللغة العربية وإحياؤها .
٣) إحـترام حقـوق الشعوب وتحريرها من طغيان الحكام ، فحارب الجمـود وحـاول أن يلائـم بيـن تعاليم الإسلام والثقافة الغربية المعاصرة مع تمسكة بالثقافة الإسلامية الأصيلة كما رآها بن تيميه وابـن القيـم والإمـام الغزالي، رد علي الغربيين الذين لم يفهموا الإسـلام عـلي أصـوله الصـحيحة ، ورفـع راية حرية البحث والإجتهاد في الدين ، وحارب البدع والخرافات ، ووفق بين العقل والدين .
٤) نـادي بالتسامح الديني والتقارب بين الشعوب ، ودعا إلي إصلاح المحـاكم الشرعية في تقرير مشهور ، وإلي إنشاء مدرسة القضاء الشرعي لتخريج الفقيه والقاضي العام .

بعـث حركة أدبية مستمرة ، وكان يري أن السبيل لتحرير الشعوب هو التعـليم والتربية لا الإنقلاب والثورة علي نحو ما كان يسعي عليه جمال

الديــن الأفغـــاني . وله عدة مؤلفات أهمها : رسالة التوحيد ، والإسلام والنصرانية ، ونهج منهجاً جديداً في تفسير القرآن وظهر له تفسير جزء عـــم وأجزاء أخري نشرتها مجلة المنار ولكنه لم يتم . ويتلخص منهجه فـــي فهم الدلالة اللغوية ، وإستخدام العقل ،والإستفادة من التقدم العلمي ، وترك البدع والخرافات . صور العقيدة الإسلامية تصويراً سليماً ، وأنشأ جيـــلاً من العلماء ساروا علي نهجه ، منهم محمد رشيد رضا ، والشيخ مصطفي المراغي.

سعد زغلول : زعيم ثورة ١٩١٩
(١٨٦٠-١٩٢٧)

زعيم سياسي مصري ، كرس حياته لخدمة بلاده ، ولد في إبيانه بمركز فـــوة مـــن أبوين كريمين ، تعلم في كتاب القرية والجامع الأزهر ، فنال ليســـانس الحقـــوق وكـــان مستشـــاراً بالإستئناف ، عين محرراً للوقائع المصرية ، ثم معاوناً بوزارة الداخلية ثم في قلم قضايا الجيزة .

إشـــترك فـــي ثـــورة أحمد عرابي ١٨٨٢ ، وسجن بضعة أشهر عقب إحـــتلال بريطانيا لمصر ، ومارس المحاماة عام ١٨٨٤ ، وتزوج وهو قـــاض من السيدة صفية إبنة مصطفي باشا فهمي رئيس الوزارة ، عين مستشـــاراً بمحكمـــة الإســـتئناف العـــليا ، وإشترك في تأسيس الجامعة المصرية عام ١٩٠٨ (جامعة القاهرة فيما بعد) ، وعين وزيراً للمعارف العمومية عام ١٩٠٦ ، والحقانية عام ١٩١١.

إتهـــم الخديوي عباس حلمي الثاني بالإرتشاء والتدخل في شئون القضاء عـــام ١٩١٢ واضـــطر إلي تقديم إستقالتة ، وبدأ يظهر عداءه للسياسية

الـبريطانية من ذلك الحين ، وتم إختياره نائباً عن دائرتي بولاق والسيدة عام ١٩١٣ في إنتخابات الجمعية التشريعية وإنتخب أحد وكيليها .

ذهـب في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ إلي دار المندوب السامي البريطاني "سير يجـنالد ونجـت" مـع إثـنين من زملائه هما عبد العزيز فهمي وعلي شـعراوي عضـوى الجمعية التشريعية ، طالبين السماح لهم بالسفر إلي بـاريس لعـرض القضـية المصرية علي مؤتمر فرساي ، وقدم مذكرة يطلب فيها الإعتراف بحق مصر في الإستقلال طبقاً لمبدأ تقرير المصير ، ومن ذلك الحين وحتي وفاته أصبح تاريخه الشخصي هو تاريخ مصر .

ألف الوفد المصري برياسته عام ١٩١٨ ، وعينته الأمة المصرية وكيلاً عنها في قضيتها الكبري .

نفي إلي مالطة مع فريق من أعضاء الوفد المصري في باريس ١٩١٩، وسافر إلي لندن عام ١٩٢٠ بعد مقاطعة الشعب للجنة ملنر ليتفاوض في عقـد معاهدة ، ولكن نفي إلي جزيرة سيشل في سبتمبر ١٩١٢، ثم نقل إلي جبل طارق لأسباب صحية ، وأطلق سراحه في ابريل عام ١٩٢٣ ، حيث عاد إلي مصر .

واصل كفاحه مسافراً إلي لندن للتفاوض إلي أن روعت البلاد بوفاته في ٢٣ أغسـطس ١٩٢٧ ، وكـان يعتبر حتي أخريات أيامه ممثلاً لروح القومية المصرية ورمز الجهاد في سبيل الإستقلال .

***

صفية زغلول : أم المصريين
(١٨٧٨-١٩٤٦)

لقـــبت بأم المصريين وتركت وراءها حياة غير تقليدية لفتاة مصرية من أصل تركي وإبنة لأب تولي منصب رئيس الوزراء .

وفي عام ١٨٩٦ وافق والدها مصطفي باشا فهمي علي زواجها من سعد زغـــلول الفـــلاح المصري فكسر بذلك تقاليد قديمة في العائلات التركية التي كانت ترفض مصاهرة الفلاحين والمحامين .

وقد تزوجت صفية من سعد زغلول وهي في سن ١٨ سنة بينما كان يبلغ من العمر ٣٦ عاماً . ويقول عباس محمود العقاد في سيرة سعد زغلول : كـــانت صـــفية مثل الإبنة التي تتعلم من والدها وتطيعه في أدق أمور حياتها من الملابس والزينةوترفض أن يقوم علي شئونه خادم أو خادمة .

ولأنها كانت زوجة زعيم الأمة وبطل الثورة ١٩١٩ ، فقد تزعمت صفية زغـــلول الحركة النسائية في مصر ، وشاركت في أول مظاهرة نسائية في القاهرة عام ١٩١٩ إحتجاجاً علي أعمال القمع البريطاني ولم تستسلم لـــلخوف، وعـــرف عنها الشجاعة والتحمل والصبر ، ولم تضعف يوماً إشفاقاً علي سلامة سعد زغلول .

وعندما طلبوا منها التأثير علي سعد لترك حياة النضال حتي ينهي فترة نفيه أجابت قائلة :" إن كانت حياة النهضة في بقاء سعد بمنفاه فبقاؤه في ذلـــك المـــنفي هـــو مـــا أتمناه ". كما رفضت الحديث مع دار الحماية بالإنجليزية أو الفرنسية التي كانت تتفهمهما ، بل تحدثت باللغة العربية .

ثـم بـدأت تواصل نضال سعد ففتحت باب بيتها لحزب الوفد المصري الـذي كـان يعقد في دارها مداولاته وكانت تشارك فيها . ولذلك لقبت دارهـا " بـبيت الأمـة " وظلت صفية زغول بجانب زوجها في فكرة ونضاله له حتي لحقت به في منفاه في نوفمبر ١٩٢٢ بجبل طارق .

هدي شعراوي :رائدة النهضة النسائية في مصر (١٩٤٧-١٨٧٩)

أول إمـرأة مصرية تعلن الثورة علي التقاليد البالية وتخرج سافرة دون الخروج عن تقاليد الدين الإسلامي ، وشاركت في ثورة ١٩١٩ ، وقادت مظاهـرات السـيدات ، وكانت خلال الثورة اليد اليمني لصفية زغلول وإقـتحمت معهـا ميـادين النضال من أجل تحرير الوطن ودعم حركة التنوير.

وفـي عام ١٩٢٣ شاركت في المؤتمر الدولي للمرأة في روما ، ونادت فـي جلسات المؤتمر بتحرير المرأة وتحقيق مطالبها في ممارسة الحياة السياسـية. وفـي عـام ١٩٢٥ كونـت لجنة نسائية في مصر لمقاطعة البضـائع الإنجليزية،وأصـدرت مجـلة خاصة بالمرأة تصدر باللغتين العـربية والفرنسـية، وأسـندت رئاسة تحريرها لسيزا نبراوي وإستمر صدورها ١٥عاماً .

وكانت هدي شعراوي زعيمة الحركة النسائية في مصر بإعتبارها رئيسة "لجـنة الوفـد المركـزية للسيدات" للمطابة بإنشاء معاهد التعليم النسائي وإقامة مشروعات لرعاية الطفولة ومساندة الجمعيات الخيرية ، ودفع كل

مجـــالات العمل الإجتماعي . وأيضاً كانت أول إمرأة تطالب بمنح المرأة المصرية حق الإنتخاب ومساوتها بالرجل في هذا الحق السياسي .

وظـــلت هـــدي شـــعراوي تكـــافح من أجل المرأة نصف المجتمع حتي إســـتطاعت أن تستصـــدر أول قانون يحدد الحد الأدني لسن زواج الفتاة بحيـــث لا يقـــل عن ١٦ عاماً ، وإنطفأت شعلة نضالها في ١٢ ديسمبر ١٩٤٧.

سيزا نبراوي : مساعدة هدي شعراوي

ولـــدت في القرشية بمحافظة الغربية عام ١٨٩٧ ، وتعلمت في مدارس الليســـيه فرانسيه بالقاهرة ، وتزوجت عام ١٩٣٧ من مصطفي نجيب ، وكانت إمرأة ثائرة تبحث عن حرية المرأة وتطالب دائماً بحقوقها .

إشتركت في الحركة النسائية مع هدي شعراوي من عام ١٩٢٣ ، ومثلت مصر في جميع المؤتمرات الخاصة بالمرأ ة والسلام ، وأصبحت وكيلة الإتحـــاد النسائي الدولي العام ، وعضواً بمجلس السلام العالمي ، وظلت تعمل من أجل حقوق المرأة حتي أخر يوم في حياتها .

نبوية موسي : رائدة تعليم المرأة في مصر (١٨٨٦-١٩٥١)

ولدت عام ١٨٨٦ ، وتعتبر أول فتاة مصرية حصلت علي الثانوية العامة وظـــلت الفتاة المصرية الوحيدة الحاصلة علي هذه الدرجة لمدة ٢١ عاماً

وقـد سجل إسمها في تاريخ مصر الحديثة كرائدة التعليم في مصر حيث إهـتمت بقضية تعليم المرأة ، وبفضلها إستطاعت المرأة أن تحصل علي أعلي الدرجات العلمية وأن تشغل مناصب قيادية في مصر .

وفـي الوقـت الـذي كانت المرأة تقوم فيه فقط بالتدريس في المدارس والسـيدات الأجانب في مصر هن القائمات بالإدارة والتنظيم .. نجحت بفضل جهودها وكفاحها لقضية تعليم المرأة أن تكون أول مشرفة وناظرة .

وعـند إفتـتاح الجامعة المفتوحة في مصر كانت نبوية موسي مع ملك حفني ناصف ولبيبة هاشم مدعوات لإلقاء محاضرات للفتيات في الجامعة .

وألقـت كـتاباً هامـاً بعنوان "ثمار الحياة في تغطية الفتاة" عام ١٩٠٨ وأدخلـته في مناهج وزارة التربية والتعليم الدراسية . وبعد عام أصبحت ناظـرة مدرسـة المحمدية للبنات في الفيوم والمنصورة والقاهرة ، وهذا جعل منها رائدة تعليم المرأة في مصر .

ولم تكرس نبوية موسي حياتها فقط للتعليم ، بل كانت ثائرة ومناضلة في الحياة العامة ، وشاركت في ثورة ١٩١٩ ، وناضلت لكي تحصل المرأة علي حقها في شغل المناصب القيادية والمشاركة في إتخاذ القرار .

وفـي عام ١٩٢٠ إنتقلت للاسكندرية وإفتتحت مدرسة إبتدائية للفتيات ، وفي هذه الإثناء كتبت كتابها الشهير "المرأة والعمل" حيث طالبت بحقوق المرأة وإشتراكها في الحياة العامة .

وفي عام ١٩٢٣ سافرت إلي روما مع بعثة نساء مصريات برئاسة هدي شعراوي لحضور مؤتمر المرأة العالمي ، وفي عام ١٩٣٧ أصدرت "مجلة الفتاة" ثم كتبت قصة تاريخية للدفاع عن حقوق الفتاة والمرأة المصرية.وتوفيت في ٣٠ ابريل عام ١٩٥١ .

طلعت حرب : نقطة تحول كبري في تاريخ إقتصاد مصر (١٨٧٦-١٩٤١)

نشأ وسط أسرة تتسم بالتواضع والبساطة ، إجتذبه الإقتصاد منذ نعومة أظفاره فتطلع للعمل فيه .

ومنذ السنوات الأولي من القرن العشرين بدأ ينادي بوجوب إنشاء بنك مصري رأس ماله مصري خالص ، ويقوم علي إدارته رجال مصريون. وكانت البنوك في ذلك الوقت أجنبية كل ما يهمهاهو إقامة المشروعات السريعة التي تتمكن من خلالها من جذب الإستثمارات المصرية ، وتحويل أرباحها إلي الخارج دون النظر إلي تنمية المجتمع وأفراده .

وقد أصبح لطلعت حرب رؤية واضحة ومحددة المعالم عن إقتصاد مصر نتيجة لمشاركته في اللجنة التي شكلتها الحكومة المصرية خلال الحرب العالمية الأولي لدراسة أحوال الإقتصاد المصري ووضع حلول للنهوض به.

وأدت ثورة ١٩١٩ إلي حماس أثرياء المصريين لإنشاء بنك مصري ، ووجدوا فيه خير سند للحركة الوطنية في مقاومتها ونضالها ضد

الإحـــتلال إضافة إلي مساعدته في تنمية المجتمع وتطوير الإقتصاد مما يؤهل البلاد للحصول علي إستقلالها التي تطالب به .

وتأسس بنك مصر في مارس عام ١٩٢٠ حيث قام بإنشاء بنية للصناعة الوطنية فانشأ العديد من الشركات ، وأقام العديد من المصانع التي تؤهل الــبلاد لتقــليل حجــم وإراداتها وزيادة حجم صادراتها وتحقيق الإكتفاء الذاتــي في العديد من الصناعات . وفي هذا الإطار أرسل طلعت حرب بعثات للدراسة في الخارج من الطلاب والفنيين للإلمام بدقائق الصناعات التي سيقوم علي تأسيس المصانع لها في مصر .

وإســتطاع بــنك مصــر في زمن قياسي تمصير العديد من الصناعات وإعــداد كوادر للإدارة من المصريين ، وإستوعبت الشركات والمصانع أعداداً كبيرة من خريجي المدارس والعمال المتطوعين الذين كانت تمتلئ بهــم الــبلاد ، بينما يشغل وظائف الحكومة العديد من الأجانب في إطار سياسة الإحتلال برعاية العمالة الأجنبية .

ووضـــع طــلعت حرب خططاً مدروسة لصناعات متطورة أفادت البلاد لعشرات السنوات ، فأقام صناعات متكاملة مثلما حدث حين أنشأ مصنع غــزل القطــن ونسجه فألحق به مصنعاً لنسج الكتان ، ومصنعاً لتبيض الأقمشـــة، ومصنعاً لصباغة الأقمشة ومصنعاً للقطن الطبي ، بالإضافة إلـــي محطـــتي توليد الكهرباء وترشيح مياه لخدمة المصانع . أما العمال فبــني لهــم مدينة كاملة المرافق لتوفير الوقت والمجهود، وعمل طلعت حــرب علي توسيع بنك مصر وربط الدول العربية ببعضها فاقام فروعاً لبــنك مصــر في ســـوريا ولبنان ، وتوسع في العلاقات التجارية مع الحجاز .

رموز الثورة المصرية ١٩٥٢-٢٠٠٠

اللواء محمد نجيب : أول رئيس لجمهورية مصر (١٩٠١-١٩٨٤)

قــائد مصـــري ولد بالخرطوم ، وتلقي علومة بالسودان ، عمل ضابطاً بـــالجيش المصري حتي رتبة لواء . وله مواقفة المشرفة قبل الثورة مما أدي إلـــي إستعانة الضباط الأحرار به كقائد للثورة ، وشغل منصب قائد عـــام لـــلجيش ورئيســـاً لمجلس قيادة الثورة ، وبالإضافة إلي هذا شغل منصـــب رئيس مجلس الوزراء في ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، وهو أول رئيس لجمهورية مصر عند إعلانها في ١٨ يونيو ١٩٥٣ وحتى نوفمبر ١٩٥٤ .

***

الرئيس جمال عبد الناصر : مفجر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (١٩١٨-١٩٧٠)

ولـــد بالاســـكندرية مـــن أســـرة تنتمي إلي بني مر بأسيوط ، نشأ وتعلم بالاسكندرية والقاهرة ، إلتحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧ ورقي ضابطاً فـــي عـــام ١٩٣٨، عين بسلاح المشاة بأسيوط ثم نقل إلي الاسكندرية ، وعيـــن مدرساً بالكلية الحربية ومدرساً بكلية الأركان ، إشترك في حرب فلســـطين عام ١٩٤٨ وحوصر مع فرقته في الفالوجا ، بدأ يخطط للتنفيذ العملي للثورة المصرية ضد الفساد والخيانة فشرع ينظم جماعة الضباط الأحرار الذين قاموا في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بالثورة . له كتـــاب "فلسفة الثورة" .

لعب دوراً هاماً في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ حيث إنطلقت دعوة الحياد الإيجـــابي من دول أسيا وأفريقيا ، وتطورت إلي مبدأ عدم الإنحياز فكان له دوراً بارزاً فيها .

وقـــع في عام ١٩٥٦ معاهدة الجلاء مع إنجلترا لجلاء القوات الإنجليزية مـــن قـــاعدة القـــتال ، وأمم قناة السويس علي أثر إنسحاب البنك الدولي وأمريكا وإنجلترا من تمويل بناء السد العالي .

وقـــاد المقاومـــة الشـــعبية في بورسعيد في أكتوبر ١٩٥٦ في العدوان الـــثلاثي، وتجمعـــت الـــدول العـــربية من حوله ، وتأكدت له الزعامة بإنسحاب القوات المعتدية بقرار هيئة الأمم المتحدة .

قامت في عهده أول جمهورية عربية متحدة في فبراير ١٩٥٨ ، ثم إتحاد فيدرالـــي بيـــن هذه الجمهورية واليمن ، ووقع ميثاق الوحدة بين العراق وسوريا ومصر .

وأصـــدر فـــي ٢٦ يوليو ١٩٦١ قرارات إشتراكية واسعة . ساند ثورة الجزائـــر (١٩٥٤-١٩٦١) علي الإستعمار الفرنسي بالعتاد ، كما ساند ثورة اليمن علي حكم الأئمة الرجعي عام ١٩٦٢. وشارك في مؤتمرات دول الـــدار البيضاء سنة ١٩٦٢، وأديس أبابا ١٩٦٤ حيث وضع ميثاق الوحدة الأفريقية. شارك بشكل بارز في دورة هيئة الأمم المتحدة .

وكـــانت لشخصيته تأثير قوي علي المستوي القومي المصري وفي كثير مـــن حـــركات الإستقلال في دول العالم الثالث ، كان رئيساً لجمهورية مصر من ١٩٥٦-١٩٧٠ .

محمد أنور السادات :بطل الحرب والسلام
(١٩١٨-١٩٨١)

تخــرج فــي الكلية الحربية في يوليو ١٩٣٨، وعمل ضابطاً في الجيش المصــري بسلاح الإشارة ،و إعتقل أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي .

وهو أحد أعضاء ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأول من قرأ بيان الثورة في الإذاعــة المصــرية . وإنتخب رئيساً للجمهورية بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

وهو صاحب قرار العبور التاريخي في حرب أكتوبر ١٩٧٣ الذي أعاد لمصــر أرض سيناء بعد أن أحتلت في يونية ١٩٦٧ . حيث خطط وقاد هذه الحرب . وقاد أيضاً عملية مفاوضات السلام .

ولقــب بــبطل الحــرب والسلام . وحصل علي جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٨ بعد إنتصاره العظيم في أكتوبر ١٩٧٣، هذا الإنتصار الذي غير تــاريخ الشــرق الأوســط مــن خلال صيحته الشجاعة بضرورة وقف الحروب التي راح ضحيتها مئات الآلاف من القتلي والجرحي .
لقــد دعا الرئيس محمد أنور السادات الجميع إلي تجاوز حاجز الكراهية والتطلع إلي مستقبل أفضل من الإستقرار والرفاهية والسلام . وعندما تم توقيع معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩ تطلع العالم كله بإنبهار نحو مصر مهــد الحضــارة الــتي بدأت تستعيد زمام المبادرة وتقود المنطقة نحو مســتقبل أفضــل ، فــلم يكن من الغريب أن يحصل الرئيس محمد أنور الســادات علي ترشيح العالم كله للفوز بجائزة نوبل للسلام تحقيقاً للمبدأ الــذي وضــعه الفــريد نوبل بأن تكون الجائزة من حق الرجل صاحب

أفضـــل المنجزات في مجال خدمة السلام ، وكانت هذه هي المرة الأولي التي يفوز فيها زعيم مصري أو عربي بهذه الجائزة الدولية المرموقة .

كان رئيساً للجمهورية من ١٩٧٠-١٩٨١ ، وقامت بإغتياله جماعة من المتطرفين في ٦ أكتوبر ١٩٨١ في حادث المنصة أثناء الإحتفال بنصر السادس من أكتوبر .

الرئيس محمد حسني مبارك :بطل السلام والبناء والتعمير (١٩٨٢-)

-تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٩ ، ومن الكلية الجوية عام ١٩٥٠ ، وعيــن مدرســاً بالكلية الجوية عام ١٩٥٢، وتدرج في الترقيات حتي صار مديراً للكلية الجوية عام ١٩٦٧ .
وعيــن قائداً للقوات الجوية في عام ١٩٧٢ حيث قاد القوات الجوية أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وعين نائباً لرئيس الجمهورية في ١٩٧٥/٤/١٥.
وتولـــي رئاسة الجمهورية عقب إغتيال الرئيس محمد أنور السادات بعد فوزه في الإستفتاء الذي أجري في أكتوبر ١٩٨١.

-فـــي عهـــده تم تنفيذ المرحلة الثالثة من إتفاقية السلام بإنسحاب القوات الإسرائيلية وجلائها من سيناء وعودتها إلي السيادة المصرية .
-ويقوم الرئيس بخطوات بارزة لدفع مسارات السلام العربية الإسرائيلية وصنع السلام في الشرق الأوسط .
-ويســـعي لإقامـــة كيـــان عربي أفريقي متميز من أجل صالح الشعوب العـــربية الأفريقية . ونجح في نزع فتيل الأزمات المختلفة التي تنشأ من وقت لآخر في الكيان العربي أو الأفريقى .

-ويشـــهد عصـــره تنمية في كافة المجالات : من بناء المدن الصناعية الكبري، ومشاريع في كل أرجاء مصر منها مشروع توشكى في جنوب الـــوادي ، وشرق العوينات ،إضافة إلي إقامة مناطق إقتصادية وصناعية متميزة مثل مشروع شرق التفريعة ببورسعيد .

-أرسي قواعد الديموقراطية وحرية الرأي وتعدد الأحزاب .

-ويهـــتم بـــتطوير وتحديث كافة المجالات وأهمها تكنولوجيا المعلومات وإقامـــة العديد من المشروعات التي تهدف إلي رفاهية الإنسان المصري .

ويتابع الرئيس بحكمة وتأني بناء الإنسان المصري وتنميته تربية وتعليماً وثقافة وصحة وإجتماعاً ليكون العمود الأساسي لتحديث مصر في إطار الـــبرنامج الوطـــني للـــتحديث الذيب أعطي إشارة البدء في تنفيذه في ٦ يوليـــو ٢٠٠٠ لتدخل مصر القرن الحادي والعشرين مع مصاف الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجياً . وأن متابعة ملايين المصريين لقيامه بإفتتاح مديـــنة مـــبارك العـــلمية للأبحاث والتطبيقات التكنولوجية ببرج العرب بالاســـكندرية حيـــث المشـــروعات البحـــثية في مجالات الغذاء والطب والصـــحة والبيـــئة ممـــا يعتبر صرحاً علمياً كبيراً جاء تنفيذاً لتوجيهات سيادته بدخول عصر التكنولوجيا المتقدمة .

وإذا إضـــيف إلي ذلك الجهود المبذولة لإقامة جامعة العلوم والتكنولوجيا التي سترتبط مصر بأحدث ما يجرى علي مستوى العلم من تطورات فـــإن الجميـــع يشعرون بالثقة بأن الأحلام في إقامة مصر الحديثة القوية إقتصـــادياً وعـــلمياً فـــي طريقها إلي التحقيق . وأن ما يجرى الآن علي

أرض مصـــر مـــن بناء لصروح العلم . وصروح المشروعات هو في الحقيقـــة الأهـــرامات الجديـــدة الـــتي تشـــيدها مصر في القرن الحادي والعشرين بفضل سياسته الحكيمة .

نجيب محفوظ : أديب نوبل لعام ١٩٨٨

أديـــب مصـــري إستطاع أن ينتزع إعتراف العالم بعبقريته ، وجعل إسم مصر يتردد في محافل الحضارة والتطور والمدنية .

هـــذا الـــرجل لـــم يحمل في يده سوى قلمه ، وعاش حياته بين بسطاء المصـــريين في الحارة المصرية التي بهرت الناس في رواياته الخالدة : بيـــن القصرين ، قصر الشوق ،السكرية ، زقاق المدق ، بداية ونهاية ، ثرثرة فوق النيل ..إلي آخر إبداعاته الأدبية العظيمة .

لقـــد حظـــي نجيـــب محفوظ بإهتمام ربما لم يتوافر لغيره من المبدعين المصـــريين الذيـــن سبقوه ، وكان مبعث هذا الإهتمام هو الإنتباه الدولي لمصر وعودتها مرة أخرى إلي مرحلة نهضة كبرى بعد أن تخلصت من أغلال الحروب وقيود الصرعات التي كانت تستنزف قدرات أبنائها علي الخـــلق والإبـــداع ، والتي كانت أيضاً تحيط هؤلاء المبدعين المصريين بأستار من الضباب والدخان تمنع الآخرين من رؤية إبداعهم وتفوقهم .

أحمد زويل : عالم الفيمتو كيمياء

حصل علي جائزة نوبل في الكمياء منفرداً ولم يشاركه فيها أحد رغم أن غالـــبية من سبقوه في الفوز بها حصلوا عليها مشاركة مع آخرين . وإذا

كـــان الفوز في حد ذاته يعد إنجازاً حضارياً كبيراً ، إلا أن الإبتكار الذي توصل إليه الدكتور أحمد زويل والذي حصل من أجله علي الجائزة كان خطـــوة عـــلمية عملاقـــة أكد جميع العلماء أنها دخلت بالعلم إلي مرحلة جديدة لم تكن موجودة من قبل .
ويكفـــي العالم المصري الكبير أنه إستطاع إكتشاف أصغر وحدة زمنية وهـــي المعـــروفة بإســـم الفيمتو ثانية وهو حفيد الفراعنة الذين كانوا أصحاب فضل تقسيم الزمن إلي أعوام وشهور وأيام وساعات .

وقـــد تحقق هذا الإنجاز بفضل العمل المتواصل والجهد الدءووب وإثبات الوجـــود بيـــن العـــلماء الآخـــرين ، ثم المثابرة من خلال فريق العمل الجماعي لإكتشاف المثير والغلمض ، فكان له فضل السبق ولتميز .

***

سوزان مبارك :أم كل الأطفال والمصريين

قرينة الرئيس محمد حسنى مبارك . . . وقد وصفها كل من تعامل معها عـــن قرب بأنها االسيدة المثقفة والإنسانة البسيطة الهادئة التي إستطاعت أن تجعـــل الكـــتاب في متناول الجميع ، وقدمت العلم والثقافة من خلال الكـــتب لكـــل فرد بداية من الطفل وحتي طالب الجامعة ورجل الشارع تحـــت شـــعارها القائل "إن المعرفة حق لكل مواطن" . فمشروع مكتبة الأســـرة بمـــا إشـــتمل عليه من إصدارات ثقافية وعلمية وأدبية وأعمال خاصـــة وموســـوعات جعـــل الكتاب في متناول الجميع ، وآثار حماسة المصـــريين نحو القراءة والبحث وإقتناء الكتب وإنشاء المكتبات الخاصة بهم .

ولا عجب فقد أصبح مشروع القراءة للجميع موجوداً في كل حي وقرية ونجع يقدم العلم والمعرفة لكل المستويات .

وقد وجهت السيدة سوزان مبارك كل إهتماماتها لشئون المجتمع ورعاية الأسـرة والمرأة والطفل والأمومة ، ليس في مصر فقط بل علي مستوى الكثير من بلاد العالم .

ويسـجل الـتاريخ لسـيدة مصـر الأولي الأخذ بزمام المبادرة من أجل الأطفـال ، فهـي تقـدم عطاء فياصاً بلا حدود خاصة تلك الجهود غير المعلـنة التي تقوم بها لتدبير المال اللازم لدعم أطفال الحاضر ولتوفير الأمان لهم .

ودورها في رعاية الطفل واضح من خلال عمل المجلس القومي للطفولة والأمومـة الـذي أنشـئ بقـرار السيد رئيس الجمهورية عام ١٩٨٨، ويخـتص بوضـع توجيهـات تـنموية للخطة القومية المتعلقة بالطفولة والأمومـة في مجالات الرعاية الإجتماعية والأسرية والصحية والثقافية والإعلامية والحماية الإجتماعية .

والسـيدة سـوزان مبارك التي قدمت الكتاب والرعاية الكاملة للطفل في مصر لم تتأخر في قبول رئاسة اللجنة القومية للمرأة التي أنشئت عام ١٩٩٣ والـتي تهـدف إلـي تعزيز دور المرأة في المجتمع . ودراسة المشكلات التى تواجه المرأة ، والتعاون مع الهيئات المصرية والإقليمية والدوليـة المهـتمة بقضـايا المرأة ، أيضاً الإعداد للمؤتمرات وحلقات البحث والإجتماعات .

ويثـني العـالم بدور مصر الحضاري رعاية الأمهات والأطفال بفضل السـيدة سـوزان مبارك . وقد أشاد د. صديق رشيد مدير قسم البرامج باليونسـيف (المـنظمة الدولية لرعاية الطفولة) بدورها ودور مصر في صـدور إتفاقية حقوق الطفل وقال :"إن مصر هى إحدي ٦ دول طلبت عقـد قمـة للطفولة العالمية في عام ١٩٩٠ لأنها من أوائل الدول التي تجري مراجعته كما تم في العقد الماضي".

إضافة إلي ذلك فقد أشاد الدكتور كامل إدريس مدير عام المنظمة العالمية للملكية الفكرية بالقيادة المصرية وجهود السيدة سوزان مبارك وأنشطتها المـتعددة لخدمة الأجيال القادمة ، ورعايتها للشباب والطفولة ، وحماية المـلكية الفكرية ومكتسباتها في أغراض التنمية الإقتصادية والإجتماعية والتكنولوجية والثقافية في مصر .

وقـال أن المـنظمة العالمية للملكية الفكرية شرفت بتقديم جائزة التقدير للسـيدة سوزان مبارك ، وهى الجائزة الأولي من نوعها تقديراً وإعترافاً لجهودها في هذا المجال ، وتكريماً للشعب المصري ، مؤكداً أن الملكية الفكـرية قـد أصـبحت أساسـاً مهمـاً وحيوياً في التنمية الإقتصادية والتكنولوجية والثقافية في مصر والدول العربية .
إن السـيدة سـوزان مبارك هي الأم الحنون والمرأة المثقفة العاقلة التي تفكـر دائماً لصالح أبناء الوطن ، وهي الوجه المشرف للمرأة المصرية التي تكافح ليس فقط من أجل اليوم ولكن من أجل المستقبل الباهر .

وقد حصلت السيدة سوزان مبارك علي العديد من الجوائز العالمية تقديراً لدورهـا الفعال في مجال شئون كل بيت من بيوت مصر حتي قال عنها

عمـــدة نيويـــورك فـــي عـــام ١٩٩٣ عندما أهداها جائزة الإنجاز "إنها شخصية فذة تتميز بالشجاعة والقدرة علي القيادة " .

***

الفصل الرابع

إنتمائي لمصر .... وطني

- أعرف معني الإنتماء إليك
- فأحافظ علي قيمك الأصيلة
- وأذود عن تراثك الخالد
- وأتمسك بأخلاقيات مواطنيك .. محافظا عليها ،
  ومطوعا لها لتساير العصر وتغيرات المجتمع
  لتبقي خالدة كأساس من أسس الحضارة

مصر الحضارة والقيم والبناء

بعد أن عرفنا قصة كفاح الشعب المصري ومقاومته ضد الأعداء ، وهي المقاومة التي إتخذت أشكالا مختلفة بدءا من المقاومة السلبية، ثم لثورات الشعبية بما فيها من مصادمات وعنف مؤثر ، إضافة إلي حمـلات ضد الإحـتلال بالسلاح ، ثم طرد الغزاة بالحرب وبالجيش ... وبعد أن وقفنا عـلي نمـاذج من عبقرية الحضارة المصرية القديمة وما إتسمت به من فنون وأدب وحكمة وسلوكيات قامت علي أساس عقيدة المصريين الدينية يـبرز لـنا أن مصر الحضارة بكل رقائقها وطبقاتها تعتبر نموذجا فريدا علي الأرض ، وحضارة مصر القديمة تقع بغير منافسة في مقدمة حضارات الدنيا بإسهاماتها المدهشة في مجال التقدم الإنساني ، فقد أثرت تـلك الحضـارة تأثيـرا كبيرا في الحضارات الأخري التي ظهرت في حـوض البحر المتوسط ومن أبرزها الحضارة الاغريقية التي بدأت من الاسكندرية، والحضارة الرومانية التي سيطرت علي قلب العالم .

ومصر احتضنت أيضا المسيحية الأولي وأعطتها تميزا يتمثل في تاريخ الكنيسة القبطية .

ومصـــر إســـتقبلت الإســـلام بالسماحة والترحاب ، وتفاعلت معه عبر القـــرون تحـــافظ عـــلي أصوله، وتدافع عن شريعته ، وتحمي فقه الدين الحنيف وتحتضن لغة القرآن عبر السنين ، فلم يكن الأزهر الشريف قلعة شامخة للدراسات الدينية فقط ، ولكنه كان أيضا منارا باسقا خرجت منه طلائع التنوير ،وانطلقت منه مواكب الحركة الوطنية والصحوة القومية .

وتظهـــر سماحة أرض مصر الطيبة في أنها قد آوت أهل بيت النبوه في القرن الأول الهجري بعد سنوات الفتنة الكبري ، واستقبلت من قبل رحلة العائلة المقدسة، كما إنطلق منها موسي عليه السلام كليم الله يبشر بأولي الرســـالات الســـماوية وبذلك إحتوي تراب مصر بركات الأديان الثلاثة بغيـــر استثناء.وليس ذلك غريبا علي بلد اكتشف فلسفة التوحيد في فجر الـــتاريخ منذ أن نادي إخناتون بعبادة إله واحد تمثل له وقتها في قرص الشمس .

وكان لإمتزاج الحضارات ، وتلاقي الثقافات علي ضفاف النيل في مصر أن جعـــلها تعـــرف التسامح ، وتدرك حق الغير ، وتتقبل الإنفتاح علي الآخرين .

إن حضـــارة مصـــر لها مكانة رفيعة في التاريخ الانساني .ثم إن شعب مصر كان شعباً محارباً ، وشعبا بناء علي مر العصور ، وكانت الحرب عـــنده كما رأينا للدفاع وليس للهجوم ، فمصر كانت علي طول تاريخها بلد سلام وحضارة دائما وبطبعها .

وهى اليـــوم تقـــود العـــالم العربي ، وتسير في طريق السلام ، بل إنها صـــارت ملـــتقي الـــزعماء والقادة والرؤساء لتحقيق السلام المنشود ،

وأصـــبح لمصـــر دورها المؤثر والفعال بفضل السياسة الحكيمة للرئيس محمد حسني مبارك الذي وضع لمصر وزنها وثقلها في معترك السياسة العالميـــة . إضـــافة إلـــي ذلك فقد نهض القائمون بالأمور العسكرية في بلادنا نهضة عظيمة في صنع أسلحة ممتازة يباع منها ما لا نحتاج إليه . ثم إن جامعات مصر وعلمائها يخدمون اليوم مصر والعرب ، فأساتذتهم يعملون بذكاء واجتهاد ويخترعون أشياء كثيرة في كل علم تقريبا .

كمـــا أن المؤتمرات العلمية في مصر كثيرة وهي مؤتمرات تكشف للدنيا الخيـــر الكثير ، فهي مؤتمرات تضم الخبراء لحل المشاكل القومية الذين يناقشون الموضوعات والمشاكل بجدية ، ومثل هذه الجدية بدأ يمتاز بها العمـــل في مصر اليوم ، ومصر في حاجة إلي الجدية لحل مشاكلها لأن هـــذه هي روح العصر خاصة بعد أن دخل الحاسوب "الكومبيوتر" حياتنا واشترك في كل شئ في هذا العصر .

فـــلا عجب أننا نفخر جميعا بالإنتماء إلي أرض هذا الوطن ، والإنتساب إلـــي هـــذا الشـــعب العريق الأصيل .. وهذا يأتي بنا إلي تعريف معني الإنتماء ومضمونه الذي أوضحة فيما يلى :

الإنتماء وأبعـــاده :

الإنتماء ببساطة هو علاقة الفرد بالمحيط الذي ينتسب إليه ، كما أن هناك إرتـــباطا لغويـــا بين كلمة الإنتماء وكلمة النمو والنماء ، لأن الفرد تنمو شخصـــيته جسميا وفكريا ووجدانيا وإجتماعيا كلما إنتمي إلي بيئته بداية مـــن أسرته وحتي المجتمع العام . كما أن النمو متبادل بين الفرد والبيئة الـــتي ينتمي إليها ، فهو ينمو بها وتنمو به ، ويزداد هذا التنامي بإزدياد

شـــعور الفـــرد بهذا الإنتماء وبشدة إحساسه بأنه جزء من وحدة عضوية متكاملة .

وتـــم تعريف الإنتماء في إحدي الدراسات بأنه : "هو إتجاه إيجابي مدعم بالحب يستشعره الفرد تجاه وطنه مؤكدا وجود إرتباط وإنتساب نحو هذا الوطـــن– باعتـــباره عضوا فيه– ويشعر نحوه بالفخر والولاء ، ويعتز بهويـــته وتوحـــده معه ، ويكون منشغلا ومهموما بقضاياه ، وعلي وعي وإدراك بمشـــكلاته ، وملـــتزما بالمعايير والقوانين والقيم والموجهة التي تعـــلو مـــن شأنه وتنهض به ، محافظا علي مصالحه وثرواته ، مراعيا الصـــالح العـــام ، ومشجعا ومسهما في الأعمال الجامعية ومتفاعلا مع الأغلبية ، ولا يتخلي عنه وان إشتدت به الأزمات " .

وهذا المفهوم يشمل عدة أبعاد أهمها :

الهوية : حيث يسعي الإنتماء إلي توطيد الهوية التي هي في المقابل دليل علي وجوده ، ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالي الإنتماء.

الجماعيـــة : وتعـــني توحـــد الفرد مع الجماعة ، والعمل معها بروح الفـــريق ، حيـــث الـــتعاون والمشاركة وتوحد الأفراد مع الهدف العام لـــلجماعة الـــتي ينتمون إليها ، وتفرز أيضا الميل إلي المحبة والتفاعل وجميعهما تسهم في الإنتماء .

الـــولاء : ويعـــني الشعور بالحب والتأييد والإخلاص والطاعة، وهو وجـــدان الإنـــتماء ويشير إلي مدي وجوده.ويدعم الهوية الذاتية ، وهو

جوهر الإلتزام بالنظم والقوانين والمعايير الإجتماعية . ويدعو إلي تأييد الفرد لجماعته ، التي يعتز الفرد بفخر الإنتساب إليها .

الإلــتزام : ويعني التمسك بالقيم والمعايير الاجتماعية وإحترامها لتحقق الإجماع وتتجنب النزاع .

الــتواد : ويعــني الإنضــمام أو العشرة ، ويشير إلي مدي التعاطف الوجدانــي بيــن أفراد الجماعة حيث التراحم والحب والعطاء والإيثار بهــدف التوحد مع الجماعة ، وينمي لدي الفرد تقديره لذاته ، وإدراك إمكاناتــه وسط الجماعة، ويدفعه إلي العمل نحو الحفاظ علي الجماعة وحمايتها .

الديموقــراطية : وتعــني أسلوبا من أساليب الممارسة الحياتيه يجد فيه الفــرد تقديــرا لذاتــه وقدراته وإمكاناته ، وينعم بالتفاهم والتعاون مع الآخــرين ، ويشعر بالإحترام المتبادل للرأى والرأى الآخر من خلال الحوار والمناقشة والنقد الايجابي .

ويتضــح أهــم المظاهر الايجابية للانتماء للوطن في توحد الفرد بوطنه، وإندماجــه فيه، والشعور بالإعتزاز والفخر به ، ملتزما بقيمة ومعاييره وتقاليده ، ويكون علي وعي بمشكلاته وقضاياه داخليا وخارجيا ، ويسهم فــي تحقيق إنجازا ت وطنه ، وتحقيق أهدافه قدر إمكاناته ، ويكون علي ثقــة فــي مقدرة وطنه علي تجاوز سلبياته، وأن يسعي دائما للعمل في إطــار الجماعــة بــإخلاص وحب ، وإن دعته الضرورة للمفاضلة بين مصالحه ومصلحة الجماعة فلتكن مصلحة الجماعة أولا ، وبتحققها يحقق الفــرد ذاتــه ويشــعر بالرضــا والفخر ، ويشعر بالاستقرار الإنفعالي

والوجدانـــي ، محققـــا مكانة ذات تقدير إجتماعي ، فالإنتماء هو الطريق إلي الأمان وتقدير الذات وتحقيق النمو والتقدم الإجتماعي .

ويـــترتب علي ضعف الإنتماء سيادة القيم الفردية ، والأنانية ، والسلبية، وعـــدم الالـــتزام بـــالقيم والقوانين نتيجة لتضارب المعايير السائدة في المجـــتمع، وعدم إستقراره إقتصاديا وسياسيا ، وتعرضه لأزمات مختلفة في نوعها ومداها ، فتحول دون اشباع حاجات المواطنين الأساسية نتيجة لقلة الإنتاجية، والسعي وراء الكسب السريع حتي وإن كان بطرق ملتوية .

والوطـــنية معـــناها حب الوطن والولاء له ، فهي عاطفة ووجدان تجاه الوطن يكون فيها الحب هو الإحساس الأساسي لهذا الوطن ، فهي تشير إلـــي مشاعر الحب والولاء التي تكمن في الانتماء للوطن ، حب للبلد ، وللأرض ، وللشعب ، وفخر بالتراث والحضارة ، وتتجلي مظاهرها في الإلـــتزام بـــالحقوق والواجـــبات وإحترام القوانين والمعايير السائدة في الوطن والتوحد معه ، والعمل علي حمايته ، والدفاع عنه وقت الأزمات بكل غال ونفيس حرصا علي تماسكه ووحدته وإستمرار بقائه وسلامته ، وعملا علي نمائه وتقدمه .

وقد رأينا كيف تكونت مصر بعمليات الخلق والنمو التي كانت من صنع جماعـــة من الناس المصريين ، وكان من نتاجه وجود مصر بما فيه من صـــفات ورســـوخ وإنفـــراد بالذات ، فأرض مصر شكلتها الطبيعة أولا مســـتنقعات وآجاما وشكلها الانسان بعد ذلك وجعل منها شيئا له أهميته ، فالمصـــريون هـــم الذيـــن خلقوا مصر بجدهم وتحديهم للبيئة ،وإذا كان المصريون قد طوعوا البيئة لارادتهم ، فإن هذه البيئة فرضت عليهم نوع الحياة التي يعيشونها ، فظهرت علي هذه البيئة قيم : النظام، والتعاون ،

والوحـدة ، والارتـباط بالارض إرتباطا وثيقا ، والولاء للملك وللإدارة المركـزية ، والقيـم الـروحية المتصلة بالتدين ، وقوانين حسن السلوك القويم .

وبـدأ المصريون يصنعون الحضارة ويوزعونها علي الناس .وقد مر بنا مـا تميزت به هذه الحضارة من عبقرية وفن وأدب وحكمة . وهذه القيم توارثـناها عبر القرون والأجيال حيث تأصلت في شخصية المصري ، ولـم تتأثر بما ورد عليها من قيم الحكام والشعوب الأجنبية الذين حكموا مصـر وإستقلوا بها ، فكانوا حكاما بالإسم ، ولكن الشعب المصري بقي علي أصالته وقيمه التي لم تتغير .

***

القيم الجديدة :

وفـي عصرنا الحالي تأثرت بعض هذه القيم ،وظهرت قيم جديدة نتيجة لسلوكيات الناس التي جاءت للتطور المحتوم في الكون والبشر ، فالزمن الحاضـر الذي نعيش فيه الآن مختلف عن كل الأزمنة الماضية إختلافا مذهـلا ، والـتغير في إنجازات العلم وفي القيم والأفكار والسياسات يتم بسرعة مذهلة .

ولقد تصدي لتحليل حياتنا وتحديد بذور وجذور الفكر والسلوك الفيلسوف الراحل زكي نجيب محمود إستخلص منها ما يلي :

البذرة الأولي : حددها في ما هي حقيقة الإنسان المصري .. وإنتهي إلي أن جوهر المصري هو أن يحيا حياته الدنيا زراعة وصناعة وفنا وحربا وسلما من منظور ديني ،وقد تغيرت عليه العقائد الدينية ولكن بقي التدين

بصـــاحبة، فالمصـــري والعـــربي والمسلم ينظر إلي الدنيا من حيث هي مقدمـــة لحيـــاة الخلود، والحضارة المصرية علي وجة الخصوص تتميز عـــن سائر الحضارات القديمة والحديثة بأنها "حضارة أخلاقية" في عمق أعماقها ، وعند هذا الأساس العميق تتلاقي مصر مع سائر أجزاء الوطن العـــربي الكبير ، كما تتلاقي معه بعد ذلك في سائر المقومات الحضارية .

ولقد تغيرت علاقة المواطن بالوطن فأصبح كل فرد يسعي إلي الحصول عـــلي أكبر نصيب ممكن من الغنائم بأقل قدر ممكن من العمل، ومن هنا وكما يقول الدكتور زكي نجيب محمود فان الفائزين هم أبرع الناس حيلة وليس أرفعهم ذكاء أو علما أو عطاء وبهذا تحطمت عناصر الهوية وفقد الفرد إنتماءه .

الـــبذرة الـــثانية : هي فقدان الفرد إحساسه بالآخرين مما ساعد الأفراد عـــلي الأنانية الفردية ، وهذه الأنانية تدفع الفرد إلي أن يحصد الحصاد كلـــه لشخصه وحده وذلك باستغلال الآخرين لصالحه وتحقيق رغباته ، حيث تعطلت وسائل التفاهم بين الناس.

البذرة الثالثة : خاصة بالثقافة والمثقفين ، فالمثقفون يختلفون علي طبيعة الـــثقافة ذاتهـــا ، ومختـــلفون عـــلي هدفها ، وليس هناك حوار ولا ألفة مشـــتركة بين هؤلاء المختلفين ، فالثقافة بلا غاية يهدف إليها المبدعون وإنعكس ذلك علي من يأخذون عنهم ويتأثرون بهم .

الـــبذرة الرابعة : هي التراث الذي ترتبط به لوجود قواسم مشتركة بيننا وبيـــن أســـلافنا ، ولكن لابد أن ندرك أن المشكلات التي كانت تواجه

أسلافنا تختلف عن المشكلات التي نعيشها اليوم ، فعالمنا الذي نعيش فيه اليـوم تـنمو فيه المعلومات والعقول بسرعة مذهلة ، وتظهر فيه أشكال وأسـاليب جديـدة للـتعامل بين الأفراد والدول ، وتسود فيه أنواع من العلاقات لم تكن موجودة في أى عصر سابق ، ويعلم فيه الانسان العادي من الحقائق العلمية البسيطة ما كان يعتبرا لغزا يحير العقول في الماضي ، ويتعامل فيه الطفل مع الحاسوب "الكومبيوتر" ويحصل علي معلومات لا حصـر لهـا من جميع المصادر ومن جميع دول العالم دون أن يبذل جهدا خارقا بمجرد الضغط علي أزرار بأطراف أصابعه .

وهذا يعني أن القضايا الفكرية والحياتية إختلفت ، ولابد أن يختلف معها الفكر والسلوك وإن كانت المبادئ ثابتة فإن الاجتهاد مطلوب لوضع هذه الصـور والتعاملات المتغيرة في وضعها الصحيح في إطار ثوابت الدين والأخـلاق . فحـب التراث والإرتباط به لا يفرق بين ما يصلح وما لا يصلح لحياتنا الآن.

البذرة الخامسة :والتي كشفها الدكتور زكي نجيب محمود وتحتاج إلي تـأمل طويـل هي اللغة وإستخدامها إستخداما جعلها لا تؤدي وظيفتها كـأداة لتوصـيل أفكار ومعان محددة وواضحة ، فهي مجرد كلمات بلا معان وبلا تحديد .

واللغة أساسا هي وسيلة التفاهم بين البشر ، وهو وعاء المعاني ، ويجب أن تكـون الكلمة مساوية للمعني ، والمفروض أن تنير اللغة الطريق إلي معـرفة صحيحة بالعالم ولكنها لا تعطي الآن المتلقي المعني ولا تضيف إليه علما أو معرفة ، ولكنها تعطيه الوهم بالمعرفة.

لقــد تفشــت في المجتمع المصري ظواهر جديدة أولها ضعف الشعور الوطـــني بصــفة عامة ، وغياب الولاء والانتماء وبخاصة بين الشباب، وغياب الشعور بالمسئولية الاجتماعية لدي الكثيرين .

وظهــرت حقــائق مثيرة كشف عنها بحث عن القيم السائدة بين الشباب مــنها : الإنتهازية والوصولية للحصول علي المال بدون العمل وربطه بـــالجهد المطـــلوب ، فتراجعت قيمة العمل والإجتهاد والإتقان ، وتغلبت روح الفـــردية والأنانيــــة ، وغـــابت مسائل الأخلاق والقانون والمسؤلية الإجتماعية من ضمائر هؤلاء .

وكـــل هـــذه المتغيرات دعت المخلصين من أبناء المجتمع إلي ضرورة غـــرس الإنـــتماء بعمق في كيان الفرد منذ الصغر وهذا يدعونا إلي التساؤل عن أهمية ذلك ، فشعور الفرد بإنتسابه إلي المحيط الذي يحيا به يعيـــنه عـــلي الاندمـــاج فيه قولا وفعلا ، قولا عندما يعتز بانتمائه إليه، وعمـــلا حيـــنما يبذل أقصي جهده للإرتفاع بمستواه إيمانا منه بأنه كلما إرتقـــي هـــذا المحيـــط عاد إليه هذا الرقي بالنفع الواعي البناء وذلك في دورة إجتماعية ونفسية وفكرية قوية الإرتباط .

إن المصري بطبيعة تاريخه وجغرافيته قوي الصلة ببيئته ، شديد الغيرة عـــليها ، ويحس كل منا بهذا عندما توضع علي كاهل المصري مسئولية ما ، وتلقي علي عاتقة قضية ما ، وليس عنا ببعيد دور المصريين جميعا في قضايا الكرامة الوطنية وفي بطولات المعارك القومية عبر صفحات التاريخ، وقد رأينا صوراً منها، ولا سيما ما لم يزل منها يصافح ذاكرتنا بـــالأمس القريب في عام ١٩٥٦ ، وفي عام ١٩٧٣ ، ونلاحظ في دهشة أن الشـــعب الذي عبر وانتصر هو نفسه الشعب الذي تظهر بين صفوفه

السلبيات الغريبة عليه والبعيدة عن تاريخه وطبيعته مثل اللامبالاة والأنانية والإنتهازية والنفاق والإهمال والمظهرية وغيرها مما نلمسها في الأسرة وفي مواقع العمل وعلاقات الصداقة والزمالة وشتي المجالات الأخري مما ساعد علي إشاعة الإغتراب وتبدل القيم عند الناشئة والشباب ، وهذا يلح علينا أن نكثف الجهد والفكر لمواجهة هذه السلبيات التي تتعارض مع ما يتجه إليه المجتمع اليوم من التنمية والبناء . بحيث نجعل الشخصية المصرية تتمتع بروح العمل والمثابرة والإيجابية والقدرة علي الإبداع والتفكير الخلاق ، ونجعلها أكثر قدرة علي تحمل المسئولية ومراعاة حقوق الغير وواجباتها ، وتفهم معني وأهمية المصلحة العامة وتنسيق الجهود وتقدير عمل الآخرين وإحترام قيمة المعرفة وقيمة الخبرة وقيمة حرية الفكر.

تعمل بجدية وتنتج وتدرك قيمة ما تنتجه في إطار التخطيط ونظم الإدارة الحديثة .

***

تعزيز الإنتماء للوطن وتنميته

ولهـــذا تـــأكدت الدعـــوة إلـــي ضرورة إستعادة الأذهان لمعاني الإنتماء والمواطنة والواجب في البذل والعطاء والتضحية من أجل الوطن وكيفية تعزيـــز الإنـــتماء لدي الناشئة والشباب وتأصيل قيمه عن طريق التربية ومـــن خـــلال المؤسسات الإجتماعية ذات التأثير في تحقيق هذا الإنتماء وتعزيزه بين الأفراد قولا وفعلا وسلوكا ... ومن هذه المؤسسات :

١- الأسرة :

هـــي المؤسسة الإجتماعية الأولي ، والركيزة الأساسية التي يرتكز عليها المجـــتمع في البناء وتشكيل أبنائه لما لها من دور هام وفريد في التنشئة الإجتماعية والسياسية لأبنائها ، فالأسرة هي المصدر الأول الذي يكتسب مـــنه الفرد مشاعره الإنتمائية بما تمنحه من حب ورعاية ومكانة وأمن ، فيكتســـب الفـــرد مـــن خلالها قيم الضبط والإلتزام والتعاون والمسئولية وغيـــرها مـــنذ ســـنوات التنشـــئة الأولي ، فتتقوي لديه مشاعر الولاء والإنتماء ، وتجعله إنسانا مقبولا ممن حوله يؤثر فيهم ويتأثر بهم. ثم إن مســـتوى التعـــليم المـــرتفع للأباء له دوره الفاعل في إكساب أبنائهم قيم الإنتماء حيث التبصير والتوجيه وبلورة المفاهيم ، وغالبا ما يتخذ الأبناء آباءهم قدوة ونموذجا يحتذون بهم في حياتهم كمصدر من مصادر الولاء .

٢- جماعة الرفاق والأصدقاء :

لهـــا دورهـــا الهام ، فعن طريق الصداقة يتم إكتساب عدد من المهارات والقـــدرات والســـمات الشخصية ، فصداقات الأطفال مثلا تسهم إسهاما

بـــارزا فـــي الإرتقـــاء بالقيم الأخلاقية والأدوار الإجتماعية ، فتبصرهم بمعايير السلوك الاجتماعي الملائم في مختلف المواقف .

ويتعـــلم مـــنها المـــراهقون كيفية المشاركة مع الآخرين في الإهتمامات والإفصـــاح عن المشاعر والأفكار وتكوين علاقات تتسم بالثقة المتبادلة مـــع أقرانهم ، كما أن لجماعة الرفاق أثرها في تعليم الكثير من الأنماط السلوكية خاصة في المدن المصرية المعقدة .

١ – وسائل الإعلام :

تتمـــثل فـــي الإذاعة والتليفزيون وصحافة الأطفال ومجلاتهم وهذه كلها مصـــادر هامـــة للمعلومات والمعارف التي تسهم في تشكيل الوعي لدي الـــتلاميذ بصـــفة خاصـــة ولدي المواطنين بصفة عامة من خلال مدي تـــناولها للإنـــتماء ،ومـــن الضـــروري زيادة الوقت المخصص لمفاهيم الإنـــتماء من خلال البرامج الإذاعية والتليفزيونية مع التركيز علي القيم الايجابيـــة وتجـــنب القيم السلبية كالفردية والأنانية ، والتقليل من مساحة الـــبرامج الـــترفيهية وبرامج التسلية والإعلانات بما يتناسب مع البرامج الآخـــري الهادفـــة الثقافية والعلمية والإجتماعية التـي تثير الوعي وتعزز المفـــاهيم تجـــاه القضـــايا الإقتصـــادية والإجتماعية والسياسية ، وأيضا توضيح المفاهيم المرتبطة بالقضايا الوطنية والقومية والأحداث السياسية الحيويـــة والـــرموز الوطنية والقومية والإنتماء والسلام الإجتماعي بما يعـــزز ربـــط الأطفال والناشئة والشباب ببيئتهم ووطنهم.وذلك من خلال تقديم البرامج المناسبة لكل منهم ، والتي يعدها المتخصصون والتربويون وعلماء النفس والإجتماع والإقتصاد والسياسة والتاريخ والقانون .

ومجـــلات الأطفـــال هي الأخرى عليها الإلتزام بعدم إغراق الطفل في الأحـــداث الخياليـــة وعـــدم الـــتركيز علي قيم التنافس والفردية وإفلات المجـــرمين والخـــارجين عـــن القانون من العقاب والعدالة ، وعدم إبعاد الطفـــل عـــن قضـــايا بلاده وعن قيم الجماعة كالتعاون والمسئولية تجاه الآخرين . وعليها أيضا إبراز الأحداث الوطنية ورموزها وقضايا الوطن ، مع مراعاة المرحلة العمرية أيضا في إثارة ما رسخ في وجدان الشعب المصـــري مـــن حب الوطن وما يؤكد علي أهمية تنمية الانتماء كمفهوم أساسي وراء الإنجاز والتنمية والتطور .

٤- المدرسة :

إن المدرسة كمؤسسة تعليمية تربوية تستطيع أن تسهم بفاعلية في تحقيق الإنتماء للوطن وتأكيد الهوية المصرية لدي تلاميذها من خلال المقررات الدراســـية والمـــناخ المدرســـي وأســـلوب أداء العلم ، وطرق التدريس والأنشطة المدرسية بما تنتهجه من قيم تعكس أنواع الممارسات السلوكية التي لها أثرها علي التلاميذ ترابطاً وإنتماء .

المقررات الدراسية :

مـــن المهـــم تعزيـــز المقررات الدراسية بما يؤكد الإنتماء لدي التلاميذ خاصـــة مقـــررات القـــراءة والنصوص والقصة حيث يمكن للمعلم من خلالهـــا أن يوضـــح معـــني الإنتماء كمفهوم وقيمة في أذهان ووجدان الـــتلاميذ ، كمـــا يؤكـــد المعـــلم من خلال المواقف التعليمية علي تقديم إشارات قد تسهم في تأكيد الانتماء وبلورته ممارسة وسلوكا .

•كمـــا أن لمـــنهج الدراســـات الاجـــتماعية دوره الهام في بلورة المفاهيم والإشـــادة بالبطولات وتوضيح دور جماهير الشعب وبطولاته في تحقيق إنتصـــاراته وإنجازاته ، وبهذا الإتجاه يتأكد لدي التلاميذ أهمية الجماعة فـــي حياة الفرد مما يرسخ لديهم قيم : الجماعة ، المشاركة ، التعاون ، الايثار ، التضحية في سبيل الوطن .

ومـــن المفيـــد إضـــافة مقرر "التربية الخلقية" خاصة في مراحل التعليم الأساســـي والـــذي يتضـــمن قيما وإتجاهات من شأنها أن تؤكد الإنتماء وتعـــزز وجـــوده لدي التلاميذ بما يربط التلميذ بجذوره وبقيمه الأصلية الـــنابعة من ثقافتة الوطنية وعقيدته الراسخة ، وتؤكد إعتزازه بمصريته وشرف إنتسابه وإنتمائه لوطنه العزيز ، بحيث يراعي هذا المقرر أعمار التلاميذ ونضجهم عقليا ومعرفيا ووجدانيا ، وأن يكون له وزن ومساحة فـــي الخطـــة الدراسية من حيث عدد مرات تدريسه أسبوعيا ، وإجمالي الـــزمن الذي يدرس من خلاله كل أسبوع، وكيفية تدريسه مع تفضيل أن يشمل هذا المقرر أكثر من مادة ليثير إهتمام التلاميذ في أكثر من جانب كـــأن يكـــون بعضـــها فـــي شكل نصوص مقررة ، وبعضعا في شكل موضـــوعات قراءة ، وبعضها في شكل تعبير ، وآخر في شكل مقررات دينية ، وبعضها في محتوي قصة مقررة بعينها وبعضها في شكل أحداث ورموز أثرت الحياة الوطنية وجديرة بأن تكون المثل والقدوة في صنع هـــذه الأحداث مع التحليل الوافي لهذه الأحداث بكل المصداقية والأمانة العـــلمية ، وإبراز جوانب البطولة والفداء الوطنية ، وأيضا إبراز رموز الأبطـــال في الجانب العلمي الذين ابتكروا وأبدعوا والزعماء الذين قادوا المســـيرة ، بحيـــث تقدم للتلاميذ في محتوي مثير للإهتمام لتكون بمثابة رمـــز لـــلفخر والعـــزة وشرف الإنتساب للوطن ، والإشادة بأمجاده في الحـــرب مـــن أجـــل الســـلام وإنتزاع الحق ، ولتظل أمام عيونهم وفي

وجدانهـــم قدوة ورمزا لكل مواطن مخلص لوطنه ، وتاريخ بلادنا زاخر بمثل هؤلاء علي مر العصور والتاريخ .

ولعـــل مقـــرر الـــتربية الخلقية الذي برز في النظام التعليمي الكوري ، والـــنظام التعليمي الياباني ونجاحة في هذين النظامين ما يعطي الأهمية لاكتساب التلاميذ القيم المرجوة المرغوبة وهي القيم الايجابية المستهدف إكسابها للمواطنين من خلال المؤسسات التعليمية .

ثـــم إن أهميـــة تضمين المقررات الدراسية لقيم الديموقراطية أثرها في إكســـاب الـــتلاميذ منذ الصغر معني الدور السياسي في الوطن ، ومعني المشاركة السياسية وبالتالي الإنتماء ، وفي العمل علي النهوض بالوطن والإستعداد للتضحية في سبيله.

المناخ المدرسي "البيئة المدرسية" :

إذا كـــان المـــناخ المدرسي إيجابيا يسمح بالتفاعل الإجتماعي من خلال تأكيد الثقة بين جيل الكبار والمسؤولين بالمدرسة وبين التلاميذ ، فإن ذلك يســـاعد عـــلي نمـــو الشخصية وتنمو مشاعر الحب بين أطراف العملية الـــتربوية ، وبالـــتالي تنمو مشاعر الفخر والإعتزاز بالمدرسة كمجتمع صغير ، ومن ثم المجتمع الكبير .

وإذا أتـــاح المـــناخ المدرسي الفرص لتدعيم الثقافة الوطنية والإشادة بها والتمسك بمضمونها دون الإنغلاق فيها والرفض لما هو جديد من حولنا مـــن نـــتاج الـــتطور المعرفى وما يرتبط به من وسائل الإتصال ، مع التبصـــير بالإفادة من المناسب والايجابي منها الذي قد يسهم في تطوير

ثقافتـــنا ، ويتفق وعقيدتنا ، ويعود بالنفع علي الوطن والمواطن فان ذلك يســاعدنا علي الإحتفاظ بشخصيتنا القومية وعلي مسايرة العصر في آن واحد .

وإذا إتسمت الإدارة المدرسية بالنمط الديمقراطي وساد ذلك جو المدرسة فمــن خــلال ذلــك تنمو العلاقات الانسانية ، والإحترام المتبادل وتنمو الإتجاهــات نحــو القيــم المرغوبة والمرجوة ، ويستطيع ذلك أن يسهم بفاعــلية في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية ويمد المجتمع بمواطنين يفترض فيهم أن يكونوا علي درجة عالية من الترابط والتماسك والإنتماء .

وفــي إطــار هــذا الجو الديموقراطي يسعي المناخ المدرسي لاكتساب الــتلاميذ قيم ومفاهيم الديموقراطية من خلال الحوار والمناقشة وإحترام الرأى والرأى الآخر ، والنقد الايجابي ، وحق التصويت وحق الإنتخاب ، والترشيح ، وكذلك إعتبار الذات ، كما يكسبهم قيم الجماعية ، التواد ، الالــتزام حيــث إدراك الحقــوق والواجبات ، والإلتزام بالقيم والمعايير الاجتماعية .

وإن كــان المقرر الدراسي له دور في تدعيم هذه القيم والمفاهيم ، إلا أن المــناخ المدرسي عليه مسئولية بلورتها وترجمتها إلي سلوك فعلي يكون فيه الكبار حاملين لهذه القيم ومنفذين لها ، ويقتدي بهم التلاميذ .

ويســاهم المعــلمون أيضــا فــي حسن إدراكها وإستيعابها بها للإقتناع والتمســك بهــا والدفــاع عنها ، وبذلك يمكن أن يحقق المناخ المدرسي فرصا إيجابية لعملية التنشئة السياسية ، ويسهم كذلك في إكساب التلاميذ قيم الإنتماء ويؤكدها لديهم .

كمــا أن الممارسات التربوية بالمدرسة وسلوكيات المعلمين والمسؤولين إذا ســادها الحــب ومشاعر التعاطف الوجداني ، والتعاون ، والإحساس بالمســؤلية تجاه التلاميذ، وسادها الجدية فإن ذلك يساعد علي "نمو الذات وتحقيقها" ويكون الكبار محل إحترام الصغار ويمثلون لهم القدوة وخاصة فــي إلــتزامهم بــلوائح النظام التي من خلالها تدرك الحقوق والواجبات وتــتحدد معني الحرية، حيث يستطيع التلاميذ إكتساب العديد من المفاهيم والقيــم ، ويشــعرون بفخــر الإنتساب والإنتماء للوطن مما يوقظ فيهم مشاعر الوطنية والاستعداد للتضحية من أجل حماية الوطن.

إضــافة إلــي هذا فان الإدارة المدرسية بما تشمله من معلمين وإداريين بأخلاقياتها ونمطها السلوكي وراء نوعية المناخ السائد في المدرسة. فان كــان جيــل الكبار في المدرسة علي درجة عالية من السلوك الأخلاقي المنبــثق من قيم أخلاقية ، ولديهم إنتماء يتضح في سلوكهم فإن ذلك يجد طريقه إلي التلاميذ الذين يرون فيهم القدوة ، وينقلون عنهم ، ويسود المدرســة مناخ يتسم بالتفاعل الايجابي حيث الحب والترابط والانتماء ، وتصبح المدرسة من أهم المصادر التي تدعم المجتمع بثروة بشرية علي درجة عالية من الفخر بهويتهم المصرية والإنتماء لوطنهم .

فالمدرسة لها دورها الهام الذي لا يمكن تجاهله إزاء مدي تعزيز الهوية والإنتماء مفهوما وسلوكا لدي تلاميذها .

أسلوب أداء المعــلم :

للمعــلم دوره الهــام في تأكيد الانتماء مفهوما وقيماً في وجدان وأذهان الــتلاميذ، وكذلــك بلورته سلوكا وممارسة من خلال المواقف التعليمية

المختلفة ، فهو وراء الوعي المكتسب لدي التلاميذ ، فمن خلال الوعي تتحدد مشاعر ووجدان التلاميذ تجاه الوطن منفعلين به ومتفاعلين معه، وبالتالي يتحدد السلوك كدلالة لكل ما كان بالوجدان والأذهان .

والمعلم إذا ما إستثمر الأنشطة والمواقف التعليمية بجديه وبسعيه لإكساب التلاميذ الخبرات المنظمة بأساليب الحوار والمناقشة والنقد الايجابي فإن ذلك يدعم ويرسخ الإتجاهات الموجهة نحو القيم المرغوبة التي تسهم في تحقيق الذات للتلميذ وتؤكد إرتباطه بالجماعة المدرسية ومن ثم المجتمع الكبير .

ثم إن سلوك المعلم المطابق لأفكاره التي يبثها في التلاميذ والتي يدعمها ويشجع التلاميذ عليها ميسرا لهم المناخ المناسب من حرية إبداء الرأى وإحترام رأى الآخرين ، والنقد الايجابي ،والحوار البناء فهذه جميعا مفاهيم تؤكد الشوري والديموقراطية وتعتبر من أهم القيم التي تسهم في ترابط أفراد الجماعة وتؤكد انتمائهم لها . وأيضا من خلال إيجابية المعلم بمشاركته في مجالات واتحادات الطلاب ، وقيادة الأسر والجماعات المدرسية يستطيع أن يبث قيم الجماعة والتعاونية والإلتزام بالنظم واللوائح والقوانين ، وينمي في التلاميذ صفات الإستقلالية والتفرد و القيادة والأمانة ، ويعمل علي إذكاء روح الجماعة لديهم ، وبذلك ينمي لديهم حب الجماعة التي ينتمون إليها، والولاء لها علي أن يكون المعلم في كل ذلك قدوة ونموذجا يحتذي به .

وإذا أكد المعلم من خلال طريقة تدريسه وأثناء شرحة علي بلورة الأفكار التي يتضمنها محتوي الدرس ، بجانب تأكيده علي القيم التي تسهم في تعزيز الإنتماء من خلال الأنشطة ومنها تفضيل الأهداف الجماعية علي

الأهداف الفردية وجعلها موضعا للأولوية والأسبقية .. فانه يغرس بذلك في تلميذه معني واجباته نحو الجماعة ، وأن في نجاح الجماعة نجاح في تحقيـق أهدافه الشخصية ، وتطورها هو تطور له أيضا . ثم إن توجيه المعـلم لأهميـة التوحد مع الجماعة ، وإشاعه مشاعر الحب والتعاطف الوجدانـي بيـن أفرادها في مناخ يسوده الحب والتآلف ،فان ذلك يسهل عمـلية التماسك والترابط والانتماء بين أفرادها ، ويؤدي إلي وحدة كلمة الجماعة ، ووحدة الفكر مما يبعد عن التشتت والإختلافات التي قد يكون لها أثر سلبي علي كل من التلميذ والمدرسة وبالتالي المجتمع .

الأنشطة المدرسية :

الأنشـطة المدرسية بما يتوافر لها من إمكانات وتجهيزات ، وبما تتيحه لكل تلميذ من أن يمارس النشاط الذي يناسبه ويتفق مع قدراته وإستعداداه وميولـه ويحقـق ذاته .. هذه الأنشطة لها دور إيجابي في ترجمة القيم والمفـاهيم الـتي يحث عليها المعلم إلي سلوك وتطبيق ، كما تنمي قدرة التلميذ علي التفكير العلمي والعمل الجماعي والتعلم الذاتي .

وتسـهم الأنشطة المدرسية بشكل فعال في تكوين الشخصية المتكاملة . فمـن خـلال الممارسـات تتأكد صفات التفرد ، وتظهر ملامح الإبداع والـتفوق ، وتسهم في عملية الإقتداء بالمعلمين ، ويكتسب التلاميذ معني الجماعـة والـتواد والتعاطف الوجداني ومعني حرية الرآى ، وإحترام الـرأى الآخـر ، وحـرية النقد الايجابي ، إضافة إلي الالتزام باللوائح والـنظم المدرسـية ، وهذه جميعا قيم إيجابية مرغوبة تمثل في إجمالها نسق قيم الانتماء .

وعــلي المدرســة أن تضع ضمن خطتها قائمة بالقيم المرغوب إكتسابها للــتلاميذ تستهدف مناقشة مشكلات المجتمع وأهم قضاياه محليا وعالميا حيــث يقوم المعلم بدوره في مناقشة أهم القيم المتضمنة في تلك الأحداث والمشــكلات ، بجانب مناقشة المسؤولين من مجالات متخصصة مختلفة ورجــال الفكر ورجال الدين لمشكلات المجتمع وأهم القيم الايجابية التي لها دور بارز في النهوض بالفرد ومجتمعه في آن واحد ، وأيضاً مناقشة كيفيــة الإحــتفاظ بالقيم الايجابية الأصيلة في عصر سريع التغير بجانب إستيعاب قيم العصر الجديدة المتفقة مع القيم الأخلاقية والدينية .

والتحاور أيضا مع التلاميذ حول أهم الرواد والأبطال الذين أعطوا مثالا طيــبا في مجالات مختلفة في قيم بعينها ، ومحاولة تشجيع هذه القيم من خــلال مــناخ ديموقــراطي يسمح بالممارسات الفعلية لهذه القيم.والقيام بالــرحلات إلــي أمــاكن الآثار والتراث الحضارى ومناطق البطولات والإنجــازات العلمية والتكنولوجية ..بكل ذلك تتأكد قيم الإنتماء ، وتتدعم لدي التلميذ مشاعر الفخر والإعتزاز بتاريخ وحضارة وإنجازات بلاده .

ثــم إن الاتحادات الطلابية والجماعات الثقافية والعلمية والإجتماعية من أهم الميادين في تربية التلميذ ديموقراطيا حيث تكسبه العديد من المفاهيم السياســية لمــا تشمله من عمليات التصويت ، والانتحاب ، والترشيح ، الدعايــة ، ومــا يتــبع ذلك من برامج تحث علي المشاركة والجماعية والــتعاون مــن أجل تحقيق هدف معين، وهذه الأنشطة تسهم في تشكيل وعــي التلميذ ونمو شخصيتة وتغرس فيه قيم موجبة ، وتشير في النهاية إلي مدي إرتباطة بالجماعة والعمل علي بقائها وتقدمها ، ويكن لها الحب والولاء ، وتغرس فيه قيم الإنتماء وتنميها لديه.

***

الفصل الخامس

من أجلك يا مصر

- أحب نيلك .. وأرضك
- وأحب أهلي ورفاقي وبني وطني
- وأعمل بجد وإتقان
- وأحترم السير في دروبك وعلي طرقاتك
- وأدعم الوحدة الوطنية وأحكم أواصر المحبة والتأخي
- وأكون قدوة في السلوك
- وأشارك بإيجابية لممارسة حقوقي وواجباتي
- وأتمسك بديني وبالقيم والفضائل التي يدعو إليها
- وأحمي حماها وأدافع عنها ، وأعيش لها ومنها بداية ونهاية وأملاً .

من أجل مصر .. صور الإنتماء لمصر

بعد عرض الإطار النظري للإنتماء من حيث مفهومه وأبعاده ، وبعد أن وقفنا علي أهمية بعض المؤسسات في تعزيز الإنتماء بدءاً من الأسرة ومروراً بجماعة الأصدقاء ، ووسائل الأعلام ، وانتهاءً بدور المدرسة والتربية ... ومن خلال عرضنا لرموز مصر المتمثلة في نيلها ، وعلمها ، و نشيدها الوطني ،وبعد التعرف علي بعض ملامح الحضارات التي إنبثقت علي أرض مصر ، وعلي صور من كفاح الشعب المصري ومقاومته ضد الغزاة علي مر العصور ، إضافة إلي بعض الرموز الوطنية من أبناء مصر الأوفياء الذين بذلوا كل جهدهم وفكرهم ووقتهم لبناء مصر والنهوض بها في شتي المجالات في عصرنا الحديث .. يكفينا فخر الإنتماء إلي أرض هذا الوطن ، والإنتساب إلي الشعب المصري الأصيل، فمصر هي وطننا ، وهي أملنا ، وهي ماضينا ، وحاضرنا ، ومستقبلنا ... ولذلك أقول :

١- من أجل مصر نحب نيلها الخالد ، ونحافظ علي مياهه نقية طاهرة خالية من التلوث الذي يؤثر في صحة وحياة الناس

ونحافظ علي كل قطرة من مياهه ، ولا نبددها فيما لا يجدى أو يفيد لتوفيرها لنشرب منها ونستخدمها دون إسراف ، ونستثمرها في رى المزروعات ، وإصلاح الأراضي والمرافق وغيرها من المشروعات .

ونحـــافظ عـــلي شاطئ النيل في المدن والقري ليعود إليه جماله وسحره الطـــبيعي ليســـتمتع الجميـــع بمناظره وإستنشاق هوائه النقي ، فلا نعمل حاجـــزاً بيننا وبين هذا الإستمتاع ببناء المباني الأسمنتية الخاصة ، وليت الجميع يعودون إلي إحترام نهرهم العظيم ، ويسلكون المسلك الحضارى الذي يحافظ علي النهر ويعود بهم إلي تقدير قيمته ونفعة للجميع .

٢- مـــن أجـــل مصـــر نحب أرضها الخضراء ، ونعتز بإنتاجها ، ونعمل من أجل إستمرار خيرها العميم ، وإنتاجها الوفير .

ونحـــب أرضها بما عليها من مشروعات عملاقة تتبناها الدولة في شتي المجـــالات لتعود بالنفع علي جيل المستقبل من الشباب ، ولا نتخلف عن الآخـــرين الذيـــن يبـــنون بســـواعدهم ويســـهمون بجدهـــم لإنجاز هذه المشـــروعات الـــتي إنتشرت في كل أرجاء مصر ، وهي المشروعات الحديثة التي تعتبر من أعمدة نهضة مصر في القرن الحادي والعشرين .

ونحـــب أرضها بما عليها من مباني حديثة تشهد علي مقدرة المصريين في فن البناء والعمارة ... . وبما عليها من آثار تشهد بالعظمة وهي الآثار التي تغني بها شعراء مصر في العصر الحديث الذين هاموا بحـــب مصـــر وآثارهـــا ، وحضارتها ومجدها ... واتخذوا من الآثار المصرية وسيلة للإشادة بهذا المجد وتلك العراقة .

ومـــن هـــؤلاء الشـــعراء محمود سامي البارودي فله قصيدة في وصف الأهرام وقوتها وصلابتها وغلبتها الزمن وتحديها الخطوب .وتحدث فيها أيضا عن النقوش التي نقشت بها ، وعن أبي الهول وإن كان حديثه عن مقتضبا .

ومــنهم أيضا إسماعيل صبرى الذى وصف الأهرام وأشاد بخلودها ونوة أيضا بالآثار بصفة عامة .

وكذلــك شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي نوه بحضارة مصر ومجدها في بعض قصائده خاصة قصيدة مصر تتحدث عن نفسها " والتي مطلعها

وقف الخلق ينظرون جميعــا كيف أبني قواعد المجد وحدي

وقــد أوردت بعض الأبيات من هذه القصيدة في بداية الفصل الثاني من هذا الكتاب .

ومــن هــؤلاء الشعراء محمد الأسمر.. وله قصائد عن حياة أبي الهول وقدمــاء المصريين ، ومنازل الفراعنة ، أطلال الفراعنة .أفراد لها باباً في ديوانه عنوانه : قوميات .

ولا ننســي أمير الشعراء أحمد شوقي الذي برع في قصائده في أن يربط بيــن الماضــي والحاضــر ، حيث إتخذ من مجد الماضي وسيلة لبناء الحاضــر والإعــداد للمستقبل وفي ذلك إستنهاض للهمم وشحن للنفوس بشحنة وطنية قوية . لقد أشاد أحمد شوقي بحضارة مصر القديمة ، وما أصــابه المصــريون القدامــي مــن سبق في ميدان العلم والفن والبناء والمعمــار والنقش والرسم والتصوير وغيرها ، لاسيما وأن أحمد شوقي كــان قارئــاً لــتاريخ مصر القديم، ومتعمقا في فهمه ، وإستخلص منه المواعــظ والعبر ، كما إستلهم أحداثه في بعض أشعاره ومسرحياته التي ألفها مثل مسرحية مصرع كليوباترا ومسرحية قمبيز .

وكـــان حديث أحمد شوقي في شعره عن الآثار المصرية حديث الشاهد الرائي وليس حديث من وصفت له أو قرأ عنها .... وفي هذه الأبيات المخـــتارة من مطولته "كبار الحوادث في وادي النيل" ما يصور أمجادا المصريين والإشادة بها والتنوية عنها

قال أمير الشعراء :

وبنينا فلـــــم نخل لبــــان	وعلــــــــونا فلــــم يجزنا علاء
و ملكنا فالما لكــــون عبيد	و البــــرايا بأســــــرها أسراء
قـــــل لبان بني فشـــاد فغالي	لــــم يجز مصر في الزمان بنـــاء
أين كان القضــــــاء والعدل	والحكمـــــة والرأي و النهي والذكاء
وبنو الشـــمس بن أعزة مصر	والعـــــلوم الي بها يستضــــــــاء

ويعــــد شعر أحمد شوقي مظهراً من مظاهر وطنيته ، ودليلاً علي ولائه لوطـــنه وإعـــتزازه بمجده ، وتغنيه بحضارته وكان الدافع إلي ذلك هو وطنيـــته الـــتي جاشت بها عواطفه . وهل هناك أقوى عاطفة وأصدق وطنية وأوفي حباً لمصر من قوله :

لكن مصر وإن أغضت علـــي مقة	عين من الخلد بالكافــــور تسقينا
علي جـــــوانبها رفــت تمائمنا	وحـــــول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيــــها مآربـنا	و أربع أنســـــــت فيها أمانينا
و مطلع لســـــــعود من أواخرنا	و مغـــــرب لجـــــدود من أوالينا
بنا فلم نخــــل من روح يراوحنا	من بــــر مصـــر و ريحان يغادينا
كأم موســـي علـــي إسم الله تكفلنا	وباســـــمه ذهبــت في اليم تلقينا
ومصر كالكرم ذى الإحسان فاكهة	لحــــاضرين وأكـــــواب لبادينا

أو قوله :

وطني لو شـــغلت بالخلد عنه نازعتنـــي إليه في الخلد نفسي
شـــهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخـل حسي

لقــد كـــان حب أحمد شوقي لمصر حباً قوياً وشديداً جعله يتجاوز الحد أحيانـــاً فـــي التعبير عن هذا الحب ، والتغني بتلك الآثار فيصور مصر معـــبودا ، وآثارهـــا أمـــاكن مقدسة ، ويظهر ذلك في تلك الأبيات التي خاطب فيها الطيارين الأتراك

ياراكب الريح حي النيـــــــــل والهرماً
وعظم السفح من ســـــيناء والحرماً
وقف علي أثــــــر مر الزمـــــــان بـــــه
فكان أثبت من أطـــــواده قممـــــاً
وأخفض جناحك في الأرض التي حملت
موسي رضيعا،وعيسي الطهر منفطماً
و أخرجت حكمة الأجيـــــال خالدة
وبينت للعباد الســــــــــيف والقلما
وشرفت بالملــــوك طالمــــا إتخذوا
مطيهم من ملوك الأرض والخدمـــا
هذا فضـــــــــاء تلم الريح خاشـــعة
به ، ويمشي عليه الدهر محتشـــماً

وبعد ذلك نقول :

أليســـت أرض مصـــر بكـــل ما فيها وما عليها جديرة بحبنا وعطائنا ؟ نتمسك بها ونحافظ عليها ، حتي لا ننسي الفخر والإعتزاز والإنتماء ؟

٣- مـــن أجـــل مصـــر نعمل جميعا لخير الأسرة والعائلة وتآلفها وإنسجامها لتقوي الجذور ، ويتعزز الإنتماء .

فالأســـرة تمـــنح أبنائها الرعاية والحب ، وتشعرهم بالأمن ، وتبرز لهم مكانتهم في الأسرة ، فيلتزمون الضبط والترابط والتعاون .

ونحـــن كآبـــــاء نعطيهـــم القدوة في السلوك والأخلاق والتمسك بالقيم ، والقدوة في التعامل ، ويظهر ذلك في تعامل الأم مع الأبناء ، وفي تعامل الإخوة الكبار مع الصغار .وقد عرفنا في الفصل الأول من الكتاب كيف سادت في مصر القديمة القيم الأســـرية من حب الزوج لزوجته ، وحب الأب لأبنائه ، وإحترام الأم ، ومراعاة الأسرة لحرمة أسرة الجار ..هذه القيـــم الـــتي ظهـــر فيها بعض التفكك في وقتنا الحاضر مما يحتم علينا الإهـــتمام بـــتعزيز هذه القيم وتأصيلها في الأسرة لتقوى جذور الإنتماء والولاء كسلوك يأتي أولاً من الأسرة ثم ينتشر بعد ذلك في المجتمع .

ونحـــب أيضا المدرسة ، وزملاء الفصل والدراسة ، ونحذوا حذوهم في الإلـــتزام والطاعة والحرص علي النظام ، ونقدم الخدمات للبيئة المحلية مـــتعاونين مـــع الآخـــرين حبا في إسعاد الناس ، وخدمة لوطننا صاحب الفضل علينا.وننشر التوعية الصحية ، ونعمل علي الإرتقاء بالناس ثقافياً ، ونساعدهم علي حل مشكلاتهم الإجتماعية ، ونقودهم إلي العمل لنظافة الـــبيت والشـــارع والحي . فالنظافة من الإيمان ، وسلوك النظافة سلوك حضارى يرقي به الفرد ، ويعزز قيمة الولاء والإنتماء .

ونحـــب الـــزملاء فـــي العمـــل ، ونتعاون معهم في الإنجاز ، فالعمل الجماعي وحبه هو قيمة من قيم العصر لا يحدث التقدم والتطور بدونه.

وقـد لمسنا مؤخراً الدعوة الموجهة للعمل الجماعي في البحث العلمي ، ولـنا فـي الدكـتور أحمد زويل وهو العالم المصري الذي حصل علي جائزة نوبل في الكمياء لعام ١٩٩٩ مثلاً في أهمية العمل بروح الفريق ، فهـو لـم يصـل إلي ما وصل إليه من مكانة ومن إكتشاف مثير لوحدة الفيمـتو ثانيـة أصـغر وحـدة قياس للزمن في تفاعلات الكيمياء وهو الإكتشـاف الذي لم يسبقة إليه أحد إلا بالعمل الجماعي ، حيث قاد فريق العمـل المـتكامل المتخصص ، وبمجهودهم جميعاً ثم الوصول إلي هذا الإكتشاف . ثم إن الحرص علي الوقت في إنجاز المعاملات أمر حيوي يوفر الكثير من الجهد والطاقة ، ويدفع إلي تقدير قيمة الوقت وأهميته في حيـاة الإنسـان وهـذا الوقت والحرص عليه ما هو إلا إحدى القيم التي تعـزز الإنـتماء وتدفعنا جميعاً نحو الولاء للوطن من خلال حب العمل وإحـترامه . وبدون هذا الحرص يفلت الزمام ويتشتت الإنتظام والالتزام .

فهـل يـتعمق لدينا الوعي والدافع ونكون علي مستوي المسئوليه لتحقيق ذلك؟

٤- مـن أجـل مصـر نتقن عملنا ، و نسمو به فوق الشعارات الـبراقة الجـوفـاء الـتي لا تـؤدي إلـي إنتاج حقيقي لنخـلق الشخصية المصرية المنتجة .

وهـي الشخصية كما حددها الدكتور حامد عمار " التي تعمل بجدية، وتسـتمتع بمـا تعمل ، وتنتج وتدرك قيمة ما تنتجه ، ولديها القدرة علي الملائمـة بين الغايات والوسائل ، وتؤمن بأن الوصول إلي الهدف لا يتم إلا خطـوة بعد خطوة ليكون الهدف الكبير مجموعة أهداف جزئية كل مـنها يمـثل حلقة تؤدي إلي ما بعدها ، ومن تتابع وتماسك وتكامل هذه

الحلقات يصل الفرد إلي إكمال السلسلة التي تنتهي به إلي الهدف . وبقدر مـــا يكـــون الفـــرد قادر علي العمل بوعي وقادراً علي رؤية الصواب والخطـــأ ، والإعـــتراف بالخطأ والصواب ، وتعديل مواقفة وسلوكه في ضـــوء الواقـــع ، وبقـــدر إيمانه بالتخطيط في كل شئون حياته، وبقدر إســـتعداده لتعـــلم وإكتساب معلومات ومهارات وخبرات جديدة ، وبقدر تقبله لتنظيم العمل والقيادة والتعاون مع زملائه مثل الجندي في فرقته لا يمكـــن أن يحـــرز النصـــر وحده ، ولكنه يسهم في النصر حين يعرف موضـــوعه ومســـئولياته وينفذ واجباته .وهذه الشخصية هي التي تدرك بوعـــي الفـــارق بين العمل في ورشة صغيرة أو في دكان حيث يخضع تـــنظيم العمـــل لصـــاحب الورشة أو الدكان ، وبين العمل في المصانع والشـــركات والجهـــاز الإدارى في الدولة الحديثة حيث يسير العمل وفق نظم وقوانين ولوائح وتسلسل قيادى ، ويمر العمل بمراحل يتوقف نجاح كل مرحلة منها علي المرحلة التي تسبقها والمرحلة التي تليها، وهذه هي الفروق بين التنظيمات الحديثة للعمل والتنظيمات الأولية " .

ثم إن إتقان ماننتجه من صناعات يجعلها تقف صامدة في مجال المنافسة العالميـــة فـــي عصـــر لا يعرف سوى التطور والعمل المتميز.... كما يضفي عليها صفة مميزة ترتفع بها لتأخذ مكانها بين المجتمعات السائرة عـــلي طـــريق الـــتقدم وليكون لها مكاناً بين النماذج العملاقة لمجتمعات الإتقان ، **فهل ... نحن فاعلون ؟**

٥- من أجل مصر نلتزم بقوانين ولوائح المرور ، فنحترم السير فـــي الطـــرقات، تيسيراً لغيرنا من مشقة الإزدحام ، وحرصا علي السلامة ، لنحقق القول : "القيادة فن وذوق وأخلاق " .

ونلـــتزم بالســـرعة المحددة ، حرصاً علي أنفسنا بالإبتعاد عن الحوادث الدامية التي نسمع عنها كل يوم علي الطرقات السريعة ، وليتوقف نزيف دمـــاء الأبـــرياء التي تسيل عليها نتيجة التهور والسرعة وعدم الإلتزام بقواعـــد المـــرور وضـــوابطه حيـــث أن هذا الإلتزام ما هو إلا سلوك حضـــارى يعتبر جزءاً من تراث وحضارة أى شعب في إحترام القانون والحفـــاظ علي هيبته بين أفراد الشعب وطبقاته . إضافة إلي أن الإلتزام يعد من أبعاد الإنتماء كما سبق أن أوضحنا .

وأمامـــنا مثل رائع للطاعة والإمتثال للقانون الواجب علي الجميع موجود فـــي الســـعودية ، وفي دوله الإمارات العربية المتحدة ، وفي دبي وأبو ظـــبي عـــلي وجـــه الخصـــوص حيث الالتزام التام بإشارات المرور ، والســـرعة المحددة ، ونظام السير علي الطرق السريعة ، وعلي الطرق داخـــل المدن ، وفي الدوارات (الميادين) ، وعلي الجسور (الكبارى) ، ومواقع مرور المشاة والمعابر المخصصة للشاحنات (عربات النقل) .

ثـــم إن لافتات المرور وإرشاداته يتم الحرص علي إظهارها وتثبيتها في أماكـــنها ، وهـــي من الكثرة بحيث ترشد الناس إلي الإتجاهات والسلوك الواجـــب إتباعه ليتحقق إنسياب المرور دون عناء وإضاعة وقت .وفي بريطانيا ينطبق القانون علي الجميع مهما كان مركزهم ... علي الأسرة المالكة ، والوزراء ، وبالتالى بقية الناس . إن ما نراه من عدم إنضباط وتســـيب فيما يتعلق بالمرور ما هو إلا مؤشر علي ضعف قيمة الالتزام الـــتي تؤثـــر عـــلي الإنتماء .وما علينا إلا أن نعود أنفسنا علي الطاعة والإمتثال للوائح المرور ... فهل نحن فاعلون من أجل المصلحة العامة لجميع من يقيم علي أرض مصر بلد النظام والالتزام من قديم الزمان ؟

٦- مـــن أجل مصر ندعم الوحدة الوطنية ، ونحكم أواصر المحبة والـــتآخى الـــتي تربط الشعب المصري الواحد بمسلميه وأقباطه . إســـتمراراً لهذه الوحدة الفريدة المتماسكة التي لا تعرف التعصب أو الإنقسامات .

إن الركيزة الجوهرية للوطن كما يقول الأديب الكبير نجيب محفوظ "هـــي الوحدة الوطنية بين أبنائه ، وحدة صادقة حقيقية لا تفرق بين فرد وفرد بسبب من عقيدة أو رأى أو لون أو عنصر .

والوطـــن والوحدة الوطنية إسمان لمسمي واحد ، ونبض لعاطفة واحدة ، فلا وطن بلا وحدة ، ولا وحدة بلا وطن وأن أى مساس بحبلها الممدود فـــي الزمن لهو إنقضاض أثيم علي قدستيها لا يقل شناعة في مجاله عن الشرك بالله في مجاله .

ثـــم إن الرئيس محمد حسني مبارك هو راعى الوجدة الوطنية ، يحرص فـــي جميـــع المناسبات علي تأكيد قيام الوحدة الوطنية ، ولا يتسع المقام لحصـــر كـــل أقواله في هذا الصدد ولكن أكتفي بما قاله في مستهل فترة رئاســـته الـــثانية : "ـ. الحمايـــة الأولي للبناء هي الوحدة الوطنية التي تتوهج بالحوار لا بالتهاتر، بأداب المعاملة لإبرذائل التطاول ، وبالسماحة والـــبعد عن التعصب والشطط . نريد أن نأتلف ونحن نختلف ، نريد أن نتقارب ونحن نتحاور ، نريد أن نعمق القيم لا أن نهدر الرائع في تقاليدنا .. إنـــنا قـــادرون علي بناء المصنع والمعهد والمسكن قادرون علي إستخدام أحدث وسائل العلم قادرون علي التصدى لكل الصعاب ولكن علينا أن نكون قادرين أولاً أن نعيش إخوة في عائلة الحب والخير والمودة .

وقول سيادتة أيضا في خطابة في عيد العمال في أول مايو ١٩٩٠ :

" إن الأساس الأول والأعمق لكل بناء ولأى شعب من الشعوب هو وحدتــه الوطــنية .. الوحــدة الوطنية هي القاعدة الراسخة هي الجــذور الضاربة في الأعماق التي يعلو منها البناء صلباً متماسكاً لا تهــزه العواصــف ولا تنال منه الأعاصير ، فيبقي شامخاً علي مر العصــور والأجيال وينمو صامداً قويا يحمي كل الأبناء ويحميه كل الأبــناء .. الوحدة الوطنية هي الدرع الكبرى التي تحطم كل السهام القــادرة مهما كانت قادرة .. الوحدة الوطنية هي التي جعلت مصر مقبرة للغزاة " .

ثم إن الوحدة الوطنية التي جمعت بين أفراد الشعب المصري متحققة في الحيــاة اليوميــة في أعمق صورها ، فالمشاعر والمودة وحسن المعاملة تظهر بوضوح تام كل يوم السراء أو الضراء . وهذه الوحدة تسري في دمــاء الشــعب المصري .وهذه هي الصورة الطبيعية والمسلك المألوف عند المصريين منذ عاشوا علي ضفاف النيل ، يأكلون من وعاء واحد ، ويشــربون مــن كــوب واحد ، ويمارسون عادات وتقـــاليد غاية في التطــابق .

والأحــداث التاريخية تؤكد الوحدة الوطنية : فعند تكون الحزب الوطني وهــو أول حــزب سياسي في تاريخ مصر الحديث ، و إعلان برنامجه الرســمي فــي أول يناير ١٨٨٢ نصت المادة الخامسة من هذا البرنامج الــذي صــاغة الشــيخ محمد عبده في ديسمبر ١٨٨١ علي أن الحزب الوطــني حــزب سياسي وليس دينياً، ويتألف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب ، فكل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليه .

وشـــارك جميـــع المصـــريون علي إختلاف عقيدتهم في ثورة عرابي، وتجـلت الوحدة الوطنية في أروع صورها خلال ثورة ١٩١٩ ، فكانت ثـــورة الشعب كله الذي شارك مشاركة فعلية في جميع أحداثها ، وتعانق الهلال والصليب في علم الثورة وبصورة ستظل أبد الدهر نموذجاً فريداً للتعايش بين مختلف العقائد والأديان .

وتحقــق إنتصار أكتوبر العظيم سنة ١٩٧٣ وتحطم خط برليف المنيع ، وتحـــررت ســـيناء الحبيـــبة بكفاح الجيش المصري بمسلميه وأقباطه . وتحدثـــت الصــــحف ووسائل الأعلام في ذلك الوقت عن ألوان شتي من البطولات سال فيها دم المقاتل المسلم مع دم المقاتل المسيحي فوق رمال سيناء .

ومن الذين خاضوا معركة أكتوبر ببسالة سجلها التاريخ اللواء فؤاد عزيز غـــالي قـــائد الفرقة ١٨ التي حررت القنطرة شرق . وقد عينه الرئيس السادات قائداً للجيش الثاني الميداني ثم بعد ذلك محافظاً لجنوب سيناء . وأخيـــراً اليســـت الوحـــدة الوطنية وصمودها التي سجلها التاريخ عبر القرون تعبر عن إنتماء كل الشعب لمصر ؟ فنحن مصريون قبل الأديان ، ومصريون بعد الأديان ومصريون إلي آخر الزمان
فلا وطن لهم إلا فيها .. ولا مستقبل لهم إلا بها .. ولا أمل لهم إلا منها .

وهكـــــذا يكـــون الـــولاء والإنتماء وتكون مصر بكل المصريين ولكل المصريين.

* * *

٧- من أجل مصر نكون جميعاً قدوة حيث أن روح الإنتماء تتطلب أن يكون الفرد قدوة في سلوكه علي مختلف المستويات .

فـــأى قـــائد في أى موقع يلتزم بأن يكون قدوة صالحة لمن إسترعاه الله عـــليهم بـــدءاً من دائرة الأسرة التي يكون فيها الأب قدوة لأبنائه ، والأم كذلـــك ، وأيضا الأخ الكبير قدوة للأخ الصغير .وإلي ما يتسع بعد ذلك في مؤسسات المجتمع وقطاعاته وهيئاته حيث يكون المسئول أو الرئيس أو القـــائد قـــدوة فـــي الإلـــتزام والإنضباط والتعاون ، وإتباع الأسلوب الديموقراطي في التعامل .

وإخـــتفاء القـــدوة إمـــتداد لضياع روح الإنتماء ، فإنشغال الفرد بمشاكله وتكالـــبه علي وسائل الحياة بأسلوب إنتزاع اللقمة والجشع والطموح غير المشروع يؤدى إلي غياب الحقيقة وسط هذه الصراعات والمتناقضات ، فتضييع المعايير ، وتختفي القدوة .

وعـــودة القـــدوة تتركز في تجسد المبادئ الخلقية الصحيحة ، والإلتزام بمـــنهج الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ."**لقـــد كان لكم في رسول الله أســـوة حســـنة** " (الأحزاب :٢١) ، ثم إلغاء الإستثنائية بحيث يكون الجميـــع أمام القانون والنظام سواء، وإبراز القدوة يكون كذلك بالبعد عن الشـــعارات البراقة الخادعة ، وبهذا الابتعاد يكون الإنتاج فكراً وسلوكاً يؤصل القدوة ويعود بها إلي مختلف مجالات حياتنا .

٨- مـــن أجل مصر لا نقف موقفاً سلبياً من الأحداث ، بل نشارك مشـــاركة ايجابيـــة فـــي ممارسة حقوقنا السياسية، وفي مناقشة قضايانا الإقتصادية والإجتماعية والثقافية وغيرها مبادرة منا في

صـنع الوطـن المنشود ، وصنع الإسان المصري باني الحضارة وصانعها .

إن الإنـتماء الحقيقـي يكون فيه الفرد علي وعى حقيقي لأبعاد الموقف والظـروف المحيطـة بوطنه داخلياً وخارجياً ، ويكون مدركاً لمشكلات وقضـايا وطـنه وقـادراً عـلي معـرفة أسبابها الحقيقية، وطبيعة هذه المشـكلات والأسـباب الكامنة خلفها ،وموقفه منها ، والإكتراث بأدائها ونتائجها .ويكون المنتمي هنا مع الأغلبية ويعمل لصالحها ، ويؤمن بأن مصـلحة الأغلبية والعمل من أجل الصالح العام وسلامة المجتمع ونموه وتطوره هو الهدف الذي يجب أن يسمو علي الفردية والأنانية.

والإنـتماء الزائف هو الإنتماء المبني علي وعي زائف بفعل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي قد تشوه حقيقة الواقع في عقول المواطنين ، وبالـتالي قـد تصبح رؤيتهم للأمور والمواقف غير حقيقية وغير معبرة عـن الواقـع الفعلي ، ومن ثم يصبح الوعي والإدراك لهذا الواقع وعياً مشـوهاً غيـر حقيقـي ، وبالتالي ينبثق عنه إنتماء زائف ضعيف غير حقيـقى . ونـتيجة لـتزييف الوعى قد يحدث خللاً في إنتماء المواطنين لوطـنهم . إن هـذه القضـية مطـروحة الآن علي الساحة المصرية ، والـتوجهات تدعـو إلـي أهمية الإيجابية والمشاركة الفعلية في كل هذه القضـايا ، وتـثار أبعاد بعض هذه القضايا والمشكلات في المؤتمرات الخاصـة بهـا ، وعـلي صفحات الصحف ، وفي بعض برامج الإذاعة والتـليفزيون مـن خـلال المحاورات واللقاءات مع المفكرين والمثقفين والمسؤولين والمواطنين .

فهل نستجيب ونتجاوب ليكون هناك ولاء وإنتماء حقيقي لوطننا ؟

٩- مــن أجــل مصـــر نتمسك بديننا وبالقيم والفضائل التي يدعو إليها.

أن الـــتدين ســـمة أساسية للشعب المصري ، والدين يتضمن القيم والمثل العـــليا الأخلاقيـــة والإجتماعية حيث الإخلاص ، والترابط ، والتوادي ، والوفاء ، والإيثار ، والتواد ، والتراحم ، والتعاون ، والعطاء ، والمحبة ، والإخاء ، والتضحية بالروح والمال في سبيل حماية الأوطان وغيرها ، وهي القيم الإيجابية التي تعتبير من أهم العوامل الكامنة والدافعة لحب الوطـــن ، كما يؤكد الدين علي التماسك الإجتماعي ، والإعتداد بالمجتمع والحفاظ علي سلامته ووحدته من التفكك .

فالمســـيحية هـــي ديـــن المحبة لان الله محبة ، والطريق إلي معرفة الله وعـــبادته والثبات فيه هو طريق المحبة ، ولا يستطيع الإنسان أن يحب الله بغير المحبة ، لأن المحبة هي تكميل الناموس .
والمحـــبة هـــي جمـــاع الفضـــائل كلها يجب أن تشمل الناس كافة حتي الأشـــرار والأعداء ، ومحبة الناس كافة لا تكون بالكلام ولا باللسان بل بـــالعمل والحـــق. وبذلـــك تؤكد المسيحية علي الإلتزام بها والسير علي نهجها بكل أبعادها .

ويؤكـــد الإســـلام عـــلي جميع هذه القيم والفضائل ، ويوجه إليها القرآن الكـــريم حيـــث تستقيم معها الحياة في صورة كريمة . ومن الآيات التى تتضمن التعاون والجماعية وهما من قيم الإنتماء.قول الله سبحانة وتعالي : " وإعتصـــموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً " .(آل عمران : ١٠٣)

وقوله تعالى :

" وتعاونوا علي البر و التقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعداوان ، وإتقوا الله إن الله شديد العقاب . (المائدة :٢)

و الإنــتماء يؤكــد علي الشورى ، حيث إحترام الرأى والرأى الآخر ، وتوجد آيات كريمة تحث علي ذلك منها :

"والذيــن إســتجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون " .(الشورى : ٣٨)

ولإســتقامة حياة الأفراد وتماسكهم ،وقوة المجتمع ووحدته وتقدمه، يحث القرآن الكريم علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويكفي في ذلك قوله تعالي :

" ولــتكن مــنكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " . (آل عمران :١٠٤)

والإلــتزام بالعدل جوهر أساسي من جواهر الإسلام ، وهو واجب علي المســلم فــي أقواله وأفعاله ليكون قدوة .عليه أن يكون عادلاً مع الله في الإعتراف بواحدانيته والإيمان بشريعته ، وأداء فرائضه الدينية والإلتزام بأوامر الشريعة .

وأن يكون عادلاً في أسرته فيؤدي حقوقة وواجباته تجاه زوجته وأولاده ، عادلاً بينهم في المعاملة فلا يفضل أحداً علي آخر بل يسوى بينهم دائماً في كل شئ . وأيضاً يكون عادلاً مع أقاربه ، ومع جيرانه ، ومع الناس جميعاً تحقيقاً لقول الله تعالى :

" ولا تقــربوا مــال اليــتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيــل والميــزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو

كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون " . (الأنعام :١٥٢)

ثم إن الإنتماء في أحد أبعاده يركز علي الإلتزام . وتؤكده الآية الكريمة الآتية : "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً " . (المائدة :٤٨) .

ويؤكد القرآن الكريم علي الأخوة والتعاون والإيثار من أجل الترابط والتماسك . . قال تعالي :

" إنما المؤمنين إخوة فأصلحوا بين أخويكم وإتقوا الله لعلكم ترحمون ". (الحجرات : ١٠) .

وفي آية أخرى :

"ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " . (الحشر:٩) .

والعدل الإجتماعي أقامه الإسلام وجعله ركناً أساسياً من أركان الإسلام الخمسة وأقام أساسة علي البر والتعاطف والتعاون بين أفراد الأمة . فهو يؤكد علي قيم الإنتماء ويبرزها في الحياة عملاً له أثره الكبير في تماسك المجتمع وقوته .

فالدين يقوى الإنتماء من الناحية الإجتماعية والوطنية ، ويؤكد علي القيم التي تدعو إليه .

ولـــنا في رسول الله عليه وسلم أسوة حسنة في دعوته لحب الوطن . فقد خاطب الرسول الكريم وطنه الحبيب مكة المكرمة عند هجرته حين أمره الله تعالي بالخروج منها فقال بحزن وآسى :" والله إنك أحب بلاد الله إلي الله تعالي ، وأحب بلاد الله إليّ ،ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت "
.

ويوم أن عاد إلي مكة فاتحاً منتصراً وقف أهل مكة خائفين ينظرون ماذا سيفعل بهم ، فقال عليه الصلاة والسلام :

" يـــا معشر قريش : ماذا ترون إني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وأبن أخ كريم ، قال : لا تثريب عليكم اليوم ، إذهبوا فأنتم الطلقاء ".

وهكـــذا يكون حب الوطن ، حب العطاء والوفاء ، حب التسامح والإيثار من أجل التماسك والترابط والقوة والعمل المثمر من أجل الحياة الكريمة لكل من الفرد والمجتمع .

ويكفينا فخر الإنتماء والإنتساب والولاء لمصر ، بلدنا الحبيب، دار الخير والأمـــن والسلام ، ومكان الأنبياء الأتقياء ، ومهد الحضارات منذ آلاف الســنين ، حيــث كـــان لها مكانتها بين الدول ، ولها تاريخها الرائع في البطولة حرباً من أجل السلام ، وسلماً من أجل البناء والتقدم .

***

وفي النهاية فالإنتماء لمصر يدفعنى إلى القول :

صونوا حماها .. ودافعوا عنها .. وأنسوا الأحقاد وتمسكوا بالفضيلة وبالقيم .

عيشوا لمصر ، ومن مصر ، واعملوا من أجلها عملاً مصرياً خالصاً ، بكل شئ مصري .

وتمسكوا بقيم الإنتماء .. فهي السبيل إلي النمو والإرتقاء .

فمصر هي البداية .. وهي النهاية .

هي النور .. وهي الأمل والغـاية .

***

قائمة المراجع

١. **أحمد محمد عوف** . عبقرية الحضارة المصرية القديمة .- القاهرة : جمعية الرعاية المتكاملة ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛ الأعمال العلمية) .

٢. **إسماعيل عبد الفتاح** . أحمد عرابي الزعيم المصري الفلاح .- القاهرة : الهيئة العامة للإستعلامات ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛ تبسيط أعمال كبار الأدباء).

٣. **إسماعيل عبد الفتاح** ، السيد القماحي . العلم المصري .- القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛ تبسيط أعمال كبار الأدباء).

٤. ________________ . النشيد الوطني .- القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛ رموز مصرية) .

٥. **بوزنر ، جورج [وآخ]** . معجم الحضارة المصرية القديمة .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٦) .

٦. **جمال بدوي** . أنا المصري .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ .- (مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ ؛ الأعمال الخاصة) .

٧. **حسين مؤنس** . المصريون والحضارة .– القاهرة : دار المعارف ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩. (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛المصريات) .

٨. **رجب البنا** . المصريون في المرآة .– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ .– (مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ ؛ الأعمال الفكرية) .

٩. **السيد القماحي** ، اسماعيل عبد الفتاح .نهر النيل .– القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛ رموز مصرية) .

١٠. **طارق صجي** . الثقافة أولا وأخيرا .– القاهرة : دار المعارف، ٢٠٠٠ .– (اقرأ ؛ ٦٥٣) .

١١. **عبد الحميد الكاتب** . قراءات ودراسات عن مصر والمصريين .– القاهرة : أخبار اليوم – (كتاب اليوم) .

١٢. **عبد المنعم أبو بكر**. [وأخ] . كفاحنا ضد الغزاة .– القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ .

١٣. **محمد الشافعي** . السويس مدينة الأبطال .– القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ . (مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ؛ الأعمال الخاصة) .

١٤. **محمد شفيق غربال** . تكوين مصر .- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ .

١٥. **محمد عبد الحميد بسيوني** . آداب السلوك عند المصريين القدماء .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،مهرجان القراءة للجميع٢٠٠٠ .- (مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ ؛ الشباب) .

١٦. **مصر والعالم في ١٠٠ عام** . ملحق أخبار اليوم ، (١ يناير ٢٠٠٠) .

١٧. **مصطفي الفقي** . مصر والإستهداف الدائم .- القاهرة : الأهرام، العدد ٤١٥٥٣ (٢٢ أغسطس٢٠٠٠) ، ص٢٧،عمود١-٣ .

١٨. **الموسوعة العالمية الشاملة : الحضارات القديمة** .- نيويورك ، Edito Creps ، ١٩٩٧ .

١٩. **الموسوعة العربية الميسرة** ..القاهرة : دار الشعب ، ١٩٨٠ .

٢٠. **لطيفة ابراهيم خضر** . دور التعليم في تعزيز الإنتماء .- القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٠ .

٢١. نجيب **محفوظ** . وطني مصر : حوارات مع محمد سلماوي . القاهرة : دار الشروق ، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ .-(مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ ؛ الأعمال الخاصة) .

***

محتويات الكتــــاب

الفصل الأول : مصر وطني

الفصل الثاني : قبسات من تاريخ مصر وحضارتها

الفصل الثالث : لا أنسى حبك يا مصر

الفصل الرابع : إنتمائي لمصر ... وطني

الفصل الخامس : من أجـلك يا مصر

***   ***

وهذه هى مصر ..

التى أفخر بالإنتماء إليها ...

سجل مصـــور ..





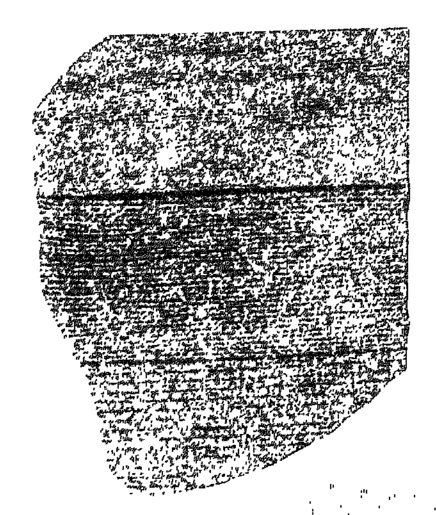
المسلة المصرية : بماذا توحي نقوشها وتصميمها وارتفاعها الهندسي الذي يتراوح بين ٢٠ ، ٥٠ متراً ، وبقاعدتها التي تمثل ١ : ١٠ من ارتفاعها . إنها ترمز للشمس في عقيدة المصريين القدماء ، وهي بهذا التصميم تمثل تحدياً فنياً خالداً يحتار العقل في تفسير مغزاه .



ابو الهول بقوته وعقله وهو رابض على أرض مصر متجها بوجهه جهة الشرق يحرس أهرامات مصر . وهو سم هذه الأهرامات من رموز حضارة مصر القديمة التي تدل علي عظمة الفراعنة وخلود آثارهم علي مر الزمان .

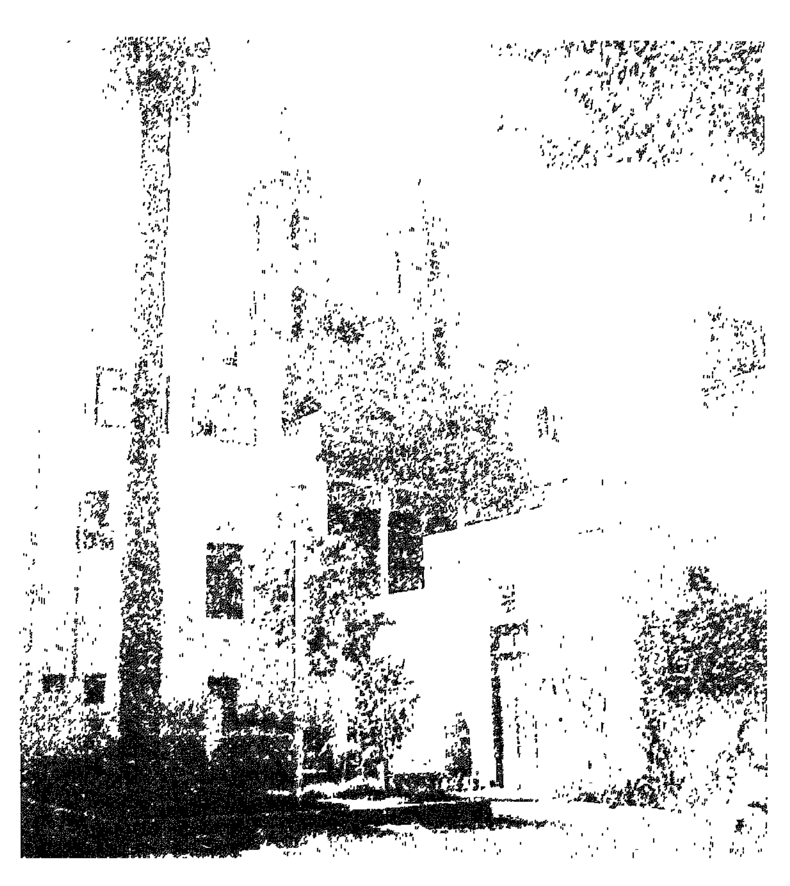


المومياء المصرية .. ما سر العظمة فيها ؟ وما هو سر بقائها كما هي منذ ثلاثة آلاف عام ؟ . إنها عظمة المصريين في فن التحنيط ، هذا الفن الذي كان لهم فيه فضل السبق حفاظاً علي الجسد ليوم البعث والحساب والحياة الخالدة .

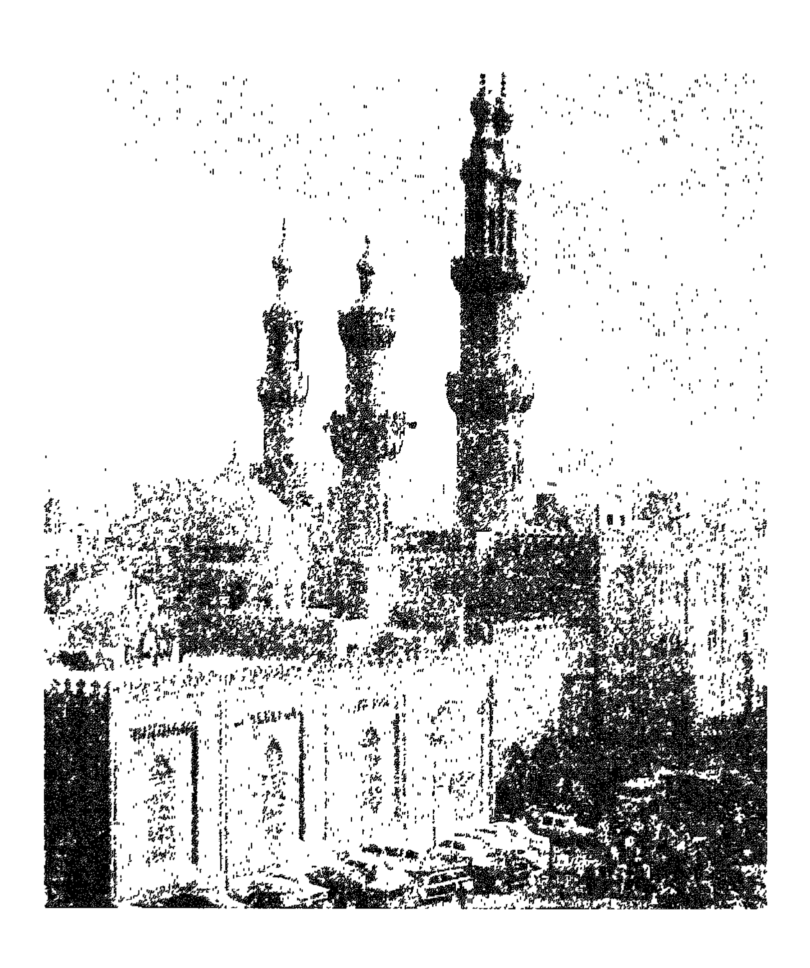


حجر رشيد الذي عثر عليه علماء الحملة الفرنسية علي مصر كان سببا فى فك رموز اللغة المصرية القديمة ، ومعرفة الكثير من أسرار الحضارة الفرعونية .ويرجع الفضل في فك الرموز إلي العلامة الفرنسي شمبليون .





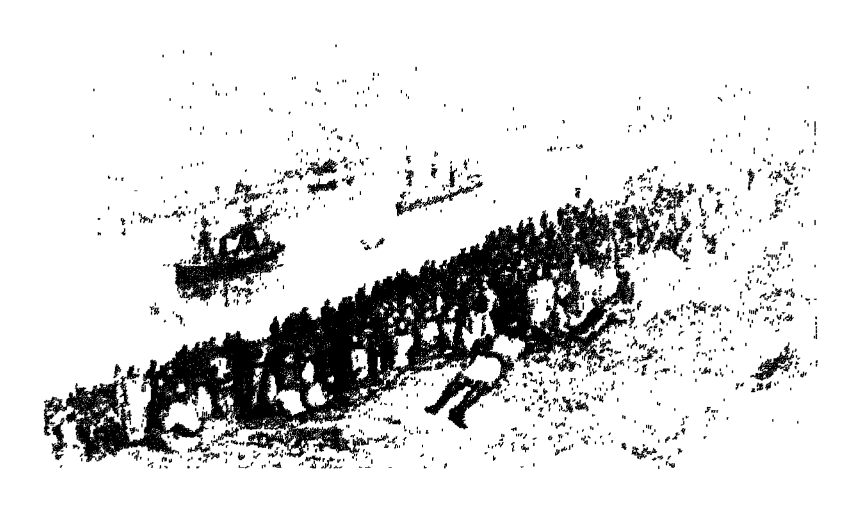
الكنيسة القبطية رمز المسيحية السمحاء ، ويتمثل الفن القبطي المصري في النقوش والأيقونات التي يحفل بها داخلها .



الجامع الأزهر : منارة الثقافة الإسلامية علي مر العصور ورمز المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين في حملتهم علي مصر . ومن فوق منبره قاد الزعيم جمال عبد الناصر المقاومة الشعبية في العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦ .

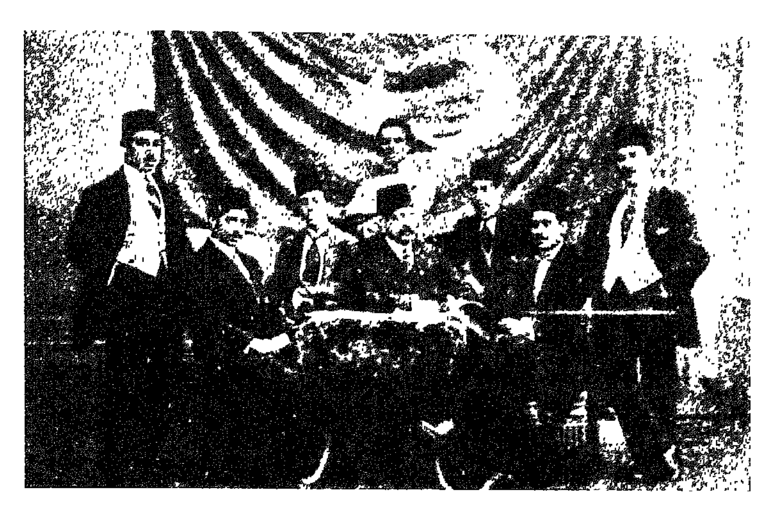


قناة السويس حفرها المصريين بجهدهم وعرقهم حيث ساقهم الخديوى إسماعيل إلي هذا العمل لتنفيذ فكرة فرديناند دى ليسبس لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر بهذه القناة التى كان لإفتتاحها ميزة إختصار المسافة والوقت والتكلفة في الربط بين دول الشرق والغرب . وكان تأميم الرئيس جمال عبد الناصر لها من أسباب العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦ . وللقناة أثرها في سوق النقل البحرى ، ويعتبر عائدها مورداً هاماً من الموارد المالية لمصر .





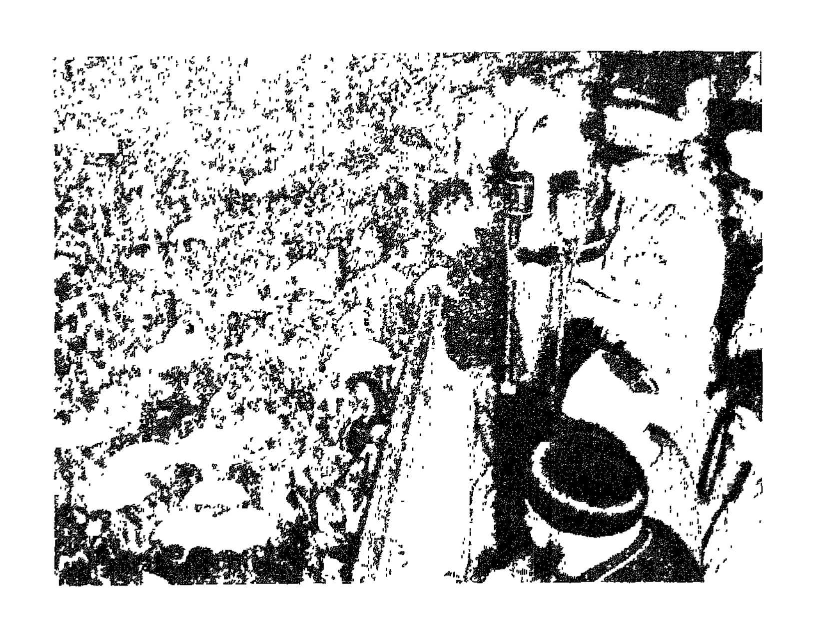
الزعيم مصطفي كامل رافع راية الكفاح ضد الحكم البريطاني ، والذي عبر عن تعلقه بمصر وبأهل مصر ، وتحدث عن حب مصر في شاعرية وعاطفية جياشة من خلال كتاباته وخطبه . وكان حديثه عن مصر حديث المحب لها ، والمدافع عنها في كل محفل داخل مصر وخارجها . كون الحزب الوطني قبل وفاته بقليل ، وخلفه الزعيم الفذ محمد فريد .



صورة تذكارية تمثل **محمد فريد** عند مروره ببلجيكا وحوله بعض الشباب المصري الذي يدرس العلم في الخارج .



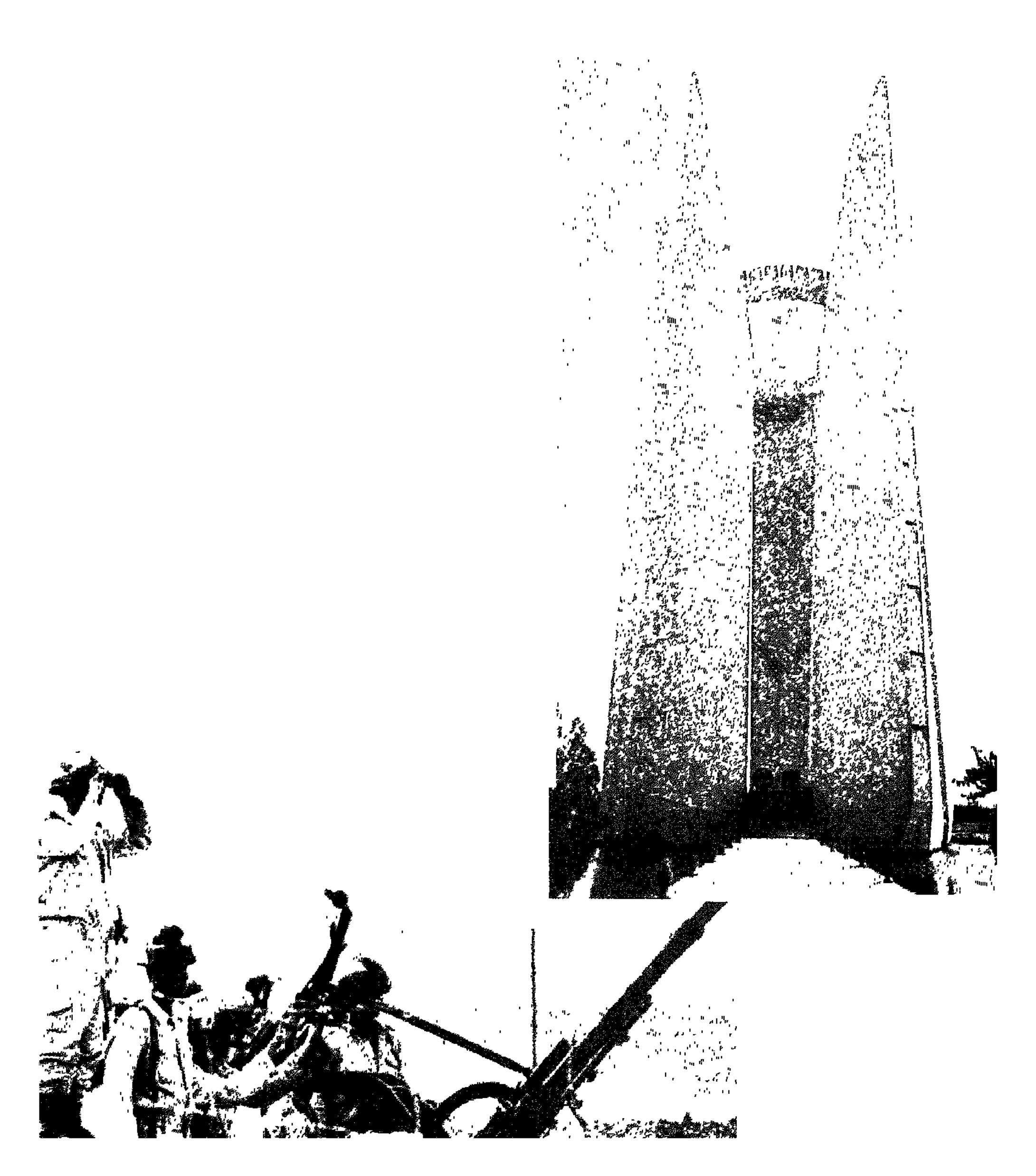
صورة تذكارية **للشباب المصري** في إحدي الحفلات بباريس يلاحظ فيها العلم الذي وضعه الشباب وفيه عناق للهلال والصليب دليل على وحدة عنصرى الأمة من مسيحيين وأقباط وحب وإنتماء الجميع لوطنهم المفدى مصر .



اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر ومعه قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في أحد اللقاءات مع الجماهير أول أيام الثورة .



الرئيس جمال عبد الناصر : مفجر ثورة ٢٣ يوليو الخالدة التي غيرت المجتمع المصري تغييراً شاملاً ، وكان لها أثرها في تحرير الكثير من الشعوب العربية . وهو في هذه الصورة يراجع براسج ومخططات الثورة . ومن أقواله : أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بغير القوة وقد كان هذا المبدأ دافعاله علي الصمود بعد حرب يونية ١٩٦٧ والتخطيط لحرب الإستنزاف تمهيداً لإسترداد أرض سيناء المحتلة في هذه الحرب



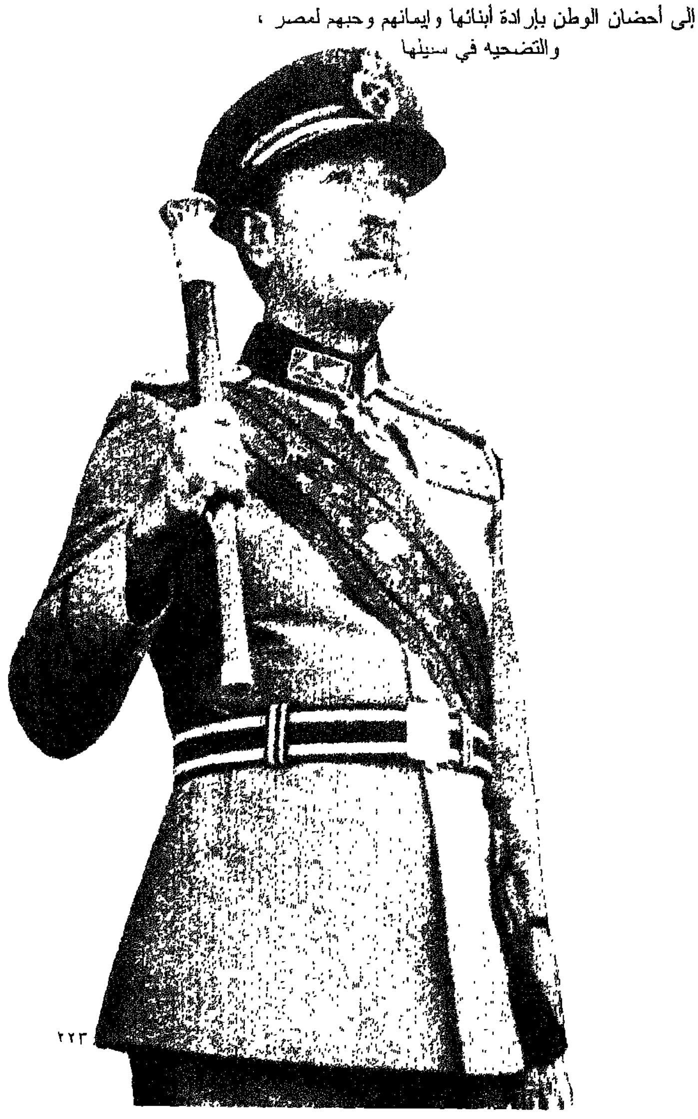
كان العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦ بتحالف كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، حيث بدأ العدوان علي بورسعيد ، وكان إنتصار الشعب بالمقاومة الشعبية الباسلة في مدينة الصمود بورسعيد ، والسويس مدينة الأبطال ، إضافة إلي مختلف مدن القناة ، فكان الولاء لمصر والدفاع عنهاهو السبب المباشر فى إندحار قوات العدوان وإنسحابها وتساقط الرموزالتى دبرت لهذا العدوان الغاشم على مصر .

صورة من حرب يونية ١٩٦٧ ، وهي الحرب التي إستشهد فيها الآلاف من أبناء مصر دفاعا عنها وزودا عن كراسة الوطن وحدوده ، وكانت الحرب بمثابة ضربة موجهة إلي مصر من الإستعمار الغربي المتحالف مع الصهيونية الذي إتخذ من إسرائيل أداة لتحطيم الإرادة المصرية والقضاء علي الوحدة المصرية . وقد شهد عصر **الرئيس مبارك** استعادة آخر شبر من رمال وطننا الحبيب (طابا)



الدبابة المصرية رمز الإنتصار في معركة الدبابات الكبري التي شهدتها الحرب المجيدة في الفترة من يوم ١٥ ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ علي أرض سيناء ، وهي المعركة التى لا تقارن الا بمعركة العلمين أو معركة ستالينجراد في الحرب العالمية الثانية وإشترك فيها من الجانبين المصري والإسرائيلي ٣٠٠٠ دبابة حيث إستطاع الجنود المصريون البواسل تدمير الكثير من الدبابات الإسرائيلية ، وأسر البعض منها من أفراد طاقمها وقياداته .

صمدت مصر في حرب الإستنزاف أيام الرئيس جمال عبد الناصر ،
وأيام الرئيس محمد أنور السادات الذي كان صاحب قرار العبور
التاريخي في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، هذا العبور الذي كان مفاجأة كبرى
أذهلت العالم، وقد أخذت إسرائيل علي غرة في يوم عيد الغفران (عيد
كيبور اليهودي) الذي صادف يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . وكان
الإنتصار المصري الساحق الذي حطم خط بارليف الحصين ،
وإستنجدت إسرائيل بحلفائها لكن تحقق الإنتصار وعادت سيناء الحبيبة
إلى أحضان الوطن بإرادة أبنائها وإيمانهم وحبهم لمصر ،
والتضحيه في سبيلها



طبع فى أمـــادو

١١ ش سيباويه المصرى - مدينة نصـــــر
ت : ٤٠٢١٠٣٠ فاكس : ٢٦٠٠٥٧٧



فى الإنتمــــاء لمصـــر

تشــغل قضية الإنتماء المخلصين من أبناء هذا الوطن ، فليس أخطر من فقــدان الإنســان للإنــتماء لوطنه وإحساسه به ، خاصة لو لم يكن هذا الوطــن ككل الأوطان .. بل لكونه مصر .. مصر التاريخ ذاته .. وصانعة الحضارة .. مصر الوطن الذي إمتلك كل المقومات التي تدفع الإنسان إلي حبه والإعتزاز به لأقصي درجات الزهو والفخار .

ان الـبحث عــن ســر نـهضة المجتمعات المعاصرة يكمن في تلك الكلمة المليئة بالمعاني النبيلة والقيم الأصيلة الإنتماء .. ولا يستطيع باحث أن يغفــل تأثيــر بعــض القيم السلبية التي ظهرت في المجتمع المصري مصــاحبة لتيارات النمو والزيادة السكانية فى مصر ، أوكنتيجة لتجارب الماضــي القريب علي قيم الإنتماء والولاء مما أدى إلي تأييد الدعوة إلي تعزيــز الإنــتماء وتأصيل القيم الدافعه إليه وصولاً إلي الأهداف الكبري لمجتمعــنا في تحقيق نقلة حضارية واسعة تحقق أهداف التنمية الشاملة للمجتمع المصري وللإنسان المصري .

فإذا كانت مصر هي الوطن الذي نتحدث عن الإنتماء إليه فيا له من وطن تجمعت فيه ما لم يجتمع لوطن آخر من الأوطان . لقد إجتازت مصر أربع حضارات كاملة كانت فيها دائماً هي محور التاريخ وصانعته وكانت دوما فى قلب التاريخ ومبدعته . وحتي يومنا الحاضر يتطلع المصريون إلي أن تظل هامتها عالية وراياتها خفاقة فى طريق التقدم والرخاء. إن هدفنا من وراء إصــدارهــذا الكتــاب هو تأصيل القــيم الحــافزة للإنتماء الوطني للمصــريين ، وذلــك ببعث روح الزهو والفخار بتاريخ مصر وحضارتها العــريقة منذ فجر التاريخ مروراً بأمجاد القدماء ووصولاً إلي الإنجازات الــتي حفل بها تاريخ مصر طوال النصف الثاني من القرن العشرين . ثم بتقديم منهاج يرسخ مفهوم الإنتماء ويفعله في نفوس أبنائنا مع توضيح دور المؤسســات المختــلفة فــي غــرس الإنتماء وتأكيده في نفوس كل المصريين . أمليين أن نفيد مجتمعنا به وأن يكون حافزاً لغيرنا للبحث في كل جوانب قضية الإنتماء بأبعادها المختلفة .

الناشــــر

١٠ جنيه
قبل الخصم